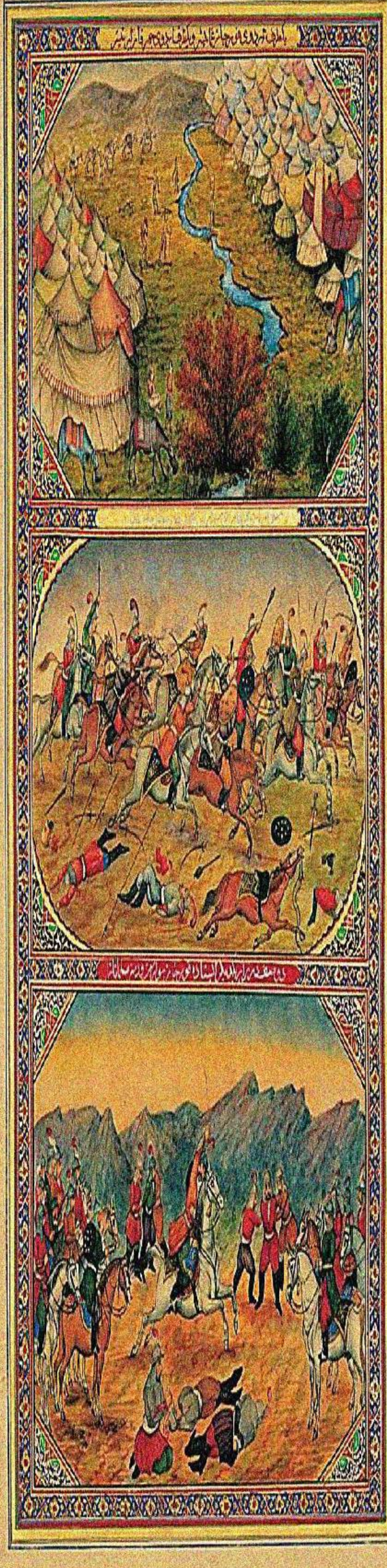
ألف ليلة وليلة

المجلد الأول





المجلد الأول

ألف ليلة وليلة

ذات الحوادث العجيبة . والقصص المطربة الغريبة لياليها غرام فى غرام وتفاصيل
حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر فكاهية . ولطائف وطرائف أدبية
بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر عجوبة من عجائب الزمان



تطلب من مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين (وبعد) فان سير الأولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الانسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر ويطالع حديث الامم السالفة وما جرى لهم فينزجر فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين «فمن» تلك العبر الحكايات التي تسمى ألف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والامثال

(حكايات الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان)

(حكى) والله أعلم انه كان فيما مضى من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم له ولدان أحدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان أخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزل الامر مستقيما في بلادهما وكل واحد منهما في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة وهم في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة الى ان اشتاق الكبير إلى أخيه الصغير فأمر وزيره أن يسافر اليه ويحضر به فأجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على أخيه وبلغه السلام واعلمه ان أخاه مشتاق اليه وقصده أن يزوره فأجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر وأخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه وأعوانه وأقام وزيره حاكما في بلاده وخرج طالبا بلاد أخيه فلما كان في نصف الليل تذكر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبدا اسود من العبيد فلما رأى هذا اسودت الدنيا في وجهه وقال في نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة اذا غبت عند أخي مدة ثم انه سل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما في الفراش ورجع من وقته وساعته وأمر بالرحيل وسار الى أن وصل الى مدينة أخيه ففرح أخيه بقدومه ثم خرج اليه ولاقاه وسلم عليه ففرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه زمان ما كان من امر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه أخوه على هذه الحالة ظن في نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم انه قال له في بعض الايام يا أخي انى أنا في باطني جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال انى اريد ان تسافر معي الى الصيد والقنص لعلك ينشرح صدرك فابى ذلك فسافر أخوه وحده الى الصيد وكان في قصر الملك شبابيك تطل على بستان أخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي في غاية الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم واذا بامرأة الملك قالت يا مسعود

فجاءها عبد اسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقي العبيد فعلوا بالجواري ولم يزالوا في بوس وعناق ونحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك أخو الملك فقال والله أن بليتي أخف من هذه البلية وقد هان ماعنده من القهر والغم وقال هذا أعظم مما جرى لي ولم يزل في أكل وشرب وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى أخيه الملك شاه زمان وقد رد لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية بعدما كان قليل الأكل فتعجب من ذلك وقال يا أخي كنت أراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد اليك لونك فاخبرني بحالك فقال له اما تغير لوني فاذكره لك واعف عني عن اخبارك برد لوني فقال له اخبرني أولا بتغير لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا أخي انك لما أرسلت وزيرك الي يطلبني للحضور بين يديك جهزت حالي وقد برزت من مدينتي ثم اني تذكرت الخرزة التي أعطيتها لك في قصري فرجعت فوجدت زوجتي معها عبد اسود وهو نائم في فراشي فقتلتهما وجئت اليك وأنا متفكر في هذا الأمر فهذا سبب تغير لوني وضعفي واما رد لوني فاعف عني من ان أذكره لك فلما سمع أخوه كلامه قال له اقسمت عليك بالله ان تخبرني بسبب رد لونك فاعاد عليه جميع ما رآه فقال شهريار لأخيه شاه زمان مرادي ان أنظر بعيني فقال له أخوه شاه زمان اجعل انك مسافر للصيد والقنص واختف عندي وأنت تشاهد ذلك وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه جلس في الخيام وقال لغلمانه لا يدخل علي أحد ثم انه تنكر وخرج مختفيا الى القصر الذي فيه أخوه وجلس في الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان واذا بالجواري وسيدتهم دخلوا مع العبيد وفعلوا كما قال أخوه واستمروا كذلك الى العصر فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من رأسه وقال لأخيه شاه زمان قم بنا نسافر الى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لأحد مثلنا أولا فيكون موتنا خير من حياتنا فاجابه لذلك ثم انهما خرجا من باب سر في القصر ولم يزالا مسافرين أياما ولياليا الى ان وصلا الى شجرة في وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار اذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عمود اسود صاعد الى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا الى أعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون الخبر واذا بجني طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر على رأسه صندوق فطلع الى البر وأتى الشجرة التي هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق واخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية كأنها الشمس المضيئة كما قال الشاعر

أشرقت في الدجى فلاح النهار ... واستنارت بنورها الاسحار
من سناها الشموس تشرق لما ... تنبدي وتنجلي الاقمار
تسجد الكائنات بين يديها ... حين تبدو وتهتك الأستار
واذا أومضت بروق حماها ... هطلت بالمدامع الأمطار

قال فلما نظر اليها الجني قال يا سيدة الحرائر التي قد اختطفتك ليلة عرسك أريد ان أنام قليلا ثم ان

الجنى وضع رأسه على ركبتها ونام فرفعت رأسها الى أعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجنى من فوق ركبتها ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها بالله عليك أن تسامحينا من هذا الأمر



(و وقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا)

فقالت لهما بالله عليكما ان تنزلا والا نبهت عليكما العفريت فيقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصعا رصعا عنيفا والا أنبه عليكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهريار لاخيه الملك شاه زمان يا أخى افعل ما أمرتك به فقال لا أفعل حتى تفعل أنت قبلى وأخذا يتغامزان على نكاحها فقالت لهما ما أراكما تتغامزان فان لم تتقدما وتفعلا والا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما من الجنى فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما أقفا وأخرجت لهما من جيبها كيسا وأخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما فقالت لهما أتدرون ما هذه فقالا لها لا ندرى فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بى على غفلة قرن هذا العفريت فاعطيانى خاتميكما أنتما الاثنان الآخران فاعطياها من يديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفنى ليلة عرسى ثم انه وضعنى فى علبة وجعل

العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة اقفال وجعلنى فى قاع البحر العجاج المتلاطم بالامواج ويعلم ان المرأة منا اذا ارادت امرا لم يغلبها شيء كما قال بعضهم

لا تأمنن الى النساء ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن وسخطهن معلق بفروجهن
يبدين ودا كاذبا والغدر حشو ثيابهن
بحديث يوسف فاعتبر متحذرا من كيدهن
أو ما ترى ابليس أخرج آدما من أجلهن

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجبا غاية العجب وقالا لبعضهما اذا كان هذا عفريتا وجرى له اعظم مما جري لنا فهذا شيء يسلينا ثم انهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا الى مدينة الملك شهريار ودخلا قصره ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك اعناق الجواري والعبيد وصار الملك شهريار كلما يأخذ بنتا بكرا يزيل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت بناتها ولم يبق فى تلك المدينة بنت تتحمل الوطء ثم ان الملك أمر الوزير ان يأتيه ببنت على جرى عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو غضبان مقهور خايف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء وقد واعتدال الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرات الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضيين قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لابيها مالى اراك متغيرا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم فى المعنى شعرا

قل لمن يحمل هما ان هما لا يدوم
مثل ما يفنى السرور هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الأول الى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا ابت زوجنى هذا الملك فاما ان اعيش واما ان اكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه فقال لها بالله عليكى لا تخاطري بنفسك ابدا فقالت له لا بد من ذلك فقال اخشى عليك ان يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذى جرى لهما يا ابت

﴿حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع﴾

(قال) اعلمي يا بنتي انه كان لبعض التجار اموال ومواش وكان له زوجة واولاد وكان الله تعالى اعطاه معرفة السن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الأرياف وكان عنده فى داره حمار وثور فاتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفى معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفى بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان فى بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئا لك ذلك أنا تعبان وانت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفى بعض الاوقات يركبك صاحبك ويرجع وانا دائما للحرث والطحن فقال له

له الحمار اذا خرجت الى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك فان قمت فارقد ثانيا فاذا رجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تأكله كانك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوما أو يومين أو ثلاثة فانك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق الى الثور بعلفه أكل منه شيأ يسيرا فاصبح السواق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث أراحه من التعب فى ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا وندم أشد الندامة فلما كان ثانى يوم جاء المزارع وأخذ الحمار وحرثه الى آخر النهار فلم يرجع الحمار الا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار كنت مقيما مستريحا فاضرنى الا فضولى ثم قال اعلم انى لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول ان لم يقم الثور من موضعه فاعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده قطعا وأنا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال فى غد أسرح معهم ثم ان الثور أكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته الى دار البقر وجلسا فجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وضرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أى شىء تضحك فقال لها شىء رأيته وسمعته ولا أقدر أن أبيح به فأموت فقالت له لا بد أن تخبرنى بذلك وما سبب ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما أقدر أن أبوح به خوفا من الموت فقالت له أنت لم تضحك الا على ثم انها لم تزل تلح عليه وتلج فى الكلام الى ان غلبت عليه فتحير واحضر أولاده وارسل احضر القاضى والشهود واراد أن يوصى ثم يبوح لها بالسر ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة لانها بنت عمه وأم أولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم انه أرسل أحضر جميع أهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته وانه متى قال لاحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن حضر بالله عليكى اتركى هذا الامر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لى ولو يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادى الديك ويسبه ويقول له أنت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر فأعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله ان صاحبنا قليل العقل انا لى خمسون زوجة أرضى هذه واغضب هذه وهو ماله الا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح أمره معها فماله لا يأخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها حتى تموت أو تتوب ولا تعود تسأله عن شىء قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع الى عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له ما فعل قال دخل عليها الحجرة بعد ما قطع لها عيدان التوت وخبأها داخل الحجرة وقال لها تعالى داخل الحجرة حتى أقول لك ولا ينظرنى أحد ثم أموت فدخلت معه ثم انه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليها بالضرب الى ان أغمى عليها فقالت له تبت ثم انها قبلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هى واياه وفرح الجماعة وأهلها

وقعدوا فى أسرالاحوال الى المهات . فلما سمعت ابنة الوزير مقالة أبيها قالت له لا بد من ذلك فجهزها وطلع الى الملك شهريار وكانت قد أوصت أختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهت الى الملك أرسلت أطلبك فاذا جئت عندى ورأيت الملك قضى حاجته منى فقولى يا أختى حدثينا حديثا غريبا نقطع به السهر وأنا أحدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله ثم ان أباها الوزير طلع بها الى الملك فلما رآه فرح وقال أتيت بحاجتى فقال نعم فلما أراد أن يدخل عليها بكت فقال لها مالك فقالت ايها الملك ان لى أختا صغيرة أريد ان أودعها فارسل الملك اليها فجاءت الى أختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك وأخذ بكارتها ثم جلسوا يتحدثون فقالت لها أختها الصغيرة بالله عليك يا أختى حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلتنا فقالت حبا وكرامة ان اذن لى هذا الملك المهذب فلما سمع ذلك الكلام وكان به قلق ففرح بسماع الحديث



(بنت الوزير زوجة الملك تبدأ حديثها فى قصة الف ليلة وليلة)

حكاية التاجر مع العفريت

(ففي الليلة الأولى) قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوما وخرج يطالب في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجه وأكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة وإذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي فقضي عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم أيها العفريت أني على دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون فدعني أذهب الى بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود اليك ولك علي عهد وميثاق أني أعود اليك فتفعل بي ما تريد والله على ما أقول وكيل فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق الى أهلها وأعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونساءه وأولاده وأوصى وقعد عندهم إلى تمام السنة ثم توجه وأخذ كفنه تحت أبطه وودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغما عن أنفه وأقيم عليه العياط والصراخ فمشى الى أن وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما يحصل له وإذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على هذا التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن فاخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده في هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا أخي ما دينك الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس بجانبه وقال والله يا أخي لا ابرح من عندك حتى انظر ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده يتحدث معه فغشي على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا بشيخ ثان قد أقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما في هذا المكان وهو مأوى الجان فاخبراه بالقصة من أولها الى اخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم في هذا المكان فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها وبينما كذلك إذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشف الغبرة واذا بذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم اقتلك مثل ما قتلت ولدي وحشاشة كبدي فانتحب ذلك التاجر وبكى واعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الأول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له يا أيها الجني وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة اتهب لي ثلث دم هذا التاجر قال نعم يا أيها الشيخ اذا أنت حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الأول اعلم يا أيها العفريت ان هذه الغزالة هي بنت عمي ومن لحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة

السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم ارزق منها بولد فاخذت لى سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر إذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين واعضاء كاملة فكبر شيأ فشيأ الى ان صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لى سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتها الى



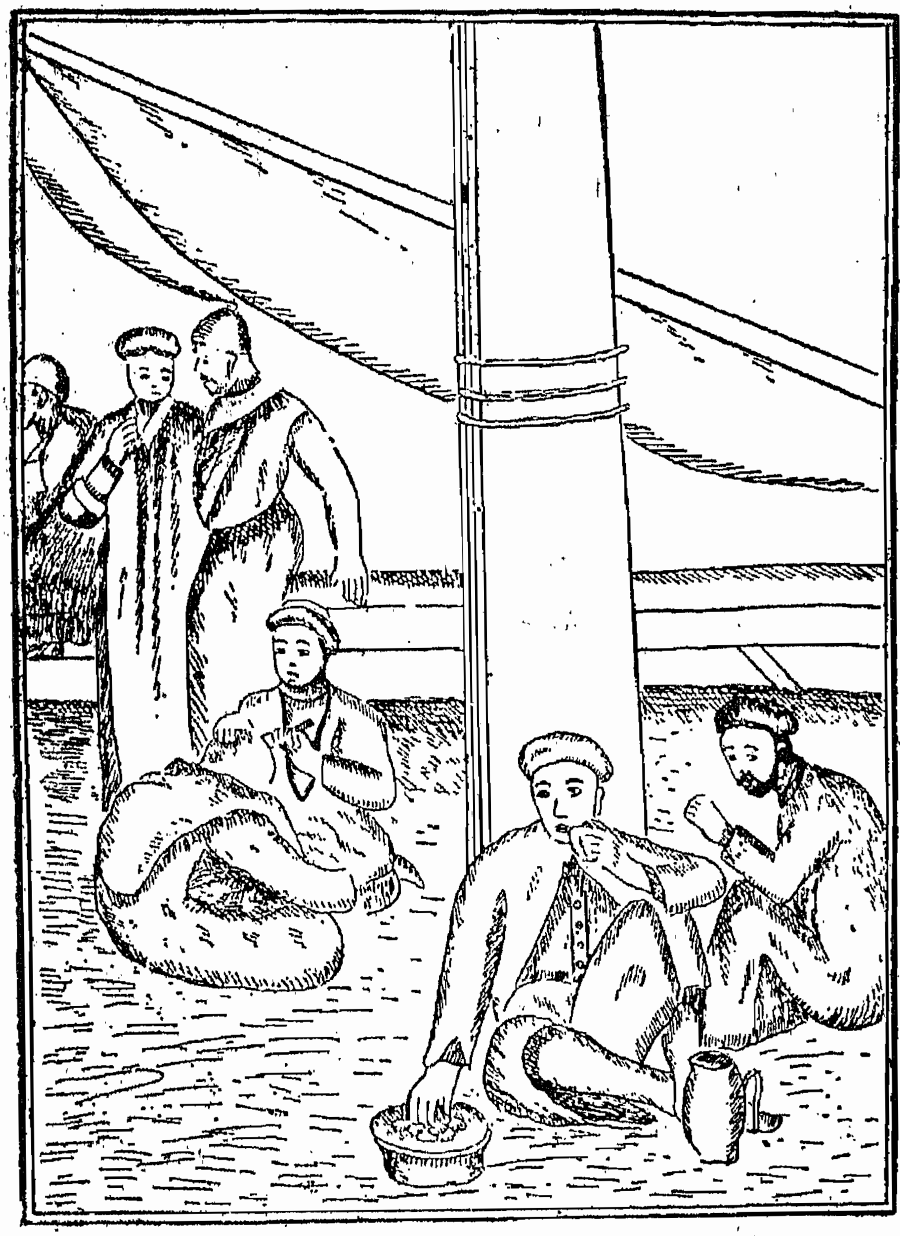
﴿ الجني وبيده سيف مسلول يجذب التاجر من وسط الشيوخ ﴾

الراعي ثم جئت انا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وعن أمه فقالت لي جاريتك ماتت

وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكى العين الى ان جاء عيد الضحية فأرسلت الى الراعي أن يخصني ببقرة سمينة فجاءني ببقرة سمينة وهي سريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابي وأخذت السكين بيدي وتهيأت لذبحها فصاحت و بكت بكاء شديدا فقمت عنها وأمرت ذلك الراعي فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعني الندم واعطيتها للراعي وقلت له ائتني بعجل سمين فأتاني بولدي المسحور عجلا فلما رآني ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرغ علي وولول وبكى فأخذتني الرأفة عليه وقلت للراعي ائتني ببقرة ودع هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حديثك والطفه والذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشيء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره

(وفي ليلة ٢) قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختي اتممي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجني قالت حبا وكرامة ان اذن لي الملك في ذلك فقال لها الملك احكي فقالت بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد انه لما رأى بكاء العجل حن قلبه اليه وقال للراعي ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والجني يتعجب من حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب الغزالة ياسيدي ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فانه سمين فلم يهن علي أن اذبحه وأمرت الراعي أن يأخذه وتوجه به ففي ثاني يوم انا جالس واذا بالراعي اقبل علي وقال ياسيدي اني أقول شيئا تسر به ولي البشارة فقلت نعم فقال أيها التاجر ان لي بنتا كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنا بالامس واعطيتني العجل دخلت به عليها فنظرت اليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت يا أبي قد خس قدري عندك حتى تدخل علي الرجال الاجانب فقلت لها وأين الرجال الاجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لي ان هذا العجل الذي معك ابن سيدي التاجر ولكنه مسحور سحرته زوجة أبيه هو وأمه فهذا سبب ضحكي وأما سبب بكائي فمن أجل أمه حيث ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت اليك لاعلمك فلما سمعت أيها الجني كلام هذا الراعي خرجت معه وانا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى ان أتيت الى داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم ان العجل جاء الي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي أحق ما تقولينه عن ذلك العجل فقالت نعم ياسيدي أنه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيها الصبية ان أنت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد أبيك من المواشي والاموال فتبسمت وقالت ياسيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين الاول ان تزوجني به والثاني ان أسحر من سحرته واحبسها والا فلست آمن مكرها فلما سمعت أيها الجني كلام بنت الراعي قلت ولك فوق جميع ما تحت يد أبيك من الاموال زيادة وأما بنت عمي فدمها

الصباح فلما سمعت كلامي أخذت طاسة وملأتها ماء ثم إنها عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت له ان كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورا فعد الى خلقتك الأولى بإذن الله تعالى وإذا به انتفض ثم صار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احك لي جميع ماصنعت بك وبأمك بنت عمي فحكى لي جميع ماجرى لهما فقلت ياولدي قد قيض الله لك من خلصك وخلص حقك ثم انى أيها الجني زوجته ابنة الراعي ثم انها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وجئت الى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبروني بماجرى لهذا التاجر فجلست لأنظر مايكون وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له اعلم ياسيدي ملوك الجان ان هاتين الكلبتين اخوتي وانا ثالثهم ومات والدي وخلف لنا ثلاثة الاف دينار ففتحت انا دكانا أبيع فيه واشتري وسافر أخي بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ثم أتى ومامعه شيء فقلت له ياأخي اما اشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال ياأخي قدر الله عز وجل على بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك شيئا فأخذته وطلعت به الى الدكان ثم ذهبت به الى الحمام وألبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا واياه وقلت له ياأخي اني أحسب ربح دكاني من السنة الى السنة ثم أقسمه دون رأس المال بيني وبينك ثم انى عملت حساب الدكان من ربح مالي فوجدته ألفي دينار فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بيني وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياما ثم ان اخوتي طلبوا السفر أيضا وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أي شيء كسبتم في سفركم حتى اكسب أنا فالحوا علي ولم أطعهم بل أقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري سنة كاملة وهم يعرضون علي السفر وأنا لم أرض حتى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم ياأخوتي اننا نحسب ماعندنا من المال فحسبناه فاذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الارض لينفعنا اذا أصابنا أمر ويأخذ كل واحد منا الف دينار ونتسبب فيها قالوا نعم الرأي فأخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار وأما الثلاثة الاف دينار الأخرى فأعطيت كل واحد منهم الف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل الى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدي وقالت ياسيدي هل عندك احسان ومعروف اجازيك عليهما قلت نعم ان عندي الاحسان والمعروف ولو لم تجازيني فقالت ياسيدي تزوجني وخذني بلادك فاني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفا لأني ممن يصنع معه المعروف والاحسان ويجازي عليهما ولا يغرنك حالي فلما سمعت كلامها حن قلبي اليها لأمر يريده الله عز وجل فأخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشا حسنا واقبلت عليها واكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبي محبة عظيمة وصرت لا أفارقها ليلا ولا نهارا واشتغلت بها عن اخوتي فغاروا مني وحسدوني على مالي وكثرت بضاعتي وطمحت عيونهم في المال جميعه وتحدثوا بقتلي وأخذ مالي وقالوا نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤني وانا نائم بجانب زوجتي



(واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوائجنا مدة شهر كامل)

ورمونى فى البحر فلما استيقظت زوجتى انتفضت فصارت عفريتة وحملتنى واطلعتنى على جزيرة وغابت عنى قليلا وعادت الى عند الصباح وقالت لى انا زوجتك التى حملتك ونجيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم انى جنية رأيتك حبك قلبي وأنا مؤمنة بالله ورسوله ﷺ جئتك بالحال الذى رأيتنى فيه فتزوجت بى وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على اخوتك ولا بد ان اقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها اما هلاك اخوتى فلا ينبغى ثم حكيت لها

ماجرى لي معهم من أول الزمان الى آخره فلما سمعت كلامي قالت انا في هذه الليلة اطير اليهم وأغرق مراكبهم وأهلكهم فقلت لها بالله لا تفعلي فان صاحب المثل يقول . يامحسنا لمن اساء كفى المسيء فعله . وهم اخوتي على كل حال قالت لا بد من قتلهم فاستعطفتها ثم انها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحت الابواب واخرجت الذي خبأته تحت الارض وفتحت دكاني بعدما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت داري فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأياني قاما الي وبكيا وتعلقا بي فلم اشعر الا وزوجتي قالت هؤلاء اخوتك فقلت من فعل بهم هذا الفعل قالت أنا أرسلت الى أختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون الا بعد عشر سنوات فجئت وأنا سائر اليها تخلصهم بعد اقامتهم عشر سنوات في هذا الحال فرأيت هذا الفتى فاخبرني بما جرى له فاردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي (قال الجني) انها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه في جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجني انا احكي لك حكاية أعجب من حكاية الاثنين وتهب لي باقي دمه وجنايته فقال الجني نعم فقال الشيخ أيها السلطان ورئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري وجئت اليها في الليل فرأيت عبد اسود راقد معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتني عجلت وقامت الى بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت في الحال كلبا فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائرا حتى وصلت الى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآني صاحب الدكان أخذني ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني فقالت أتجيء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت ان هذا الكلب سحرته امرأة وأنا أقدر على تخليصه فلما سمع أبوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فأخذت كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علي منه قليلا وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورتك الأولى فصرت الى صورتي الأولى فقبلت يدها وقلت لها أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فاعطتني قليلا من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة فرش هذا الماء عليها فانها تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت اخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان ثم التفت اليها وقال أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالاشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له باقي دمه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه والذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك الى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار الى قصره

(وفي ليلة ٣) قالت لها أختها دنيازاد يا أختي اتمي لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغني أيها

الملك السعيد أن التاجر أقبل على الشيوخ وشكرهم وهنؤه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذه باعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد

(حكاية الصياد مع العفريت)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعنا في السن وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمي شبكته كل يوم أربع مرات لا غير ثم انه خرج يوما من الأيام في وقت الظهر الى شاطىء البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر الى ان استقرت في الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف الى البر ودق وتدا وربطها فيه ثم تعرى وغطس في الماء حول الشبكة وما زال يعالج حتى اطلعها ولبس ثيابه وأتى الى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال ان هذا الرزق عجيب وأنشد يقول

يا خائضا في ظلام الليل والهلكه ‏ ‏ أقصر عناك فليس الرزق بالحركه

ثم ان الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت اكثر من الاول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعري ونزل وغطس ثم عالج الى ان خلصها وأطلعها على البر فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر

يا حرقة الدهر كفي * ان لم تكفي فعفي * فلا بحظي أعطي
ولا بصنعة كفي * خرجت أطلب رزقي * وجدت رزقي توفي
كم جاهل في ظهور * وعالم متخفي

ثم أنه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد الى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فانشد قول الشاعر

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط ‏ ‏ ولا قلم يجدي عليك ولا خط

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك تعلم اني لم أرم شبكتي غير اربع مرات وقد رميت ثلاثا ثم انه سمى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر الى ان استقرت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت في الأرض فقال لا حول ولا قوة الا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها الى ان طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه في سوق النحاس فانه يساوي عشرة دنانير ذهبا ثم انه حركه فوجده ثقيلا فقال لا بد اني أفتحه وانظر ما فيه وادخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس ثم انه أخرج سكينا وعالج في الرصاص الى ان فكه من القمقم وحطه على الأرض وهزه لينكت ما فيه فلم ينزل منه شيء ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الأرض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتا رأسه في السحاب

ورجلاه في التراب برأس كالقبة وايد كالمداري ورجلين كالصواري وفم كالمغارة واسنان كالحجارة ومناخير كالابريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا الله سليمان نبي الله ثم قال العفريت يا نبي الله لا تقتلني فاني لا عدت أخالف لك قولا وأعصي لك أمرا فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة الف وثمانمائة سنة ونحن في آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا الله ابشر يا صياد فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة أشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة يا قيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لأي شيء تقتلني واي شيء يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وأطلعتك الى البر فقال العفريت تمن على أي موتة تموتها واي قتلة تقتلها فقال الصياد ماذنبي حتى يكون هذا جزائي منك قال العفريت اسمع حكايتي يا صياد قال الصياد قل واوجز في الكلام فان روحي وصلت الى قدمي قال اعلم اني من الجن المارقين وقد عصيت سليمان بن داود وانا صخر الجني فارسل لي وزيره آصف ابن برخيا فأتى بي مكرها وقادني اليه وانا ذليل على رغم أنفي واوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض علي الايمان والدخول تحت طاعته فأبيت فطلب هذا القمقم وحبسني فيه وختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وامر الجن فاحتملوني والقوني في وسط البحر فاقمت مائة عام وقلت في قلبي كل من خلصني اغنيته الى الابد فمرت المائة عام ولم يخلصني أحد ودخلت على مائة أخرى فقلت كل من خلصني فتحت له كنوز الارض فلم يخلصني أحد فمرت علي أربعمائة عام اخرى فقلت كل من خلصني أقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني أحد فغضبت غضبا شديدا وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنت قد خلصتني ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا لله العجب انا ماجئت أخلصك الا في هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلي يعف الله عنك ولا تهلكني يسلط الله عليك من يهلكك فقال لا بد من قتلك فتمن على أي موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني اكراما لما أعتقتك فقال العفريت وانا ما أقتلك الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد ياشيخ العفاريت هل أصنع معك مليح فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال

فعلنا جميلا قابلونا بضده ... وهذا العمري من فعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير أهله ... يجازى كما جوزي مجير أم عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال لا تطمع فلا بد من موتك فقال الصياد هذا جني وأنا انسي وقد أعطاني الله عقلا كاملا وها أنا أدبر أمرا في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلي قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان اسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتز وقال اسأل

واوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل أنت لا تصدق انى كنت فيه فقال الصياد لا أصدق ابدا حتى أنظرك فيه بعينى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك ابدا حتى انظرك بعينى في القمقم فانتفض العفريت وصار دخانا صاعدا الى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد اسرع واخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن على أى موتة تموتها لارميك في هذا البحر وابنى لى هنا بيتا وكل من أتى هنا أمنعه ان يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من أطلعه يبين له انواع الموت ويخيره بينها فلما سمع العفريت كلام الصياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوسا ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم ان الصياد سجنه في سجن احقر العفاريت وأقذرها وأصغرها ثم ان الصياد ذهب بالقمقم الى جهة البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد لا بد لا بد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد ان تصنع بى يا صياد قال القيك في البحر ان كنت أقمت فيه الفا وثمانمائة عام فانا اجعلك تمكث الى ان تقوم الساعة أما قلت لك ابقنى يبقيك الله ولا تقتلنى يقتلك الله فابيت قولى وما أردت الا غدرى فالقاك الله فى يدى فغدرت بك فقال العفريت افتح لى حتى احسن اليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون أنا مثلى ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم دوبان فقال العفريت وما شأن وزير الملك يونان والحكيم دوبان وما قصتهما

﴿ حكاية الملك يونان والحكيم رويان وهى من ضمن ماقبلها ﴾

(قال) الصياد اعلم ايها العفريت انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان فى مدينة الفرس وارض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس وأعوان من سائر الاجناس وكان في جسده برص قد عجزت فيه الاطباء والحكماء ولم ينفعه منه شرب أدوية ولا سفوف ولا دهان ولم يقدر أحد من الاطباء ان يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن فى السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالما باصول حكمتها وقواعد أمورها من منفعتها ومضرتها عالما بخواص النباتات والحشائش والاعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة واقام بها ايام قلائل سمع خبر الملك وما جرى له فى بدنه من البرص الذى ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الاطباء واهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما أصبح الصباح لبس افخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الأرض ودعاله بدوام العز والنعم واحسن ما به تكلم واعلمه بنفسه فقال أيها الملك بلغنى ما اعتراك من هذا الذى في جسدك وان كثيرا من الاطباء لم يعرفوا الحيلة فى زواله وها انا أداويك ايها الملك ولا أسقيك دواء ولا أدهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان أبرأتنى أغنيتك لولد الولد وانعم عليك وكل

ماتتمناه فهولك وتكون نديمي وحبيبي ثم انه خلع عليه وأحسن اليه وقال له اتبرئني من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم ابرئك بلا مشقة فى جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له أيها الحكيم الذي ذكرته لى يكون فى أى الاوقات وفى أى الايام فاسرع به ياولدى قال له سمعا وطاعة ثم نزل من عند الملك واكترى له بيتا وحط فيه كتبه وادويته وعقاقيره ثم إستخرج الادوية والعقاقير وجعل منها صولجانا وجوفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك فى اليوم الثانى ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه وامره ان يركب الى الميدان وان يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الامراء والحجاب والوزراء وأرباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتى دخل عليه الحكيم دوبان وناوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش فى الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسرى فى سائر جسدك فاذا عرقت واثر الدواء فيك فارجع الى قصرك وادخل الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك أخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم ومسكه بيده وركب الجواد وركب الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان وما زال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم دويان ان الدواء سرى فى جسده فامره بالرجوع الى قصره وان يدخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وامر أن يخلوا له الحمام فاخلوه له وتسارعت الفراشون وتسابقت المماليك واعدوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسيلا جيدا ولبس ثيابه داخل الحمام ثم خرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من أمر الملك يونان واما ما كان من أمر الحكيم دويان فانه رجع الى داره وبات فلما أصبح الصباح طلع الى الملك واستأذن عليه فاذن له فى الدخول فدخل وقبل الارض بين يديه واشار الى الملك بهذه الابيات

زهت الفصاحة إذ ادعيت لها أبا ... واذا ادعت يوما سواك لها أبى
ياصاحب الوجه الذى أنواره ... تمحوا من الخطب الكريه غياهبا
مازال وجهك مشرقا متهللا ... كيلا ترى وجه الزمان مقطبا
أوليتنى من فضلك المنن التى ... فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
وصرفت جل المال فى طلب العلا ... حتى بلغت من الزمان مآربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه وعانقه وأجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السنية ولما خرج الملك من الحمام نظر إلى جسده فلم يجد فيه شيئا من البرص وصار جسده نقيا مثل الفضة البيضاء ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما أصبح الصباح دخل الديوان وجلس على سرير ملكه ودخلت عليه الحجاب وأكابر الدولة ودخل عليه الحكيم دويان فلما رآه قام اليه مسرعا وأجلسه بجانبه وإذا بموائد الطعام قد مدت فأكل صحبته ومازال عنده ينادمه طول نهاره فلما أقبل الليل أعطى الحكيم الفى دينار غير الخلع والهدايا وأركبه جواده وانصرف الى داره والملك

يونان يتعجب من صنعه و يقول هذا دواني من ظاهر جسدي ولم يدهني بدهان فوالله ما هذه الا حكمة بالغة فيجب على لهذا الرجل الانعام والاكرام وان اتخذه جليسا وأنيسا مدى الزمان وبات الملك يونان مسرورا فرحا بصحة جسمه وخلاصه من مرضه فلما أصبح الملك وجلس على كرسيه و وقفت أرباب دولته بين يديه وجلست الامراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم دويان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه. فقام له الملك وأجلسه بجانبه وأكل معه وحياه وخلع عليه وأعطاه ولم يزل يتحدث معه الى أن أقبل الليل فرسم له بخمس خلع والف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره وهو شاكر للملك. فلما أصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد احدقت به الامراء والوزراء والحجاب وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر نحس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير ان الملك قرب الحكيم دويان وأعطاه هذه الانعام حسده عليه وأضمر له الشر كما قيل في المعنى: «ماخلا جسد من حسد» وقيل في المعنى: «الظلم كمين في النفس القوة تظهره والعجز يخفيه». ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبل الارض بين يديه وقال له ياملك العصر والاوان أنت الذى شمل الناس احسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فان اخفيتها عنك أكون ولد زنا فان أمرتني أن أبديها أبديتها لك فقال الملك وقد أزعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال أيها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر في العواقب فما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث أنعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد أحسن اليه وأكرمه غاية الاكرام وقربه غاية القرب وأنا أخشى على الملك من ذلك فانزعج الملك وتغير لونه وقال له من الذى تزعم أنه عدوى وأحسنت اليه فقال له يا أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ فانا أشير الى الحكيم دويان فقال له الملك ان هذا صديقي وهو أعز الناس عندي لانه داواني بشيء قبضته بيدي وابرأني من مرضي الذى عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله في هذا الزمان في الدنيا غربا وشرقا فكيف أنت تقول عليه هذا المقال وانا من هذا اليوم أرتب له الجوامك والجرايات واعمل له في كل شهر الف دينار ولو قاسمته في ملكي لكان قليلا عليه وما أظن انك تقول ذلك الا حسدا كما بلغني عن الملك السندباد. ثم قال الملك يونان ذكر والله أعلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة المقبلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا أقتلها حتى اسمع بقية حديثها لانه حديث عجيب ثم انهم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح ثم خرج الملك الى محل حكمه واحتبك الديوان فحكم وولى وعزل وأمر ونهى الى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره وأقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير شهرزاد

(وفى ليلة ٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير أنت داخلك الحسد من أجل هذا الحكيم فتريد أن أقتله وبعد ذلك أندم كما ندم الملك السندباد على قتل البازى فقال الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر أنه كان ملك من ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد

والقنص وكان له بازي رباه ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ويبيت طول الليل حامله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وهو عامل له طاسة من الذهب معلقة فى رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان هذا اوان الخروج الى الصيد فاستعد الملك للخروج وأخذ البازى على يده وساروا إلى أن وصلوا إلى واد ونصبوا شبكة الصيد واذا بغزالة وقعت فى تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد واذا بالغزالة اقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تقبل الارض للملك فطاطا الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت الى البر فالتفت الملك الى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال يا وزيرى ماذا يقول العساكر فقال يقولون إنك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسى لأتبعنها حتى أجيء بها ثم طلع الملك فى أثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازى يلطشها على عينيها الى أن أعماها ودوخها فسحب الملك دبوسا وضربها فقلبها ونزل فذبحها وسلخها وعلقها فى قربوس السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفرا لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابسا فى كفه جلدا فاخذ الطاسة من رقبة البازى وملاها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه واذا بالبازي لطش الطاسة فقلبها فاخذ الملك الطاسة ثانيا وملاها وظن ان البازى عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانيا وقلبها فغضب الملك من البازى وأخذ الطاسة ثالثا وقدمها للحصان فقلبها البازى بجناحه فقال الملك الله يخيبك يا أشأم الطيور أحرمتنى من الشرب وأحرمت نفسك وأحرمت الحصان ثم ضرب البازى بالسيف فرمى أجنحته فصار البازى يقيم رأسه ويقول بالاشارة انظر الذى فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذى يسيل سمها فندم الملك على قص أجنحة البازي ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل الى مكانه الأول فألقى الغزالة الى الطباخ وقال له خذها واطبخها ثم جلس الملك على الكرسى والبازى على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزنا وأسفا على قتل البازى حيث خلصه من الهلاك هذا ما كان من حديث الملك السندباد

فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له أيها الملك العظيم الشأن وما الذى فعلته من الضرورة ورأيت منه سوءا انما فعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فان قبلت منى نجوت والا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك وكان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزير فامر الملك ذلك الوزير أن يكون مع ابنه أينما توجه فخرج يوما من الايام الى الصيد والقنص وخرج معه وزير أبيه فسارا جميعا فنظر الى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش فى البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف أين يذهب واذا بجارية على رأس الطريق وهى تبكى فقال لها ابن الملك من أنت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فى البرية فادركنى النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم أعلم بنفسى فصرت

منقطعة حائرة

فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته وأردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالت له الجارية ياسيدي اريد أن أزيل ضرورة فأنزلها الى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهي لا تعلم به فاذا هي غولة وهي تقول لاولادها ياأولادي قد أتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها أتينا به يا أمنا نأكله في بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم ايقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائفا فقال لها ان لي عدوا وانا خائف منه فقالت الغولة انك تقول انا ابن الملك قال لها نعم قالت له مالك لا تعطي عدوك شيأ من المال فترضيه به فقال لها انه لا يرضى بمال ولا يرضى الا بالروح وانا خائف منه وانا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم فاستعن بالله عليه بانه يكفيك شره وشر جميع ما تخافه فرفع ابن الملك رأسه الى السماء وقال يامن يجيب دعوة المضطر اذا دعاه ويكشف السوء انصرني على عدوي واصرفه عني انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك الى ابيه وحدثه بحديث الوزير وانت ايها الملك متى آمنت لهذا الحكيم قتلك أقبح القتلات وان كنت أحسنت اليه وقربته منك فانه يدبر في هلاكك اما ترى انه ابرأك من المرض من ظاهر الجسد بشيء أمسكته بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشيء تمسكه ايضا فقال الملك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت ايها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم أتى جاسوسا في طلب هلاكي واذ كان ابرأني بشيء أمسكته بيدي فانه يقدر أن يهلكني بشيء أشمه ثم ان الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل اليه في هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفى شره وتستريح منه واغدر به قبل ان يغدر بك فقال الملك يونان صدقت ايها الوزير ثم ان الملك أرسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدره الرحمن كما قال بعضهم في المعنى

ياخائفا من دهره كن آمنا ... وكل الامور الى الذي بسط الثرى
ان المقدر كائن لا ينمحي ... ولك الامان من الذي ما قدرا

وانشد الحكيم مخاطبا قول الشاعر

اذا لم أقم يوما لحقك بالشكر ... فقل لي لمن أعددت نظمي مع النثر
لقد جددت لي قبل السؤال بأنعم ... أتتني بلا مطل لديك ولا عذر
فمالي لا أعطي ثناءك حقه ... واثني على علياك في السر والجهر
سأشكر ما أوليتني من صنائع ... يخف لها فمي وان أثقلت ظهري

فلما حضر الحكيم دويان قال له الملك أتعلم لماذا أحضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الملك احضرتك لاقتلك وأعدمك روحك فتعجب الحكيم دويان من تلك المقالة غاية العجب وقال ايها الملك لماذا تقتلني واي ذنب بدا مني فقال له الملك قد قيل لي انك جاسوس وقد أتيت لتقتلني وها انا أقتلك قبل أن تقتلني ثم ان الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره فقال الحكيم ابقني يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك الله ثم انه كرر عليه القول

مثل ماقلت لك أيها العفريت وأنت لا تدعني بل تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم دوبان انى لا آمن الآن أقتلك فانك برأتني بشيء أمسكته بيدي فلا آمن أن تقتلني بشيء أشمه أوغير ذلك. فقال الحكيم ايها الملك اهذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لا بد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ماصنع من الجميل مع غير أهله كما قيل في المعنى

ميمونة من سمات العقل عارية لكن أبوها من الألباب قد خلقا
لم يمش فى يابس يوما ولا وحل الا بنور هداه يتقي الزلقا

وبعد ذلك تقدم السياف وغمى عينيه وشهر سيفه وقال ائذن والحكيم يبكي ويقول للملك أبقني يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك الله وانشد قول الشاعر

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا فأوقعني نصحي بدار هوان
فان عشت فلم انصح وان مت فانع لي ذوي النصح من بعدي بكل لسان

ثم ان الحكيم قال للملك أيكون هذا جزائي منك فتجازيني مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني أن أقولها وانا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يبقيك الله ثم ان الحكيم بكى بكاء شديدا فقام بعض خواص الملك وقال ايها الملك هب لنا دم هذا الحكيم لاننا مارأيناه فعل معك ذنبا ومارأيناه الا أبراك من مرضك الذي أعيا الاطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلي لهذا الحكيم وذلك لاني ان أبقيته فاناهالك لا محالة ومن أبرأني من المرض الذي كان بي بشيء امسكته بيدي فيمكنه ان يقتلني بشيء أشمه فانا أخاف ان يقتلني ويأخذ على جعالة لانه ربما كان جاسوسا وماجاء الا ليقتلني فلا بد من قتله وبعد ذلك آمن على نفسي فقال الحكيم ابقني يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك الله فلما تحقق الحكيم ايها العفريت ان الملك قاتله لا محالة قال له ايها الملك ان كان ولا بد من قتلي فامهلني حتى انزل الى داري فاخلص نفسي وأوصي أهلي وجيراني أن يدفنوني واهب كتب الطب وعندي كتاب خاص الخاص أهبه لك هدية تدخره في خزانتك فقال الملك للحكيم وماهذا الكتاب قال فيه شيء لا يحصى واقل مافيه من الاسرار اذا قطعت رأسي وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاث أسطر من الصحيفة التي على يسارك فان الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ماسألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له أيها الحكيم وهل اذا قطعت رأسك تكلمت فقال نعم ايها الملك وهذا أمر عجيب ثم ان الملك أرسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم الى داره وقضى أشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني طلع الحكيم الى الديوان وطلعت الامراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة جميعا وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتوني بطبق فأتوه بطبق وكتب فيه الذرور وفرشه وقال ايها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع رأسي فاذا قطعتها فاجعلها في ذلك الطبق وامر بكبسها على

ذلك الذر ورفاذا فعلت ذلك فان دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحط أصبعه فى فمه وبله بريقه وفتح أول ورقة والثانية والثالثة والورق ماينفتح الا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد كتابة فقال الملك ايها الحكيم مافيه شيء مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن الا قليلا من الزمان حتى سري فيه السم لوقته وساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك تزحزح الملك وصاح وقد قال سرّي فيَّ السمّ فانشد الحكيم رويان يقول

تحكموا فاستطالوا فى حكومتهم وعن قليل كأنَّ الحكم لم يكن



﴿فوضع اصبعه فى فمه وبله بريقه﴾

لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى   عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم   هذا بذاك ولا عتب على الزمن

فلما فرغ دوبان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتا من وقته فاعلم ايها العفريت ان الملك يونان لو ابقى الحكيم دوبان لابقاه الله ولكن أبى وطلب قتله فقتله الله وانت ايها العفريت لو ابقيتني لابقاك الله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها دنيازاد ما أحلى حديثك فقالت واين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك وباتوا تلك الليلة فى نعيم وسرور الى الصباح ثم اطلع الملك الى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره واجتمع باهله

(فعى ليلة ٦) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لو ابقيتنى كنت أبقيتك لكن ما أردت الا قتلى فانا اقتلك محبوسا فى هذا القمقم وألقيك فى هذا البحر ثم صرخ المارد وقال بالله عليك أيها الصياد لا تفعل وابقنى كرما ولا تؤاخذنى بعملى فاذا كنت أنا مسيئا كن أنت محسنا وفى الامثال السائرة يا محسنا لمن أساء كفى المسىء فعله ولا تعمل كما عمل امامة مع عاتكة قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وانا فى السجن حتى تطلعنى منه وأنا أحدثك بشأنهما فقال الصياد لا بد من القائك فى البحر ولا سبيل الى اخراجك منه فانى كنت استعطفك واتضرع اليك وأنت لا تريد الا قتلى من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوءا قط ولم أفعل معك الا خيرا لكونى أخرجتك من السجن فلما فعلت معى ذلك علمت انك ردىء الاصل واعلم اننى ما رميتك فى هذا البحر الا لاجل ان كل من أطلعك أخبره بخبرك وأحذره منك فيرميك فيه ثانيا فتقيم فى هذا البحر الى آخر الزمان حتى ترى أنواع العذاب فقال العفريت اطلقنى فهذا وقت المروات وأنا أعاهدك انى لم أسؤك أبدا بل أنفعك بشىء يغنيك دائما فاخذ الصياد عليه العهد انه اذا أطلقه لا يؤذيه أبدا بل يعمل معه الجميل فلما استوثق منه بالايمان والعهود وحلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتا مشوه الخلقة ورفس القمقم فرماه فى البحر فلما راى الصياد أنه رمى القمقم فى البحر أيقن بالهلاك وبال فى ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم انه قوى قلبه وقال ايها العفريت قال الله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأنت قد عاهدتنى وحلفت انك لا تغدر بى فان غدرت بى يجزيك الله فانه غيور يمهل ولا يهمل وانا قلت لك مثل ما قال الحكيم دوبان للملك يونان أبقنى يبقك الله فضحك العفريت ومشى قدامه وقال ايها الصياد اتبعنى فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة الى ان خرجا من ظاهر المدينة وطلعا على جبل ونزلا الى برية متسعة واذا فى وسطها بركة ماء فوقف العفريت عليها وأمر الصياد ان يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة واذا بها السمك ألوانا الابيض والاحمر والازرق والاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه طرح شبكته وجذبها فوجد فيها أربع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها الى السلطان وقدمها اليه فانه يعطيك ما يغنيك وبالله اقبل عذرى فاننى فى هذا الوقت لم أعرف طريقا وانا فى هذا البحر مدة ألف وثمانمائة عام

بما أيت ظاهر الدنيا الا فى هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم الا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق الأرض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم أخذ السمك ودخل به منزله وأتى بماجور ثم ملاه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور فى الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به قصر الملك كما أمره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذى قدمه اليه الصياد لانه لم يرى في عمره مثله صفة ولا شكلا فقال القوا هذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه الجارية قد أهداها له ملك الروم منذ ثلاثة أيام وهو لم يجربها فى طبيخ فأمرها الوزير أن تقليه وقال لها يا جارية أن الملك يقول لك ما ادخرت دمعتى الا لشدتى ففرجينا اليوم على طهيك وحسن طبيخك فان السلطان جاء اليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعد ما أوصاها فأمره الملك أن يعطى الصياد أربعمائة دينار فأعطاه الوزير اياها فأخذها فى حجره وتوجه الى منزله لزوجته وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله ما يحتاجون اليه هذا ما كان من أمر الصياد (وأما) ما كان من أمر الجارية فانها أخذت السمك و نظفته ورصته في الطاجن ثم أنها تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثانى و اذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها صبية رشيقة القد أسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيح لابسة كوفية من خز أزرق وفي أذنيها حلق وفى معاصمها أساور وفى أصابعها خواتيم بالفصوص المثمنة وفى يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب فى الطاجن وقالت ياسمك ياسمك هل أنت على العهد القديم مقيم فلما رأت الجارية هذا غشى عليها وقد أعادت الصبية القول ثانيا وثالثا فرفع السمك رأسه فى الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جميعه هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا وان هجرت فانا قد تكافينا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذى دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم أقامت الجارية فرأت الأربع سمكات محروقة مثل الفحم الأسود فقالت تلك الجارية من أول غزوته حصل كسر عصبته فبينما هى تعاتب نفسها واذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتى السمك للسلطان فبكت الجارية وأعلمت الوزير بالحال وبالذى جرى فتعجب الوزير من ذلك وقال ما هذا الا أمر عجيب ثم أنه أرسل الى الصياد فأتوا به اليه فقال له أيها الصياد لابد أن تجيب لنا بأربع سمكات مثل التى جئت بها أولا فخرج الصياد الى البركة وطرح شبكته ثم جذبها واذا بأربع سمكات فأخذها وجاء بها الى الوزير فدخل بها الوزير الى الجارية وقال لها قومى اقليها قدامى حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية وأصلحت السمك ووضعته فى الطاجن على النار فما استقر الا قليلا واذا بالحائط قد انشقت والصبية قد ظهرت وهى لابسة ملبسها وفى يدها القضيب فغرزته فى الطاجن وقالت ياسمك ياسمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسها وأنشدت هذا البيت

ان عدت عدناوان وافيت وافينا ، وان هجرت فانا قد تمكنا
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح



﴿خروج الصياد الى البركة وطرح الشبكة﴾

(وفى ليلة ٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذي جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا أمر لا يمكن اخفاؤه عن الملك ثم انه تقدم الى الملك وأخبره بما جرى قدامه فقال لا بد أن أنظر بعينى فارسل الى

الصياد وأمره أن يأتي بأربع سمكات مثل الأول وأمهله ثلاثة أيام فذهب الصياد الى البركة وأتاه بالسمك في الحال فأمر الملك أن يعطوه اربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير وقال له سو أنت السمك ههنا قدامي فقال الوزير سمعا وطاعة فاحضر الطاجن ورمى فيه السمك بعد أن نظفه ثم قلبه واذا بالحائط قد انشقت وخرج منها عبد أسود كانه ثور من الثيران أو من قوم عاد وفي يده فرع من شجرة خضراء وقال بكلام فصيح مزعج ياسمك ياسمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وأنشد هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا ، وان هجرت فانا قد تكافينا

ثم أقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع الى أن صار فحما أسود ثم ذهب العبد من حيث أتى فلما غاب العبد عن أعينهم قال الملك هذا أمر لا يمكن السكوت عنه ولا بد أن هذا السمك له شأن غريب فامر باحضار الصياد فلما حضر قال له من أين هذا السمك فقال له من بركة بين أربع جبال وراء هذا الجبل الذي بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يامولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وأمر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وساروا الى أن طلعوا الجبل ونزلوا منه الى برية متسعة لم يروها مدة أعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التي نظروها بين أربع جبال والسمك فيها على أربعة الوان أبيض وأحمر واصفر وأزرق فوقف الملك متعجبا وقال للعسكر ولمن حضر هل أحد منكم رأي هذه البركة في هذا المكان فقالوا كلهم لا فقال الملك والله لا أدخل مدينتي ولا أجلس على تخت ملكي حتى أعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم أمر الناس بالنزول حول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فلما حضر بين يديه قال له اني أردت أن أعمل شيئا فاخبرك به وذلك أنه خطر ببالي أن انفرد بنفسي في هذه الليلة وابحث عن خبر هذه البركة وسمكها فاجلس على باب خيمتي وقل للامراء والوزراء والحجاب أن السلطان متشوش وأمرني أن لا اذن لاحد في الدخول عليه ولم تعلم أحدا بقصدي فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم أن الملك غير حالته وتقلد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله الى الصباح فلم يزل سائرا حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلي أجد من يخبرني بقضية البركة وسمكها فلما اقترب من السواد وجده قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد وأحد شقي بابه مفتوح والآخر مغلق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فدق رابعا دقا مزعجا فلم يجبه أحد فقال لاشك أنه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر الى دهليزه ثم صرخ وقال يا أهل القصر اني رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شيء من الزاد وأعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز الى وسط القصر فلم يجد فيه احدا غير أنه مفروش وفي وسطه فسقية عليها أربع سباع من الذهب الاحمر تلقي الماء من أفواهها كالدر والجواهر وفي دائره طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك

وتأسف حيث لم ير فيه أحد يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الابواب يتفكر واذاهو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر

لما خفيت ضنى ووجدى قد ظهر والنوم من عينى تبدل بالسهر
ناديت وجدا قد تزايد بي الفكر ياوجد لاتبقى على ولا تذر
ها مهجتى بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الانين نهض قائما وقصد جهته فوجد سترا مسبولا على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسى خده كترس من عنبر كما قال الشاعر

ومهفهف من شعره وجبينه مشت الوري فى ظلمة وضياء
ما أبصرت عيناك أحسن منظر فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء اذ تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبي جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه أثر الحزن فرد السلام على الملك وقال له ياسيدي اعذرنى فى عدم القيام فقال الملك أيها الشاب اخبرني عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وماسبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكى بكاء شديدا فتعجب الملك وقال ما يبكيك أيها الشاب فقال كيف لا أبكي وهذه حالتى ومد يده الى أذياله فرفعها فاذا نصفه التحتانى الى قدميه حجر ومن سرته الى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم أيها الملك ان لهذا السمك أمرا عجيبا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك ياسيدى أنه كان والدى ملك هذه المدينة وكان اسمه محمود صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الاربعة أقام فى الملك سبعين عاما ثم توفى والدى وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمى وكانت تحبنى محبة عظيمة بحيث اذا غبت عنها لاتأكل ولا تشرب حتى ترانى فكنت فى عصمتى خمس سنين الى أن ذهبت يوما من الايام الى الحمام فأمرت الطباخ ان يجهز لنا طعاما لاجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت فى الموضع الذى أنا فيه وأمرت جاريتين أن يروحا على وجهى فجلست واحدة عند رأسى والاخرى عند رجلى وقد قلقت لغيابها ولم يأخذنى نوم غير أن عينى مغمضة ونفسى يقظانه فسمعت التى عند رأسى تقول للتى عند رجلى يامسعودة أن سيدنا مسكين شبابه وياخسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الاخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا واخلاقه لا يصلح لهذه الزانية التى كل ليلة تبيت فى غير فراشه فقالت التى عند رأسى أن سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها أو هى تخليه باختياره بل تعمل له عملا فى قدح الشراب الذى يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجرى ولم يعلم أين تذهب ولابما تصنع لانها بعد ماتسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده

أقضيب الى الفجر وتأتي اليه وتبخره بعد ان تبخره عبدالله بشيء فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجواري صار الضياء في وجهي ظلاما وما صدقت ان الليل اقبل وجاءت بنت عمي من الحمام فمددنا السماط وأكلنا وجلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذي أشرب به عند المنام فناولتني الكاس فتراوغت عنه وجعلت انى أشربه مثل عادتي ودلقته في عبي ورقدت في الوقت والساعة واذا بها قالت نم ليتك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسي من عشرتك ثم قامت ولبست أفخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفا وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت في اسواق المدينة الى ان انتهت الى أبواب المدينة فتكلمت بكلام لا أفهمه فتساقطت الاقفال وانفتحت الابواب وخرجت وأنا خلفها وهي لا تشعر حتى انتهت الى ما بين الكيمان وأتت حصنا فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هي وصعدت أنا على سطح القبة واشرفت عليها واذا بها قد دخلت على عبد اسود احدى شفتيه غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهو مبتلى وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الارض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه اليها وقال لها ويلك ما سبب قعودك الى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته وانا ما رضيت ان أشرب من شأنك فقالت يا سيدي وحبيب قلبي أما تعلم انى متزوجة بابن عمي وانا اكره النظر في صورته وابغض نفسي في صحبته ولولا أني أخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خرابا يصيح فيها البوم والغراب وانقل حجارتها الى جبل قاف فقال العبد تكذبين يا عاهرة وانا أحلف وحق فتوة السودان والا تكون مروءتنا مروءة البيضان ان بقيت تقعدي الى هذا الوقت من هذا اليوم لا أصاحبك ولا أضع جسدي على جسدك يا خائنة اتغيبين على من أجل شهوتك يا منتنة يا أخس البيضان قال الملك فلما سمعت كلامهما وانا أنظر بعيني ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاما ولم أعرف روحي في أي موضع وصارت بنت عمي واقفة تبكي اليه وتتذلل بين يديه وتقول له يا حبيبي وثمرة فؤادي ما أحد غيرك بقي لي فان طردتني يا ويلي يا حبيبي يا نور عيني ومازالت تبكي وتتضرع له حتى رضي عليها ففرحت وقامت فقلعت ثيابها ولباسها وقالت له يا سيدي هل عندك ما تأكله جاريتك فقال لها اكشفي اللقان فان تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها ومرمشيها وقومي لهذه القوارة تجدي فيها بوظة فاشربيها فقامت وأكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت فرقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت الى هذه الفعال التي فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من فوق أعلى القبة ودخلت وأخذت السيف من بنت عمي وهممت أن اقتل الاثنين فضربت العبد اولا على رقبته فظننت انه قد قضى عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما أصبح الصباح دخل الملك الى محل الحكم واحتبك الديوان الى آخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها اختها دنيازاد تمى لنا حديثك قالت حبا وكرامة

(وفي ليلة ٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد

لاقطع رأسه قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت أني قتلته فشخر شخيرا عاليا فتحركت بنت عمي وقامت بعد ذهابي فاخذت السيف وردته الى موضعه وأتت المدينة ودخلت القصر ورقدت في فراشي الى الصباح ورأيت بنت عمي في ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمي لا تلمني فيما أفعله فانه بلغني ان والدتي توفيت وان والدي قتل في الجهاد وان أخوي أحدهما مات ملسوعا والآخر ردما فيحق لي ان أبكي واحزن فلما سمعت كلامها سكت عنها وقلت لها افعلي ما بدا لك فاني لا اخالفك فسكنت في حزن و بكاء وعديد سنة كاملة من الحول الى الحول وبعد السنة قالت لي أريد ان ابني لي في قصرك مدفنا مثل القبة وانفرد فيه بالاحزان واسميه بيت الاحزان فقلت لها افعلي ما بدا لك فبنت لها بيتا للحزن في وسطه قبة ومدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد وانزلته فيه وهو ضعيف جدا لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليوم الذي جرحته فيه ما تكلم الا أنه حي لان أجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكي عنده وتعدد عليه وتسقيه الشراب والمساليق ولم تزل على هذه الحالة صباحا ومساء الى ثاني سنة وانا أطول بالي عليها الى ان دخلت عليها يوما من الايام على غفلة فوجدتها تبكي وتلطم وجهها وتقول هذه الابيات

عدمت وجودي في الورى بعد بعدكم   فإن فؤادي لا يحب سواكم
خذوا كرما جسمي الى اين ترتموا   واين حللتم فادفنوني حذاكم
وان تذكروا اسمي عند قبري يجيبكم   أنين عظامي عند صوت نداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفي مسلول في يدي هذا كلام الخائنات اللاتي ينكرن العشرة ولا يحفظن الصحبة واردت ان أضربها فرفعت يدي في الهواء فقامت وقد علمت اني انا الذي جرحت العبد ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا أفهمه وقالت جعل الله بسحري نصفك حجرا ونصفك الآخر بشرا فصرت كما ترى وبقيت لا اقوم ولا أقعد ولا أناميت ولا أنا حي فلما صرت هكذا اسحرت المدينة وما فيها من الاسواق والغيطان وكانت مدينتنا اربعة أصناف مسلمين ونصارى ويهود ومجوس فسحرتهم سمكا فالابيض مسلمون والاحمر مجوس والازرق نصارى والاصفر يهود وسحرت الجزائر الاربعة أربعة جبال وأحاطتها بالبركة ثم انها كل يوم تعذبني وتضربني بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسني من تحت هذه الثياب ثوبا من الشعر على نصفي الفوقاني ثم ان الشاب بكى وانشد هذا الشعر

صبرا لحكمك يا اله القضا   انا صابر ان كان فيه لك الرضا
قد ضقت بالامر الذي قد نابني   فوسيلتي آل النبي المرتضى

فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال له ايها الشاب زدتني هما على همي ثم قال له واين تلك المرأة قال في المدفن الذي فيه العبد راقد في القبة وهي تجيء له كل يوم مرة وعند مجيئها تجيء الي وتجردني من ثيابي وتضربني بالسوط مائة ضربة وانا أبكي واصيح ولم يكن في حركة حتى أدفعها عن نفسي

ثم بعد ان تعاقبني تذهب الى العبد بالشراب والمسلوقة بكرة النهار قال الملك والله يافتى لافعلن معك معروفا أذكر به وجميلا يؤرخونه سيرا من بعدي ثم جلس الملك يتحدث معه الى أن أقبل الليل ثم قام الملك وصبر الى ان جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض الى المحل الذى فيه العبد فنظر الى الشمع والقناديل ورأى البخور والادهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه في بئر كانت في القصر ثم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل القبة والسيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة أتت العاهرة الساحرة وعند دخولها جردت ابن عمها من ثيابه وأخذت سوطا وضربته فقال آه يكفيني ما انا فيه فارحميني فقالت هل كنت أنت رحمتني وابقيت لي معشوقي ثم البسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت الى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت ياسيدي كلمني ياسيدي حدثني وأنشدت تقول

فالى متى هذا التجنب والجفا   ان الذى فعل الغرام لقد كفى
كم قد تطيل الهجر لي متعمدا   ان كان قصدك حاسدي فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت ياسيدي كلمني وحدثني فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه آه لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشي عليها ثم انها استفاقت وقالت لعل سيدي صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال يا عاهرة أنت لا تستحق أن أكلمك قالت ما سبب ذلك قال سببه انك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى أحرمتيني النوم من العشاء الى الصباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعوا عليك حتى أقلقني صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذى منعني عن جوابك فقالت عن اذنك أخلصه مما هو فيه فقال لها خلصيه وأريحينا فقالت سمعا وطاعة ثم قامت وخرجت من القبة الى القصر وأخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلى كما يغلى القدر ثم رشته منها وقالت بحق ما تلوته ان تخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت له اخرج ولا ترجع الى هنا والا قتلتك وصرخت في وجهه فخرج من بين يديها وعادت الى القبة ونزلت وقالت ياسيدي اخرج الى حتى أنظرك فقال لها بكلام ضعيف أي شيء فعلتيه أرحتيني من الفرع ولم ترحيني من الاصل فقالت ياحبيبي وما هو الاصل قال أهل هذه المدينة والاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعوا علي وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمي فخلصيهم وتعالي خذي بيدي واقيميني فقد توجهت الى العافية فلما سمعت كلام الملك وهي تظنه العبد قالت له وهي فرحة ياسيدي على رأسي وعيني بسم الله ثم نهضت وقامت وهي مسرورة تجري وخرجت الى البركة وأخذت من مائها قليلا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فني ليلة ٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصبية الساحرة لما أخذت شيأ من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميين في الحال وانفك

السحر عن أهل المدينة وصارت المدينة عامرة والاسواق منصوبة وصار كل واحد في صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة رجعت الى الملك في الحال وهي تظن انه العبد وقالت ياحبيبي ناولني يدك الكريمة أقبلها فقال الملك بكلام خفي تقربي مني فدنت منه وقد أخذ صارمه وطعنها به في صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفا في انتظاره فهنأه بالسلامة وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك اتقعد في مدينتك ام تجيء معي الى مدينتي فقال الشاب ياملك الزمان اتدري ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب ايها الملك ان كنت نائما فاستيقظ ان بينك وبين مدينتك سنة للمجد وما أتيت في يومين ونصف الا لان المدينة كانت مسحورة وانا ايها الملك لا أفارقك لحظة عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذي منَّ علي بك فانت ولدي لاني طول عمري لم أرزق ولدا ثم تعانقا وفرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر واخبر الملك الذي كان مسحورا أرباب دولته انه مسافر الى الحج الشريف فهيؤوا له جميع ما يحتاج اليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهب على مدينته حيث غاب عنها سنة ثم سافر ومعه خمسون مملوكا ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلا ونهارا سنة كاملة حتى أقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعد ما قطعوا الرجاء منه وأقبلت العساكر وقبلت الأرض بين يديه وهنوه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسي ثم أقبل على الوزير وأعلمه بكل ماجرى على الشاب فلما سمع الوزير ماجرى على الشاب هنأه بالسلامة ولما استقر الحال أنعم السلطان على أناس كثير ثم قال للوزير علي بالصياد الذي أتى بالسمك فارسل الى ذلك الصياد الذي كان سببا لخلاص أهل المدينة فاحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له أولاد فاخبره ان له ابنا وبنتين فتزوج الملك باحدى بنتيه وتزوج الشاب بالاخرى وأخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم أرسل الوزير الى مدينة الشاب التي هي الجزائر السود وقلده سلطنتها وأرسل معه الخمسين مملوكا الذين جاؤا معه وارسل معه كثيرا من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه وخرج مسافرا واستقر السلطان والشاب واما الصياد فانه قد صار أغنى أهل زمانه وبناته زوجات الملوك الى أن أتاهم الممات وما هذا باعجب مما جرى للحمال

حكاية الحمال مع البنات

فانه كان انسان من مدينة بغداد وكان أعزب وكان حمالا فبينما هو في السوق يوما من الايام متكئا على قفصه اذ وقفت عليه امرأة ملتفة بازار موصلي من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سوداء باهداب وأجفان وهي ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف وبعد ذلك قالت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعني فما صدقها الحمال بذلك وأخذ القفص وتبعها الى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل له رجل

نصرانى فاعطته دينارا وأخذت منه مقدارا من الزيتون ووضعته فى القفص وقالت له احمله واتبعنى فقال الحمال هذا والله نهارك مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت على دكان فكهانى واشترت منه تفاحا شاميا وسفرجلا عثمانيا وخوخا عمانيا وياسمينا حلبيا ونوفرا دمشقيا وخيارا نيليا وليمونا مصريا وتمرحنا وشقائق النعمان وبنفسجا ووضعت الجميع فى قفص الحمال وقالت له احمل فحمل وتبعها حتى وقفت على جزار وقالت له اقطع عشرة أرطال لحمه فقطع لها ولفت اللحم فى ورق موز ووضعته فى القفص وقالت له احمل يا حمال فحمل وتبعها ثم وقفت على النقلى وأخذت من سائر النقل وقالت للحمال احمل واتبعنى فحمل القفص وتبعها إلى أن وقفت على دكان الحلوانى واشترت طبقا وملأته من جميع ماعنده من مشبك وقطائف وميمونة وأمشاط وأصابع ولقيمات القاضى ووضعت جميع أنواع الحلاوة فى الطبق ووضعته فى القفص فقال الحمال لو أعلمتينى لجئت معى ببغل يحمل عليه هذه الامور فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وخلافه وغير ذلك وأخذت قدرا من السكر وأخذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعودا عنبرا ومسكا وأخذت شمعا اسكندرانيا ووضعت الجميع فى القفص وقالت احمل قفصك واتبعنى فحمل القفص وتبعها به الى ان اتت دارا مليحة وقدامها رحبة فسيحة وهى عالية البنيان مشيدة الأركان بابها شفتين من الابنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على الباب ودقت دقا لطيفا وإذا بالباب انفتح بشفتيه فنظر الحمال إلى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر فى الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوى تحت الثياب كطى السجل للكتاب فلما نظر الحمال اليها سلبت عقله وكاد القفص ان يقع من فوق رأسه ثم قال مارأيت عمرى أبرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبا وهى من داخل الباب ومشوا حتى انتهوا إلى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذروانات ومصاطب وسدلات وخزائن عليها الستور مرخيات وفى وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه ناموسية من الاطلس الاحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة الفية ووجه يخجل الشمس المضية فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد ... اضحى القياس به زورا وبهتانا
الغصن أحسن مانلقاه مكتسيا ... وأنت أحسن مانلقاك عريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلا الى أن صارت فى وسط القاعة عند أختيها وقالت ماوقوفكم حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتهما الثالثة وحططن عن الحمال وافرغن مافى القفص وصفوا كل شىء فى محله وأعطين الحمال دينارين وقلن له توجه ياحمال فنظر إلى البنات وماهن فيه من الحسن والطبائع الحسان فلم يرى

أحسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لا تروح هل أنت استقللت الاجرة والتفتت إلى أختها وقالت لها اعطيه ديناراً آخر فقال الحمال والله ياسيداتي ان أجرتي نصفان وما استقللت الاجرة وإنما اشتغل قلبي وسري بكن وكيف حالكن وأنتن وحدكن وما عندكن رجال ولا أحد يؤانسكن وأنتن تعرفن ان المنارة لا تثبت الا على أربعة وليس لكن رابع وما يكمل حظ النساء الا بالرجال كما قال الشاعر

انظر إلى أربع عندي قد اجتمعت … جنك وعود وقانون ومزمار

أنتن ثلاثة فتفتقرن الى رابع يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا وللاسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف أن نودع السر عند من لا يحفظه وقد قرأنا في الاخبار شعرا .

صن عن سواك السر لا تودعنه … من أودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال وحياتكن انى رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطالعت التواريخ أظهر الجميل وأخفي القبيح واعمل بقول الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذى ثقة … والسر عند خيار الناس مكتوم
السر عندى فى بيت له غلق … ضاعت مفاتحه والباب مختوم

فلما سمعت البنات الشعر والنظام وما أبداه من الكلام قلن له أنت تعلم اننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجازينا به فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال لان خاطرك أن تجلس عندنا وتصير نديمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار وإذا كانت بغير المال محبة فلا تساوى وزن حبة وقالت البوابة إن يكن معك شيء رح بلا شيء فقالت الدلالة ياأختى نكف عنه فوالله ماقصر اليوم معنا ولو كان غيره ماطول روحه علينا ومهما جاء عليه أغرمه عنه ففرح الحمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم الا منك فقلن له اجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشدت وسطها وصفت القناني وروقت المدام وعملت الحضرة على جانب البحرة وأحضرت ما يحتاجون اليه ثم قدمت المدام وجلست هى وأختها وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه فى المنام ولم يزل الحمال معهن فى عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها فى تلك البحيرة ولعبت فى الماء وأخذت الماء فى فمها وبخت الحمال ثم غسلت أعضاءها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها فى حجر الحمال وقالت له ياحبيبي ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت يوه يوه أما تستحي ومسكته من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة ياحبق الجسور ثم انهم اداروا الكأس والطاس فقامت الثانيه وخلعت ثيابها ورمت نفسها فى تلك البحيرة



﴿ ومسكته من رقبته وصارت تصكه ﴾

وعملت مثل الأولى وطلعت ورمت نفسها فى حجر الحمال وأشارت الى فرجها وقالت يانور عينى ماسم هذا قال فرجك فقالت أما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفا طن له سائر ما فى القاعة فقال حبك الجسور فقالت له لا والضرب والصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت تلك البحيرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها والقت نفسها فى حجر الحمال وقالت له أيضا ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا الى أن قال لها وهى تضربه وما اسمه فقالت خان أبى منصور ثم بعد ساعة قام الحمال ونزع ثيابه ونزل البحيرة وذكره

يسبح فى الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه فى حجر سيدتهن ورمى ذراعيه فى حجر البوابة ورمى رجليه فى حجر الدلالة ثم أشار الى أيره وقال ياسيدتى ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا وأخذ من كل واحدة عضة قلن أيرك قال لا وأخذ من كل واحدة حضنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٠) قالت لها أختها دنيازاد يا أختى اتممى لنا حديثك قالت حبا وكرامة قد بلغنى أيها الملك السعيد انهن لم يزلن يقلن زبك أيرك وهو يقبل ويعانق وهن يتضاحكن الى أن قلن له وما اسمه قال إسمه البغل الجسور الذى يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت فى خان أبى منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا الى منادمتهم ولم يزالوا كذلك الى أن أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنا عرض أكتافك فقال الحمال والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح الى حال سبيله فقالت الدلالة بحياتى عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه فانه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوبا فقام الى الباب فوجد ما مكتوبا عليه بماء الذهب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال الحمال اشهدوا انى لا أتكلم فيما لا يعنينى ثم قامت الدلالة جهزت لهم مأكولا فأكلوا ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا فى أكل وشرب واذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهن الى الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفاؤنا فى هذه الليلة لانى وجدت بالباب ثلاثة أعجام ذقونهم محلوقة وهم عور بالعين الشمال وهذا من أعجب الاتفاق وهم ناس غرباء قد حضروا من أرض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فان دخلوا نضحك عليهم ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها دعيهم يدخلون واشرطى عليهم أن لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشواربهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقام لهم البنات واقعدوهم فنظر الثلاثة رجال الى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا أنه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول أما قرأتم ما على الباب فضحك البنات وقلن لبعضهن اننا نضحك على الصعاليك والحمال ثم وضعن الأكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة تسقيهم ولما دار الكاس بينهم قال الحمال للصعاليك يا اخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها فقد دبت فيهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا موصليا وعودا عراقيا وجنكا أعجميا فقام الصعاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف وأخذ واحد العود وأخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فقامت البوابة لتنظر من بالباب وكان السبب فى دق الباب ان فى تلك الليلة نزل الخليفة هرون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الاخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته أن يتنكر فى صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى فى

المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهي فقال الخليفة لجعفر انى أريد أن ندخل هذه الدار ونشاهد صواحب هذه الاصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى أن يصيبنا منهم شر فقال لا بد من دخولنا وأريد أن نتحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا وطاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب فقال لها ياسيدتي نحن تجار من طبرية ولنا في بغداد عشرة أيام ومعنا تجارة ونحن نازلون في خان التجار وعزم علينا تاجر في هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاما فاكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة ثم أذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيه فنرجو من مكارمكم ان تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة اليهم فوجدتهم بهيئة التجار وعليهم الوقار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها ادخليهم فرجعت وفتحت لهم الباب فقالوا ندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات قمن لهم وخدمنهم وقلن مرحبا وأهلا وسهلا باضيافنا ولنا عليكم شرط أن لا تتكلموا فيما لا يعنيكم فتسمعوا ما لا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة الى الثلاثة الصعاليك فوجدهم عور بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر الى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واستمروا في المنادمة والحديث واتين للخليفة بشراب فقال أنا حاج وانعزل عنهم فقامت البوابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصيني وسكبت فيها ماء الخلاف وارخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال في نفسه لا بد أن أجازيها في غد على فعلها من صنيع الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم أخذت بيد الدلالة وقالت يا أختي قومي بمقتضى ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة وأطلعت الصعاليك خلف الابواب قدامهن وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما أقل مودتك ما أنت غريب بل أنت من أهل الدار فقام الحمال وشد وسطه وقال ما تردن قلن قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال ساعدني فرأى كلبتين من الكلاب السود في رقبتيها جنازير فاخذهما الحمال ودخل بهما الى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها وأخذت سوطا وقالت للحمال قدم كلبة منهما فجرها في الجنزير وقدمها والكلبة تبكي وتحرك رأسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها والكلبة تصرخ ومازالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة الى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاء بها وفعلت بها مثل ما فعلت بالاولى فعند ذلك اشتعل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفرا أن يسألها فقال له بالاشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها قومي لقضاء ما عليك قالت نعم ثم أن صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة ائتيا بما عندكما فاما البوابة فانها صعدت على سرير بجانبها وأما الدلالة فانها دخلت مخدعا وأخرجت منه كيسا من الاطلس باهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس وأخرجت منه عودا وأصلحت أوتاره وأنشدت هذه الابيات .

ردوا على جفني النوم الذي سلبا — وخبروني بعقلي أية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة — أن المنام على جفني قد غصبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما — أغواك قلت اطلبوا من لحظه السببا
أني له عن دمي المسفوك معتذر — أقول حملته في سفكه تعبا
ألقى بمرآة فكري شمس صورته — فعكسها شب في أحشائي اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد — أجري بقيته في ثغره شنبا
ماذا ترى في محب ماذكرت له — الاشكى اوبكى أوحن أو أطربا
يرى خيالك في الماء الذلال اذا — رام الشراب فيروى وهو ما شربا

وأنشدت أيضا سكرت من لحظه لامن مدامته — ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف سلتني بل سوالفه — وما الشمول شلتني بل شمائله
لوي بعزمي أصداع لوين له — وغال عقلي بما تحوي غلائله

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها رأى الخليفة أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها وأتت اليها بحلة وألبستها اياها فقال الخليفة لجعفر أما تنظر الى هذه المرأة وما عليها من أثر الضرب فانا لا اقدر أن أسكت على هذا وما أستريح الا ان وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين فقال جعفر يامولانا قد شرطوا علينا شرطا وهو ان لا نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قامت الدلالة فاخذت العود واسندته الى نهدها وغمزته باناملها وأنشدت تقول ان شكونا الهوى فماذا نقول او تلفنا شوقا فماذا السبيل

أو بعثنا رسلا نترجم عنا — مايؤدي شكوى المحب رسول
أو صبرنا فما لنا من بقاء — بعد فقد الاحباب الا قليل
ليس الا تأسفا ثم حزنا — ودموعا على الخدود تسيل
أيها الغائبون عن لمح عيني — وعم في الفؤاد مني حلول
هل حفظتم لدى الهوى عهد صب — ليس عنه مدى الزمان يحول
أم نسيتم على التباعد صبا — شفه فيكم الضنى والنحول
واذا الحشر ضمنا أتمنى — من لدن ربنا حسابا يطول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الاولى وصرخت ثم ألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فقامت الدلالة وألبستها حلة ثانية بعد ان رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة غني لي لافي ديني فما بقي غير هذا الصوت فاصلحت الدلالة العود وأنشدت هذه الابيات

فالى متى هذا الصدود وذا الجفا — فلقد جرى من أدمعي ماقد كفى

كم قد أطلت الهجر لى متعمدا ... ان كان قصدك حاسدى فقد اشتفى
لو انصف الدهر الخؤون لعاشق ... ما كان يوم العواذل منصفا
فلمن أبوح بصبوتى ياقاتلى ... ياخيبة الشاكى اذا فقد الوفا
ويزيد وجدى فى هواك تلهفا ... فتى وعدت ولا رايتك مخلفا
يا مسلمون خذوا بثار متيم ... ألف الشهادة لديه طرف ما غفا
أيحل فى شرع الغرام تذللى ... ويكون غيرى بالوصال مشرفا
ولقد كلفت بحبكم متلذذا ... وغدا عذولى فى الهوى فتكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الأرض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه ضرب المقارع مثل من قبلها فقال الصعاليك ليتنا ما دخلنا هذه الدار وكنا بتنا على الكيمان فقد تكدر مبيتنا هنا بشيء يقطع الصلب فالتفت الخليفة اليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة اما انتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع الا للرجل الذى عندكم فقال الحمال والله ما رأيت هذا الموضع الا هذه الليلة وليتنى بت على الكيمان ولم أبت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فان لم يجبننا طوعا أجبننا كرها واتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأى سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطا فنوفي به ولم يبق من الليل الا القليل وكل منا يمضى الى حال سبيله ثم انه غمز الخليفة وقال ما بقى غير ساعة وفى غد نحضرهن بين يديك فتسألهن عن قصتهن فأبى الخليفة وقال لم يبق لى صبر عن خبرهن وقد كثر بينهم القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقال بعضهم الحمال ثم قال لهم النساء يا جماعة فى أي شيء تتكلمون فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها يا سيدتي سألتك بالله واقسم عليك به ان تخبرينا عن حال الكلبتين وأي سبب تعاقبيهما ثم تعودين تبكين وتقبلينهما وأن تخبرينا عن سبب ضرب أختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة صحيح ما يقوله عنكم فقال الجميع نعم الا جعفر فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الاذية البالغة وتقدم لنا اننا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه أما كفا اننا أدخلناكم منزلنا وأطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وانما الذنب لمن أوصلكم الينا ثم شمرت عن معصمها وضربت الأرض ثلاث ضربات وقالت عجلوا واذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبأيديهم سيوف مسلولة وقالت كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم واربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا أيتها المخدرة ائذني لنا في ضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال بالله يا سيدتي لا تقتليني بذنب الغير فان الجميع أخطؤوا ودخلوا فى الذنب الا انا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لاخربوها ثم انشد يقول

ما أحسن الغفران من قادر ... لاسيما عن غير ذى ناصر

بحرمة الود الذى بيننا لا تقتلى الاول بالآخر .

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١١) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية لما ضحكت بعد غيظها أقبلت على الجماعة وقالت اخبرونى بخبركم فما بقى من عمركم الا ساعة ولولا أنتم أعزاء أو أكابر قومكم أو حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك يا جعفر عرفها بنا والا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغى الهزل فى وقت الجد كل منهم له وقت ثم ان الصبية أقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل أنتم أخوة فقالوا لها لا والله ما نحن الا فقراء الحجام فقالت لواحد منهم هل أنت ولدت أعور فقال لا والله وانما جرى لى امر غريب حين تلفت عينى ولهذا الامر حكاية لو كتبت بالابر على اماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فسألت الثانى والثالث فقالا لها مثل الاول ثم قالوا ان كل منا من بلد وان حديثنا عجيب وأمرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكى حكايته وما سبب مجيئه الى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح الى حال سبيله فاول من تقدم الحمال فقال يا سيدتى انا رجل حمال حملتنى هذه الدلالة واتت بى الى هنا وجرى لى معكم ما جرى وهذا حديثى والسلام فقالت له ملس على رأسك وروح فقال والله ما أروح حتى اسمع حديث رفقائى فتقدم الصعلوك الاول وقال لها يا سيدتى ان سبب حلق ذقنى وتلف عينى ان والدى كان ملكا وله أخ وكان أخوه ملكا على مدينة أخرى واتفق ان أمى ولدتنى فى اليوم الذى ولد فيه ابن عمى ثم مضت سنون وأعوام وايام حتى كبرنا وكنت أزور عمى فى بعض السنين واقعد عنده أشهر عديدة فزرته مرة فاكرمنى ابن عمى غاية الاكرام وذبح لى الاغنام وروق لى المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال ابن عمى يا ابن عمى ان لى عندك حاجة مهمة وأريد أن لا تخالفنى فيما أريد ان أفعله فقلت له حبا وكرامة فاستوثق منى بالايمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوى مبلغا عظيما فالتفت الى والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقنى على الجبانة الفلانية ووصفها لى فعرفتها وقال ادخل بها التربة وانتظرنى هنالك فلم يمكنى المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لاجل الذى حلفته فاخذت المرأة وسرت الى ان دخلت التربة انا واياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمى ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ثم انه اخذ القدوم وجاء الى قبر فى وسط التربة ففكه ونقض أحجاره الى ناحية التربة ثم حفر بالقدوم فى الارض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود ثم التفت الى المرأة بالاشارة وقال لها دونك وما تختارين فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت الى وقال يا ابن عمى تمم المعروف اذا نزلت انا فى ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذى فى الكيس وهذا الماء الذى فى الطاسة اعجن منه الجبس وجبس القبر فى دائر الاحجار كما كان أول حتى لا يعرفه أحد ولا يقول هذا فتح جديد وتطيينه عتيق لان لى سنة كاملة وانا اعمل فيه وما يعلم به الا الله وهذه حاجتى عندك ثم قال لى لا أوحش الله منك يا ابن عمى ثم نزل لى السلم فلما غاب عنى قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرنى به حتى

صار القبر كما كان ثم رجعت الى قصر عمي وكان عمي في الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وماجرى فيها بيني وبين ابن عمي وندمت على مافعلت معه حيث لا ينفع الندم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصعلوك قال للصبية ثم خرجت الى المقابر وفتشت على التربة فلم أعرفها ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد اليها فرجعت الى القصر لم آكل ولم أشرب وقد اشتغل خاطري بابن عمي من حيث لا اعلم له حالا فاغتممت غما شديدا وبت ليلتي مغموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة وانا اتفكر فيما فعله ابن عمي وندمت على سماعي منه وقد فتشت في الترب جميعا فلم أعرف تلك التربة ولازمت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقا فزاد بي الوسواس حتى كدت أن أجن فلم أجد فرجا دون أن سافرت ورجعت الى أبي فساعة وصولي الى مدينة أبي نهض الي جماعة من باب المدينة وكتفوني فتعجبت كل العجب في ابن سلطان المدينة وهم خدم ابي وغلماني ولحقني منهم خوف زائد فقلت في نفسي ياترى اجري على والدي وصرت أسأل الذين كتفوني عن سبب ذلك فلم يردوا علي جوابا ثم بعد حين قال لي بعضهم وكان خادما عندي إن أباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فاخذوني وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الاخبار التي سمعتها عن أبي فلما تمثلت بين يدي الوزير الذي قتل أبي وكان بيني وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة أني كنت مولعا بضرب البندق فاتفق أني كنت واقفا يوما من الايام على سطح قصري واذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا هناك فاردت أن اضرب الطير واذا بالبندقة أخطأت وأصابت عين الوزير فاتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر

دع الاقدار تفعل ما تشاء   وطب نفسا بما فعل القضاء
ولا تفرح ولا تحزن بشيء   فان الشيء ليس له بقاء

وكما قال الآخر

مشينا خطا كتبت علينا   ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض   فليس يموت في أرض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما اتلفت عين الوزير لم يقدر أن يتكلم لان والدي كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة التي بيني وبينه فلما وقفت قدامه وأنا مكتف أمر بضرب عنقي فقلت اتقتلني بغير ذنب فقال أي ذنب أعظم من هذا واشار الى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فانا أفعله بك عمدا ثم قال قدموه بين يدي فقدموني بين يديه فمد أصبعه في عيني الشمال فاتلفها فصرت من ذلك الوقت أعور كما تروني ثم كتفني ووضعني في صندوق وقال للسياف تسلم هذا واشهر حسامك وخذه واذهب به الى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بي السياف وسار حتى خرج من المدينة واخرجني من الصندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد أن يغمي عيني ويقتلني فبكيت وأنشدت هذه الابيات

جعلتكموا درعا حصينا لتمنعوا سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وكنت أرجى عند كل ملمة تخص يمينى ان تكون شمالها
دعوا قصة العذال عنى بمعزل وخلوا العدا ترمى الى نبالها
اذا لم تقوا نفسي مكايدة العدا فكونوا سكوتا لا عليها ولا لها

وأنشدت ايضا هذه الابيات

واخوان اتخذتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات فكانوا ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى لقد صدقوا ولكن فى فسادى

فلما سمع السياف شعرى وكان سياف أبى ولى عليه احسان قال ياسيدى كيف أفعل وأنا عبد مأمور ثم قال لى فر بعمرك ولا تعد الى هذه الارض فتهلك وتهلكنى معك كما قال الشاعر

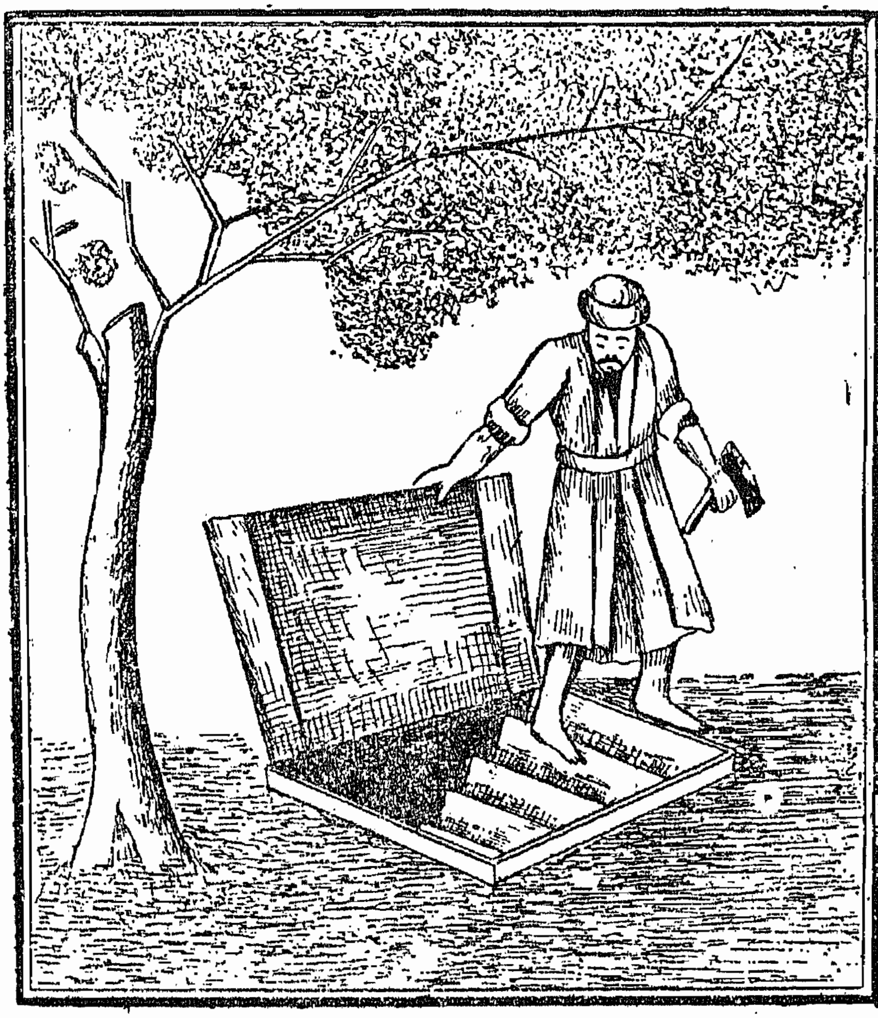
ونفسك فربها ان خفت ضيما وخل الدار تنعى من بناها
فانك واجد أرضا بأرض ونفسك لم تجد نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل وأرض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى بانفسها تولت ماعناها

فلما قال لى ذلك قبلت يديه وماصدقت بالنجاة حتى فررت وهان على تلف عينى بنجاتى من القتل وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمى فدخلت عليه واعلمته بماجرى لوالدى وبماجرى لى من تلف عينى فبكى بكاء شديدا وقال لقد زدتنى هما على همى وغما على غمى فان ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم بماجرى له ولم يخبرنى أحد بخبره وبكى حتى اغمى عليه فلما استفاق قال ياولدى قد حزنت على ابن عمك حزنا شديدا وأنت زدتنى بما حصل لك ولابيك غما على غمى ولكن ياولدى بعينك ولا بروحك ثم أنه لم يمكنى السكوت عن ابن عمى الذى هو ولده فاعلمته بالذى جرى له كله ففرح عمى بما قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه وقال أرنى التربة فقلت والله ياعمى لم أعرف مكانها لانى رجعت بعد ذلك مرات لافتش عليها فلم أعرف مكانها ثم ذهبت أنا وعمى الى الجبانة ونظرت يمينا وشمالا فعرفتها ففرحت أنا وعمى فرحا شديدا ودخلت انا واياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت أنا وعمى مقدار خمسين درجة فلما وصلنا الى آخر السلم واذا بدخان طلع علينا فغشى أبصارنا فقال عمى الكلمة التى لا يخاف قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم مشينا واذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقا وحبوبا ومأكولات وغير ذلك ورأينا فى وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمى الى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التى قد نزلت معه صارا فحما أسود وهما متعانقان كأنهما ألقيا فى جب نار فلما نظر عمى ذلك بصق فى وجهه وقال تستحق ياخبيث فهذا عذاب الدنيا وبقى

عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام ثم أن عمي ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الاسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمي حيث صار هو والصبية فحما أسود ثم قلت بالله يا عمي خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سري وخاطري بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحما أسود اما يكفيك ماهو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن أخي أن ولدي هذا كان من صغره مولعا بحب أخته وكنت أنهاه عنها وأقول في نفسي أنهما صغيران فلما كبرا وقع بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم أصدق ولكن زجرته زجرا بليغا وقلت له احذر من هذه الفعال القبيحة التي لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك والا نبقى بين الملوك بالعار والنقصان الى الممات وتشيع أخبارنا مع الركبان واياك أن تصدر منك هذه الفعال فاني أسخط عليك واقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منها فلما رآني حجبته فعل هذا المكان الذي تحت الارض خفية ونقل فيه الماكول كما تراه واستغفلني لما خرجت الى الصيد وأتى الى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى واحرقهما ولعذاب الآخرة أشد وابقى ثم بكى وبكيت معه وقال لي أنت ولدي عوضا عنه ثم أني تفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها من قتل الوزير لوالدي وأخذ مكانه وتلف عيني وماجرى لابن عمي من الحوادث الغريبة فبكيت ثم أننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بيننا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الابطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل أن وزير أخيك قتله وجمع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة وأهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه فقلت في نفسي متى وقعت أنا في يده قتلني وتراكمت الاحزان وتذكرت الحوادث التي حدثت لابي وأمي ولم أعرف كيف العمل فان ظهرت عرفني أهل المدينة وعسكر أبي فيسعون في قتلي وهلاكي فلم أجد شيئا أنجو به الا حلق ذقني فحلقتها وغيرت ثيابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام لعل أحدا يوصلني الى أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى أحكي له قصتي وماجرى لي فوصلت الى هذه المدينة في هذه الليلة فوقفت حائرا ولم أدر اين امضي واذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له أنا غريب فقال وأنا غريب أيضا فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاء نا وسلم علينا وقال أنا غريب فقلنا له ونحن غريبان فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر اليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت الصبية ملس على رأسك وروح فقال لها لا أروح حتى أسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله أنا ما رأيت مثل الذي جرى لهذا الصعلوك ثم تقدم الصعلوك الثاني وقبل الارض وقال ياسيدتي أنا ما ولدت أعور وانما لي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فانا ملك ابن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء

واجتهدت فى سائر العلوم حتى فقت أهل زماني فعظم حظى عند سائر الكتبة وشاع ذكرى فى سائر الاقاليم والبلدان وشاع خبري عند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فارسل يطلبنى من أبى وأرسل اليه هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزنى أبى فى ست مراكب وسرنا فى البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا الى البر وأخرجنا خيلا كانت معنا فى المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلا واذا بغبار قد علا وثار حتى سد الاقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارسا وهم ليوث عوابس فتأملناهم واذاهم عرب قطاع طريق فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة أحمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا وشرعوا الرماح بين أيديهم نحونا فأشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم نحن رسل الى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا فى أرضه ولا تحت حكمه ثم أنهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد أن جرحت جرحا بليغا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التى كانت معنا فصرت لا أدرى أين أذهب وكنت عزيزا فصرت ذليلا وسرت الى أن أتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت الى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها الربيع بورده ففرحت بوصولى اليها وقد تعبت من المشى وعلاني الهم والاصفرار فتغيرت حالتى ولا أدرى أين أسلك فملت الى خياط فى دكان وسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى وباسطنى وسألنى عن سبب غربتى فاخبرته بما جرى لى من أوله الى آخره فاغتم لاجلى وقال يافتى لا تظهر ما عندك فانى أخاف عليك من ملك هذه المدينة لانه أكبر أعداء أبيك وله عنده ثار ثم أحضر لى مأكولا ومشروبا فاكلت وأكل معى وتحادثت معه فى الليل واخلى لى محلا فى جانب حانوته وأتانى بما احتاج اليه من فراش وغطاء فاقمت عنده ثلاثة أيام ثم قال لى أما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له أنى فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال ان صنعتك فى بلادنا كاسدة وليس فى مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال فقلت والله لا أدرى شيئا غير الذى ذكرته لك فقال شد وسطك وهات فأسا وحبلا واحتطب فى البرية حطبا تتقوت به الى أن يفرج الله عنك ولا تعرف أحدا بنفسك فيقتلوك ثم اشترى لى فأسا وحبلا وارسلنى مع بعض الحطابين واوصاهم على فخرجت معهم واحتطبت فاتيت بحمل على رأسى فبعته بنصف دينار فاكلت ببعضه وأبقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوما على عادتى الى البرية لاحتطب منها ودخلتها فوجدت فيها خميلة أشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة واتيت شجرة وحفرت حولها وأزلت التراب عن جدارها فاصطكت الفاس فى حلقة نحاس فنظفت التراب واذا هى فى طابق من خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى أسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفى عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما أبدع فيها من الحسن والجمال فنظرت الى وقالت لى أنت انسى أم جنى فقلت لها انسى فقالت ومن أوصلك الى هذا المكان الذى لى فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه انسيا أبدا فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها ياسيدتى أوصلنى الله الى منزلك ولعله يزيل همى



(واذاهى فى طابق من خشب فكشفت فبان تحته سلم)

وغمى وحكيت لها ما جرى لى من الأول الى الآخر فصعب عليها حالى وبكت وقالت انا الاخرى أعلمك بقصتى فاعلم أنى بنت ملك أقصى الهند صاحب جزيرة الآبنوس وكان قد زوجنى بابن عمى فاختطفنى ليلة زفافى عفريت اسمه جرجريس بن رجموس بن ابليس فطار بى الى هذا المكان ونقل فيه كل ما أحتاج اليه من الحلى والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب فى كل عشرة أيام يجيئنى مرة فيبيت هنا ليلة وعاهدنى اذا عرضت لى حاجة ليلا أو نهارا أن المس بيدى هذين السطرين المكتوبين على القبة فما أرفع يدى حتى أراه عندى ومنذ كان عندى له اليوم أربعة أيام وبقى له ستة أيام حتى يأتى فهل لك أن تقيم عندى خمسة أيام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدى وادخلتنى من باب مقنطر وانتهت بى الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابى وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة وأجلستنى

معها وأتت بسكر ممسك وسقتني ثم قدمت لي مأكولا فاكلنا وتحادثنا ثم قالت لي نم واسترح فانك تعبان فنمت ياسيدتي وقد نسيت ماجرى لي وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت والله أني كنت ضيقة الصدر وأنا تحت الارض وحدي ولم أجد من يحدثني خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذي أرسلك الي ثم أنشدت

لو علمنا مجيئكم لفرشنا مهجة القلب أو سواد العيون
وفرشنا خدودنا والتقينا ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها في قلبي وذهب عني همي وغمي ثم جلسنا في منادمة الى الليل فبت معها ليلة مارأيت مثلها في عمري وأصبحنا مسرورين فقلت لها هل أطلعك من تحت الارض وأريحك من هذا الجني فضحكت وقالت اقنع واسكت ففي كل عشرة أيام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقد غلب علي الغرام فأنا في هذه الساعة اكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجيء حتى أقتله فاني موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي أنشدت تقول

ياطالبا للفراق مهلا بحيلة قد كفى اشتياق
اصبر فطبع الزمان غدر وآخر الصحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم التفت لكلامها بل رفست القبة رفسا قويا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فني ليلة ١٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثاني قال للصبية ياسيدتي لما رفست القبة رفسا قويا قالت لي المرأة أن العفريت قد وصل الينا أما حذرتك من هذا والله لقد آذيتني ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذي جئت منه فمن شدة خوفي نسيت نعلي وفاسي فلما طلعت درجتين التفت لانظرهما فرأيت الارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر شنع وقال ماهذه الزعجة التي أرعشتني بها فما مصيبتك فقالت ما أصابني شيء غير أن صدري ضاق فأردت أن اشرب شرابا يشرح صدري فنهضت لاقضي أشغالي فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يا فاجرة ونظر في القصر يمينا وشمالا فرأى النعل والفاس فقال لها ماهذه الا متاع الانس من جاء اليك فقالت ما نظرتهما الا في هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال لاينطلي علي ياعاهرة ثم أنه أعراها وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن علي أن أسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورا من الخوف فلما وصلت الى أعلى الموضع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على مافعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهي لها معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها الا بسببي وتذكرت أبي ومملكته وكيف صرت حطابا فقلت هذا البيت

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة فيوم ترى يسرا ويوم ترى عسرا

ثم مشيت الى أن أتيت رفيقي الخياط فلقيته من أجلي على مقالي النار وهو في الانتظار فقال الي

ت البارحه وقلبي عندك وخفت عليك من وحش أوغيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته علي ودخلت خلوتي وجعلت أتفكر فيما جرى لي والوم نفسي على رفسي هذه القبة وإذا بصديقي الخياط دخل علي وقال لي في الدكان شخص أعجمي يطلبك ومعه فاسك وتعلك قد جاء بهما الى الخياطين وقال لهم اني خرجت وقت آذان المؤذن لأجل صلاة الفجر وعثرت بهما ولم أعلم لمن هما فدلوني على صاحبهما فدله الخياطون عليك وها هو قاعد في دكاني فاخرج اليه واشكره وخذ فاسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام أصفر لوني وتغير حالي فبينما أنا كذلك واذا بارض محلي قد انشقت وطلع منها الأعجمي واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشيء فأخذ الفاس والنعل وقال لها ان كنت جرجريس من ذرية ابليس فانا أجيء بصاحب هذا الفاس والنعل ثم جاء بهذه الحيلة الى الخياطين ودخل علي ولم يمهلني بل اختطفني وطار وعلا بي ونزل بي وغاص في الارض وأنا لا أعلم بنفسي ثم طلع بي القصر الذي كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناي بالدموع فأخذها العفريت وقال لها ياعاهرة هذا عشيقك فنظرت الي وقالت له لا أعرفه ولا رأيته الا في هذه الساعة فقال لها العفريت اهذه العقوبة ولم تقري فقالت ما رأيته عمري وما يحل من الله أن اكذب عليه فقال لها العفريت ان كنت لا تعرفينه فخذي هذا السيف واضربي عنقه فاخذت السيف وجاءتني ووقفت على رأسي فأشرت لها بحاجبي ودمعي يجري على وجنتي فنهضت وغمزتني وقالت أنت الذي فعلت بنا هذا كله فاشرت لها ان هذا وقت العفو ولسان حالي يقول

يترجم طرفي عن لساني لتعلموا ويبدوا لكم ما كان صدري يكتم
ولما التقينا والدموع سواجم خرست وطرفي بالهوى يتكلم
تشير لنا عما تقول بطرفها وارمى اليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضي الحوائج بيننا فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية أشارتي رمت السيف من يدها ياسيدتي فناولني العفريت السيف وقال لي اضرب عنقها وأنا اطلقك ولا أنكد عليك فقلت نعم وأخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدي فقالت لي بحاجبها أنا ما قصرت في حقك فهملت عيناي بالدموع ورميت السيف من يدي وقلت أيها العفريت الشديد والبطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقي فكيف يحل لي ان اضرب عنقها ولم أرها عمري فلا أفعل ذلك أبدا ولو سقيت من الموت كاس الردى فقال العفريت أنتما بينكما مودة أخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمنى ثم قطع رجلها اليسرى حتى قطع أربعها بأربع ضربات وأنا أنظر بعيني فأيقنت بالموت ثم أشارت الي بعينيها فرآها العفريت فقال لها قد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت الي وقال ياانسي نحن في شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهي بنت اثنتي عشرة سنة ولم تعرف أحدا غيري وكنت أجيئها في كل عشرة أيام ليلة واحدة في زي رجل أعجمي فلما تحققت انها خانتني قتلتها وأما أنت فلم أتحقق انك خنتني فيها ولكن لا بد اني أما أخليك

فى عافية فتمن على أى ضرر ففرحت ياسيدتى غاية الفرح وطمعت فى العفريت وقلت له وما أتمناه عليك قال أتمن على أى صورة أسحرك فيها أماصورة كلب وأماصورة حمار وأماصورة قرد فقلت له وقد طمعت أنه يعفو عنى والله ان عفوت عنى يعفو الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذيك وتضرعت اليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له أنا مظلوم فقال لى لا تطل على الكلام أما القتل فلا تخف منه وأما العفو عنك فلا تطمع فيه وأما سحرك فلا بد منه ثم شق الارض وطار بي الى الجو حتى نظرت الى الدنيا كأنها قصعة ماء ثم حطنى على جبل وأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشنى وقال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن مائة سنة فلما رأيت نفسي فى هذه الصورة القبيحة بكيت على روحى وصبرت على جور الزمان وعلمت ان الزمان ليس لاحد وانحدرت من أعلى الجبل الى أسفله وسافرت مدة شهر ثم ذهبت الى شاطىء البحر المالح فوقفت ساعة واذا انا بمركب فى وسط البحر قد طاب ريحها وهى قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت الى أن أتيت وسط المركب فقال واحد منهم اخرجوا هذا المشؤم من المركب وقال واحد منهم نقتله وقال آخر أقتله بهذا السيف فامسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعى فحن على الريس وقال لهم يا تجار ان هذا القرد استجار بى وقد أجرته وهو فى جوارى فلا أحد يعرض له ولا يشوش عليه ثم ان الريس صار يحسن الى ومهما تكلم به أفهمه واقضى حوائجه كلها واخدمه فى المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوما فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصى عددهم الا الله تعالى فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا فجاءتنا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا ان ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد أرسل اليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد يكتب فيه سطرا فقمت وأنا فى صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم فخافوا انى أقطعه وأرميه فى الماء فنهرونى وأرادوا اقتلى فأشرت لهم انى أكتب فقال لهم الريس دعوه يكتب فان لخبط الكتابة طردناه عنا وان أحسنها اتخذته ولدا فانى ما رأيت قردا أفهم منه ثم أخذ القلم واستمديت الحبر وكتبت سطرا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر

لقد كتب الدهر فضل الكرام ❊ وفضلك للآن لا يحسب
فلا أيتم الله منك الورى ❊ لانك للفضل نعم الأب

(وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين)

وما من كاتب الا سيفنى ❊ ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء ❊ يسرك فى القيامة ان تراه

(وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين)

اذا فتحت دواة العز والنعم ❊ فاجعل مدادك من جود ومن كرم
واكتب بخيراذا ما كنت مقتدرا ❊ بذاك شرفت فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به الى الملك فلما تأمل الملك ما فى ذلك الدرج لم يعجبه

خط أحد الا خطى فقال لاصحابه توجهوا الى صاحب هذ الخط والبسوه هذه الحلة وأركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة وأحضروه بين يدى فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف آمركم بأمر فتضحكون على فقالوا أيها الملك ما نضحك على كلامك بل الذي كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميا وهو مع ريس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال أريد ان اشترى هذا القرد ثم بعث رسلا الى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لابد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا إلى المركب وأخذونى من الريس والبسونى الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون على فلما طلعوا بى الى الملك ورأيته قبلت الارض بين يديه ثلاث مرات فامرني بالجلوس فجلست على ركبتى فتعجب الحاضرون من أدبى وكان الملك أكثرهم تعجبا ثم ان الملك أمر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا الملك والطواشى ومملوك صغير وأنا ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فأشار الى الملك ان كل فقمت وقبلت الارض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد ارتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدى وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين

اناجر الضأن ترياق من العلل   وأصحن الحلو فيها منتهى أملى
يالهف قلبي على مد السماط اذا   ماجت كنافته بالسمن والعسل

ثم قمت وجلست بعيدا انتظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هذا يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله ان هذا من أعجب العجب ثم قدم للملك شطرنج فقال لى الملك اتلعب قلت برأسى نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا آدميا لفاق أهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب الى سيدتك وقل لها كلمى الملك حتى تجيء فتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشى وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما نظرت الى غطت وجهها وقالت يا أبى كيف طاب على خاطرك أن ترسل الى فيرانى الرجال الاجانب فقال يا بنتى ماعندى سوى المملوك الصغير والطواشى الذى رباك وهذا القرد وأنا أبوك فمن تغطين وجهك فقالت ان هذا القرد ابن ملك واسم أبيه ايمار صاحب جزائر الابنوس الداخلة وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذي هو من ذرية ابليس وقد قتل زوجته بنت ملك اقناموس وهذا الذي تزعم أنه قرد انما هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر الى وقال أحق ماتقول عنك فقلت برأسى نعم وبكيت فقال الملك لبنته من أين عرفت أنه مسحور فقالت يا أبت كان عندي وأنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتنى صناعة السحر وقد حفظته وأتقنته وعرفت مائة وسبعين بابا من أبوابه أقل باب منها انقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف وأجعلها لجة بحرا وأجعل أهلها سمكا في وسطه فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصى لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيرى وهل فيك هذه الفضيلة ولم أعلم تخلصيه حتى أجعله وزيري لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة ثم أخذت بيدها سكينا وعملت دائرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصعلوك قال للصبية ياسيدتي ثم ان بنت الملك أخذت بيدها سكينا مكتوبا عليها اسماء عبرانية وخطت بها دائرة في وسط وكتبت فيها اسماء وطلاسم وعزمت بكلام وقرأت كلاما لا يفهم فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا ان الدنيا قد انطبقت علينا واذا بالعفريت قد تدلى علينا في أقبح صفة بايد كالمداري ورجلين كالصواري وعينين كمشعلين يوقد ان نارا ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا اهلا بك ولا سهلا فقال العفريت وهو في صورة أسد ياخائنة كيف خنت اليمين اما تحالفنا على انه لا يتعرض احد للآخر فقالت له ياللعين ومن أين لك يمين فقال العفريت خذي ماجاءك ثم انقلب أسدا وفتح فاه وهجم على الصبية فاسرعت وأخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا وضربت ذلك الاسد نصفين فصارت رأسه عقربا وانقلبت الصبية حية عظيمة وهجمت على هذا اللعين وهو في صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا وصارت وراء العقاب واستمر ساعة زمانية ثم انقلب العقاب قطا اسود فانقلبت الصبية ذئبا فتشاحنا في القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالا شديدا فرأى القط نفسه مغلوبا فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة في بركة فقصدها الذئب فارتفعت في الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت أرض القصر حبا فانقلب ذلك الذئب ديكا لاجل ان يلتقط ذلك الحب حتى لا يترك منه حبة فبالامر المقدر تدارت حبة في جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف باجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لا نفهم مايقول ثم صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها ان القصر قد انقلب علينا ودار في أرض القصر كلها حتى رأى الحبة الذى تدارت في جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها واذا بالحبة سقطت في الماء فانقلب الديك حوتا كبيرا ونزل خلفها وغاب ساعة واذا بنا قد سمعنا صراخا عاليا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار فالقى من فمه نارا ومن عينيه ومنخريه نارا ودخانا وانقلبت الصبية لجة نار فاردنا أن نغطس في ذلك الماء خوفا على أنفسنا من الحريق والهلاك فما نشعر الا والعفريت قد صرخ من تحت النيران وصار عندنا في الايوان ونفخ في وجوهنا بالنار فلحقته الصبية ونفخت في وجهه بالنار أيضا فاصابنا الشرر منها ومنه فاما شررها فلم يؤذينا وأما شرره فلحقني منه شرارة في عيني فاتلفتها وانا في صورة القرد ولحق الملك شرارة منه في وجهه فأحرقت نصفه التحتاني بذقنه وحنكه ووقعت أسنانه التحتانية ووقعت شرارة في صدر الطواشي فاحترق ومات من وقته وساعته فايقنا بالهلاك وقطعنا رجاءنا من الحياة فبينما نحن كذلك واذا بقائل يقول الله أكبر الله أكبر قد فتح ربي ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر واذا بالقائل بنت الملك قد احرقت العفريت فنظرنا اليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية الينا وقالت الحقوني بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ثم رشتني بالماء وقالت اخلص بحق الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى فصرت بشرا كما كنت أولا ولكن تلفت عيني فقالت الصبية النار النار يا والدي ثم انها لم تزل تستغيث من النار واذا بشرر اسود قد طلع

الى صدرها وطلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بكت وقالت أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها فرأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا أرى ذلك الوجه المليح الذي عمل في هذا المعروف يصير رمادا لكن حكم الله لا يرد فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان في حالة العدم وعنده كوم رماد فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة فلما أفاق أخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجواري وعملوا العزاء سبعة أيام ثم ان الملك أمر ان يبنى على رماد ابنته قبة عظيمة واوقد فيها الشموع والقناديل وأما رماد العفريت فانهم أذروه في الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا أشرف منه على الموت واستمر مرضه شهرا وعادت اليه العافية فطلبني وقال لي يافتى قد قضينا زماننا في أهنأ عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا فاقبلت علينا الاكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأينا طلعتك القبيحة التي لسببها صرنا في حالة العدم فاولا عدمت ابنتي التي كانت تساوي مائة رجل وثانيا جرى لي من الحريق ما جرى وعدم أضراسي ومات خادمي ولكن ما بيدك حيلة بل جري قضاء الله علينا وعليك والحمد لله حيث خلصتك ابنتي واهلكت نفسها فاخرج ياولدي من بلدي وكفى ما جري بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام فخرجت ياسيدتي من عنده وما صدقت بالنجاة ولا أدري أين أتوجه وخطر على قلبي ما جرى لي وكيف خلوني في الطريق سالما منهم ومشيت شهرا وتذكرت دخولي في المدينة غريبا واجتماعي بالخياط واجتماعي بالصبية تحت الارض وخلاصي من العفريت بعد ان كان عازما على قتلي وتذكرت ما حصل لي من المبدأ الى المنتهى فحمدت الله وقلت بعيني ولا بروحي ودخلت الحمام قبل ان أخرج من المدينة وحلقت ذقني وجئت ياسيدتي وفي كل يوم أبكي وانفكر المصائب التي عاقبتها تلف عيني وكلما أتذكر ماجرى لي ابكي وأنشد هذه الابيات

تحيرت والرحمن لاشك في أمري	وحلت بي الاحزان من حيث لا أدري
سأصبر حتى يعلم الناس انني	صبرت على شيء أمر من الصبر
وما أحسن الصبر الجميل مع التقى	وماقدر المولى على خلقه يجري
سرائري سري ترجمان سريرتي	اذا كان سرا لسر سرك في سري
ولو ان ما بي بالجبال لهدمت	وبالنار اطفاها وبالريح لم يسر
ومن قال ان الدهر فيه حلاوة	فلا بد من يوم أمر من المر

ثم سافرت الاقطار ووردت الامصار وقصدت دار السلام بغداد لعلي أتوصل الى أمير المؤمنين وأخبره بما جرى لي فوصلت الى بغداد هذه الليلة فوجدت أخي هذا الاول واقفا متحيرا فقلت السلام عليك وتحدثت معه واذا باخينا الثالث قد أقبل علينا وقال السلام عليكم انا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن الثلاثة وما فينا أحد يعرف حكاية أحد

فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت له ان كانت حكايتك غريبة فامسح على رأسك واخرج الى حال سبيلك فقال لا اخرج حتى أسمع حديث رفيقي. فتقدم الصعلوك الثالث وقال ايتها السيدة الجليلة ماقصتي مثل قصتهما بل قصتي أعجب وذلك ان هذين جاءهما القضاء والقدر واما أنا فسبب حلق ذقني وتلف عيني انني جلبت القضاء لنفسي والهم لقلبي وذلك انى كنت ملكا ابن ملك ومات والدي وأخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت وأحسنت للرعية وكان لى محبة فى السفر فى البحر وكانت مدينتي على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فاردت ان أتفرج على الجزائر فنزلت فى عشرة مراكب وأخذت معي مؤونة شهر وسافرت عشرين يوما ففى ليلة من الليالى هبت علينا رياح مختلفة الى ان لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى أشرقت الشمس ثم اننا اشرفنا على جزيرة وطلعنا الى البر وطبخنا شيئا نأكله فاكلنا ثم أقمنا يومين وسافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع على الصاري ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس رأيت عن يميني سمكا على وجه الماء ونظرت الى وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح تارة اسود وتارة أبيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضرب الارض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس ابشروا بهلاكنا جميعاً ولا يسلم منا أحد وشرع يبكي وكذلك نحن الجميع نبكي على أنفسنا فقلت ايها الريس اخبرنا بما رأى الناظور فقال ياسيدى اعلم اننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح الا بكرة النهار ثم أقمنا يومين فتهنا في البحر ولم نزل تائهين أحد عشر يوما من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدون آخر النهار وفى غد نصل الى جبل من حجر اسود يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصبا الى جهته فتمزق المركب ويروح كل مسمار فى المركب الى الجبل ويلتصق به لان الله وضع فى حجر المغناطيس سرا وهو ان جميع الحديد يذهب اليه وفي ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل وعلى ذلك البحر قبة من النحاس الاصفر معمودة على عشرة أعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفى يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق فى صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه اسماء وطلاسم فيها ايها الملك مادام هذا الفارس راكبا على هذه الفرس تنكسر المراكب التى تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعا ويلتصق جميع الحديد الذى فى المركب بالجبل وما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم ان الريس ياسيدتى بكى بكاء شديدا فتحققنا اننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه اليه غصباً فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله في آخر النهار وتمزقت المراكب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن أكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لان تلك الامواج واختلاف الارياح أدهشتهم واما انا ياسيدتي فنجاني الله تعالى لما أراده من مشقتي وعذابي وبلوتي فطلعت على لوح من الالواح فالقاه الريح والامواج الى جبل فاصبت طريقا متطرفا الى أعلاه على هيئة السلالم

منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعة مكتفون والعبيد واقفين بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله ودعوته وابتهلت اليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت اتمسك بالنقر التى فيه حتى أسكن الله الريح فى تلك الساعة وأعاننى على الطلوع فطلعت سالما على الجبل وفرحت بسلامتى غاية الفرح ولم يكن لى دأب الا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكرا لله على سلامتى ثم انى نمت تحت القبة فسمعت قائلا يقول ليا ابن خصيب اذا انتهيت من منامك فاحفر تحت رجليك قد قوسا من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم فخذ القوس والنشابات وارم الفارس الذى على القبة وارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع فى البحر ويقع القوس من يدك فخذ القوس وادفنه فى موضعه فاذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الذى رميته فيجىء اليه وفى يده مجذاف فاركب معه ولا تسم الله تعالى فانه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام الى ان يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك وهذا انما يتم لك اذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومى وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس فرميته فوقع فى البحر ووقع القوس من يدى فاخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذى أنا عليه فلم البث غير ساعة حتى رأيت زورقا فى وسط البحر يقصدنى فحمدت الله تعالى فلما وصل الى الزورق وجدت فيه شخصا من النحاس فى صدره لوح من الرصاص منقوش باسماء وطلاسم فنزلت فى الزورق وانا ساكت لا أتكلم فحملنى الشخص اول يوم والثانى والثالث الى تمام عشرة أيام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ومن شدة فرحى ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفنى من الزورق فى البحر ثم رجع فى البحر وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل حتى كلت سواعدى وتعبت أكتافى وصرت فى الهلكات ثم تشهدت وايقنت بالموت وهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتنى وقذفتنى قذفة صرت بها فوق البر لما يريد الله فطلعت البر وعصرت ثيابى ونشفتها على الأرض وبت فلما أصبحت لبست ثيابى وقمت أنظر أين أمشى فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذى فيه جزيرة صغيرة والبحر محيط بها فقلت فى نفسى كلما أخلص من بلية اقع فى أعظم منها فبينما انا متفكر فى أمرى واتمنى الموت اذ نظرت مركبا فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة واذا بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحى فمشوا حتى وصلوا الى وسط الجزيرة وحفروا فى الارض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم الى المركب ونقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا واغناما وجميع ما يحتاج اليه الساكن وصار العبيد مترددين بين المركب وباب الطابق وهم يحولون من المركب وينزلون فى الطابق الى أن نقلوا جميع ما فى المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب أحسن ما يكون وفى وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمنا طويلا واضعفه الدهر حتى صار فانيا وبيد ذلك الشيخ فى يده

بصبي قد افرغ في قالب الجمال والبس حلة الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلب بجماله ويسلب كل لب بكماله فلم يزالوا يا سيدتي سائرين حتى أتوا الى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عيني فلما توجهوا اقمت ونزلت من فوق الشجرة ومشيت الى موضع الردم ونبشت التراب ونقلته وصبرت نفسي حتى ازلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب مقدار حجر الطاحون فرفعته فبان من تحته سلم معقود من حجر فتعجبت من ذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت شيئا نظيفا ووجدت بستانا اولا وثانيا وثالثا الى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان أرى فيه مما يكل عنه الواصفون من أشجار وأنهار وأثمار وذخائر ورأيت بابا فقلت في نفسي ما الذي في هذا المكان فلا بد أن أفتحه وانظر ما فيه ثم فتحته ووجدت فيه فرسا مسرجا ملجما مربوطا ففككته وركبته فطار بي الى ان حطني على سطح وانزلني وضربني بذيله فاتلف عيني وفرمني فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شبان عور فلما رأوني قالوا الامرحبا بك فقلت لهم أتقبلوني اجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكي العين وكتب الله لي السلامة حتى وصلت الى بغداد فحلقت ذقني وصرت صعلوكا فوجدت هذين الاثنين الاعورين فسلمت عليهما وقلت لهما أنا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا سبب تلف عيني وحلق ذقني فقالت له امسح على راسك وروح فقال والله لا أروح حتى أسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم اخبروني بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض فخرجوا الى ان صاروا في الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة الى اين تذهبون فقالوا ما ندري أين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وبيتوا عندنا وقال لجعفر خذهم وأحضرهم لي غدا حتى ننظر ما يكون فامتثل جعفر ما أمره به الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره ولم يجئه نوم في تلك الليلة فلما أصبح جلس على كرسي المملكة ودخلت عليه أرباب الدولة فالتفت الى جعفر بعد ان طلعت أرباب الدولة وقال ائتني بالثلاث صبايا والكلبتين والصعاليك فنهض جعفر وأحضرهم بين يديه فادخل الصبايا تحت الاستار والتفت لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما اسلفتن من الاحسان الينا ولم تعرفنا فها انا أعرفكن وأنتن بين يدي الخامس من بني العباس هرون الرشيد فلا تخبرنه الا حقا فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا أمير المؤمنين ان لي حديثا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٧) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدي امير المؤمنين قالت ان لي حديثا عجيبا وهو ان هاتين الصبيتين أختاي من أبي من غير أمي فمات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار وكنت أنا أصغرهن سنا فتجهزت أختاي وتزوجت كل واحدة برجل ومكثنا مدة ثم ان كل واحد من أزواجهما هيأ متجرا وأخذ من زوجته ألف دينار وسافر واحد مع بعضهم وتركوني فغابوا أربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما في بلاد الناس فجاآني في هيئة الشحاتين فلما رأيتهما

ذهلت عنهما ولم أعرفهما ثم انى لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا أختنا ان الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فارسلتهما الى الحمام والبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا اختى انتما الكبيرة وانا الصغيرة وانتم عوض عن أبى وامى والارث الذى نابنى معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته واحوالى جايلة وانا واياكما سواء وأحسنت اليهما غاية الاحسان فمكثنا عندى مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالى فقالتا لى ان الزواج خير لنا وليس لنا صبر عنه فقلت لهما يا اختى لم تريا فى الزواج خيرا فان الرجل الجيد قليل فى هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامى وتزوجا بغير رضاى فزوجتهما من مالى وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فاقاما مدة يسيرة ولعب عليهما زوجهما واخذ ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندى وهما عريانتان واعتذرتا وقالتا لا تؤاخذينا فانت أصغر منا سنا واكمل عقلا وما بقينا نذكر الزواج أبدا فقلت مرحبا بكما يا أختى ما عندي أعز منكما وقبلتهما وزدتهما اكراما ولم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فاردت أن أجهز لى مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما أحتاج اليه فى المركب وقلت يا أختى هل لكما أن تقعدوا فى المنزل حتى أسافر وأرجع أو تسافرا معى فقالتا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فاخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالى نصفين فاخذت النصف وخبأت النصف الثانى وقلت ربما يصيب المركب شىء ويكون فى العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيئاً ينفعنا ولم نزل مسافرين أياما وليالى فتاهت بنا المركب وغفل الريس عن الطريق ودخلت المركب بحرا غير البحر الذى نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة أيام فلاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التى أشرفنا عليها فقال والله لا أعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمرى هذا البحر ولكن جاء الامر بسلامة فما بقى الا ان تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فان حصل لكم بيع فبيعوا وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا الى المدينة وتعجبوا من صنع الله فى خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها مسخوطا حجارة سوداء فاندهشنا من ذلك ومشينا فى الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له أمر عجيب وتفرقنا فى شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش وأما أنا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت فيه جميع الاوانى من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزرائه وعليه من الملابس شىء يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالسا على كرسى مرصع بالدر والجواهر فيه كل درة تضىء كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقفا حوله خمسون مملوكا لابسين انواع الحرير وفى أيديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلى ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت فى حيطانها ستائر من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بانواع الجواهر وفى عنقها قلائد وعقود وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهى ممسوخة حجر اسود ووجدت بابا مفتوحا فدخلته ووجدت فيه سلما بسبع درج فصعدته فرأيت مكانا مرخما مفروشا بالبسط المذهبة ووجدت

فيه سريرا من المرمر مرصعا باللؤلؤ والجواهر ونظرت نورا لامعاً فى جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسى صغير وهو تضىء كالشمعة ونورها ساطع ومفروش على ذلك السرير من أنواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت الى ذلك تعجبت ورأيت فى ذلك المكان شموعا موقدا فقلت فى نفسى لا بد ان أحداً أوقد هذه الشموع ثم انى مشيت حتى دخلت موضعا غيره وصرت أفتش فى الاماكن ونسيت نفسى مما دهشنى من التعجب من تلك الاحوال واستغرق فكرى الى أن دخل الليل فاردت الخروج فلم أعرف الباب وتهت عنه فعدت الى الجهة التى فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد أن قرأت شيئاً من القرآن وأردت النوم فلم أستطع ولحقنى القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت الى مخدع فرأيت بابه مفتوحا فدخلت الباب ونظرت المكان فاذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن المنظر فتعجبت كيف هو سالم دون أهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد على السلام فقلت له أسألك بحق ما تتلوه من كتاب الله أن تجيبنى عن سؤالى فتبسم وقال اخبرينى عن سبب دخولك هذا المكان وأنا اخبرك بجواب ما تسألينه عنه فاخبرته بخبرى فتعجب من ذلك ثم اننى سألته عن خبر هذه المدينة فقال امهلينى ثم طبق المصحف وأدخله فى كيس من الاطلس وأجلسنى بجنبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر حسن الاوصاف لين الاعطاف بهى المنظر رشيق القد أسيل الخد زهى الوجنات كانه المقصود من هذه الابيات

رصد النجم ليله فبدا له ... قد المليح يميس في برديه
وأمده زحل سواد ذوائب ... والمسك هادى الخال فى خديه
وغدت من المريخ حمرة خده ... والقوس يرمى النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه ... وأبى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى ... والبدر باس الارض بين يديه

فنظرت له نظرة أعقبتنى الف حسرة واوقدت بقلبي كل جمرة فقلت له يامولاى اخبرنى عما سألتك فقال سمعا وطاعة اعلمى ان هذه المدينة مدينة والدى وجميع أهله وقومه وهو الملك الذى رأيتيه على الكرسى ممسوخا حجرا وأما الملكة التى رأيتيها فهى أمى وقد كانوا مجوسا يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذى يدور وكان أبى ليس له ولد فرزق بى فى آخر عمره فربانى حتى نشئت وقد سبقت لى السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة فى السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله فى الباطن وتوافق أهلى فى الظاهر وكان أبى يعتقد فيها لما يرى عليها من الامانة والعفة وكان يكرمها ويزيد فى اكرامها وكان يعتقد أنها على دينه فلما كبرت سلمنى أبى اليها وقال خذيه وربيه وعلميه أحوال ديننا واحسنى تربيته وقومى بخدمته فأخذتنى العجوز وعلمتنى دين

الاسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتني القرآن فلما أتممت ذلك قالت لي باولدي أكتم هذا الامر عن أبيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم أزل على هذا الحال مدة أيام قلائل وقد ماتت العجوز وزاد أهل المدينة في كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ماهم فيه اذ سمعوا مناديا ينادي بأعلى صوته مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا أهل هذه المدينه ارجعوا عن عبادة النار واعبدوا الملك الجبار فحصل عند أهل المدينة فزع واجتمعوا عند أبي وهو ملك المدينة وقالوا له ماهذا الصوت المزعج الذي سمعناه فاندهشنا من شدة هوله فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يفزعنكم ولا يردكم عن دينكم قالت فلو بهم الى قول أبي ولم يزالوا مكبين على عبادة النار واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوا ثلاث مرات على ثلاث سنين في كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ماهم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا حجارة سودا وكذلك دوابهم وأنعامهم ولم يسلم من أهل هذه المدينة غيري ومن يوم جرت هذه الحادثة وأنا على هذه الحالة في صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقد يئست من الوحدة وما عندي من يؤنسني فعند ذلك قلت له أيها الشاب هل لك ان تروح معي الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والى الفقهاء فتزداد علما وفقها وأكون أنا جاريتك مع أني سيده قومي وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندي مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سببا في اطلاعنا على هذه الامور وكان النصيب في اجتماعنا ولم أزل أرغبه في التوجه حتى أجابني اليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصبية مازالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهي لا تصدق بما هي فيه من الفرح ثم قالت فلما أصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن وأخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون علي فلما رأوني فرحوا بي وسألوني عن سبب غيابي فأخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ أهل هذه المدينة وما جرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رآني أختاي ومعي ذلك الشاب حسدتاني عليه وصارتا في غيظ وأضمرتا المكر لي ثم نزلنا المركب وأنا بغاية الفرح وأكثر فرحي بصحبة هذا الشاب وأقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعدت أختاي عندنا وصارتا يتحدثان فقالتا لي يا أختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدي ان أتخذه بعلا ثم التفت اليه وأقبلت عليه وقلت يا سيدي انا اقصد ان أقول لك شيئا فلا تخالفني فيه فقال سمعا وطاعة ثم التفت الى أختاي وقلت لهما يكفيني هذا الشاب وجميع هذه الاموال لكما فقالتا نعم ما فعلت ولكنهما أضمرتا لي الشر ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الامان وسافرنا أياما قلائل الى أن قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا أبنيتها فلما أدركنا المساء فلما أخذنا النوم قامت أختاي وحملتاني أنا والغلام بفرشنا ورمتانا في البحر فأما الشاب فانه كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء وأما أنا فكتبت من السالمين فلما سقطت في

البحر رزقني الله بقطعة خشب فركبتها وضربتني الامواج الى ان رمتني على ساحل جزيرة فلم أزل أمشي في الجزيرة باقي ليلتي فلما أصبح الصباح رأيت طريقا فيه أثر مشي على قدر قدم ابن آدم وتلك الطريق متصلة من الجزيرة الى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابي فيها وسرت في الطريق ولم أزل سائرة الى أن قربت من البر الذي فيه المدينة واذا أنا بحية تقصدني وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فاخذتني الشفقه عليها فعمدت الى حجر والقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحين وصارت في الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت في موضعي ساعة فلما افقت وجدت تحت رجلي جارية وهي تكبس رجلي فجلست واستحيت منها وقلت لها من أنت وماشأنك فقالت ما اسرع ما نسيتيني أنت التي فعلت معي الجميل وقتلت عدوي فاني الحية التي خلصتيني من الثعبان فاني جنية وهذا الثعبان جني وهو عدوي وما نجاني منه الا أنت فلما نجيتيني منه طرت في الريح وذهبت الى المركب التي رماك منها أختاك ونقلت جميع مافيها الى بيتك وأغرقتها وأما أختاك فاني سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فاني عرفت جميع ماجرى لك معهما وأما الشاب فانه غرق ثم حملتني أنا والكلبتين والقتنافوت سطح داري فرأيت جميع ما كان في المركب من الاموال في وسط بيتي ولم يضع منه شيء ثم ان الحية قالت لي وحق النقش الذي على خاتم سليمان اذا لم تضربي كل واحدة منهما في كل يوم ثلثمائة سوط لآتين واجعلنك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم أزل يا أمير المؤمنين اضربهما ذلك الضرب واشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وأنت ماسبب الضرب الذي على جسدك فقالت يا أمير المؤمنين اني كان لي والد وخلف مالا كثيرا فاقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه فاقمت معه سنة كاملة ومات فورثت منه ثمانين ألف دينار فبينما أنا جالسة في يوم من الايام اذ دخلت علي عجوز بوجه مسعوط وحاجب ممعوط وعيونها مفجرة وأسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر

عجوز النحس ابليس يراها … تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة ألف بغل … اذا انفردوا بخيط العنكبوت

فلما دخلت العجوز سلمت علي وقالت ان عندي بنتا يتيمة والليلة عملت عرسها وأنا قصدي لك الاجر والثواب فاحضري عرسها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى ثم بكت وقبلت رجلي فاخذتني الرحمة والرأفة فقلت سمعا وطاعة فقالت جهزي نفسك فاني وقت العشاء أجيء وآخذك ثم قبلت يدي وذهبت فقمت وهيأت نفسي وجهزت حالي واذا بالعجوز قد أقبلت وقالت ياسيدتي ان سيدات البلد قد حضرن وأخبرتهن بحضورك ففرحن وهن في انتظارك فقمت وتهيأت وأخذت جواري معي وسرت حتى أتينا الى زقاق هب فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مقنطرة قبة من الرخام مشيدة البنيان وفي داخلها قصر قد قام من التراب وتعلق بالسحاب فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزا مفروشا بالبسط معلقا فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة

وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا فى الدهليز الى أن دخلنا القاعة فلم يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقا فيها القناديل الموقدة والشموع المضيئة وفى صدر القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الاطلس واذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر فقالت لى مرحبا وأهلا وسهلا ياأختى آنستينى وجبرت خاطرى وأنشدت تقول

لوتعلم الدار من قد زارها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم
واعلنت بلسان الحال قائلة أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم ،

ثم جلست وقالت ياأختى ان لى أخا وقد رآك فى بعض الافراح وهو شاب أحسن منى وقد أحبك قلبه حبا شديدا وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك وعملت الحيلة لاجل اجتماعه بك ويريد أخى أن يتزوجك بسنة الله ورسوله وما فى الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسى قد انحجزت فى الدار فقلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابا فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر

قدزاد حسنا تبارك الله جل الذي صاغه وسواه
قد حاز كل الجمال منفردا كل الورى فى جماله تهواه
قد كتب الحسن فوق وجنته أشهد ان لامليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبي له ثم جاء وجلس واذا بالقاضى قد دخل ومعه أربع شهود فسلموا وجلسوا ثم انهم كتبوا كتابى على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب الى وقال ليلتنا مباركة ثم قال ياسيدتى انى شارط عليك شرطا فقلت ياسيدى وما الشرط فقام وأحضر لى مصحفا وقال احلفى لى انك لا تختارى أحدا غيرى ولا تميلى اليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحا شديدا وعانقنى فاخذت محبته بمجامع قلبي وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى اكتفينا فدخل علينا الليل فأخذنى ونام معى على الفراش وبتنا فى عناق الى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن فى هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته فى انى أسير الى السوق واشترى بعض قماش فاذن لى فى الرواح فلبست ثيابى واخذت العجوز معى ونزلت فى السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لى هذا ولد صغير مات أبوه وخلف له مالا كثيرا ثم قالت له هات أعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال لها سمعا وطاعة فصارت العجوز تثنى عليه فقلت ما لنا حاجة بثنائك عليه لان مرادنا ان نأخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فاخرج لنا ما طلبناه وأعطيناه الدراهم فابى أن يأخذ شيئا وقال هذه ضيافتكم اليوم عندي فقلت للعجوز ان لم يأخذ الدراهم أعطه قماشه فقال والله لا آخذ شيئا والجميع هدية من عندى فى قبلة واحدة فانها عندى أحسن من ما فى دكانى فقالت العجوز ما الذى يفيدك من القبلة ثم قالت يابنتى قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شىء اذا أخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها أما تعرفين انى حالفة فقالت دعيه يقبلك وأنت ساكتة ولا عليك شيء وتأخذين هذه

الدراهم ولا زالت تحسن لى الامر حتى أدخلت رأسي فى الجراب ورضيت بذلك ثم أنى غطيت عيني وداريت بطرف ازارى من الناس وحطت فمه تحت ازارى على خدى فما قبلني حتى عضني عضة قوية حتى قطع اللحم من خدى فغشي على ثم أخذتني العجوز فى حضنها فلما افقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لى الحزن وتقول ما دفع الله كان أعظم ثم قالت لى قومى بنا الى البيت واعملى نفسك ضعيفة وأنا أجىء اليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئين سريعا فبعد ساعة قمت من مكانى وأنا فى غاية الفكر واشتداد الخوف فمشيت حتى وصلت الى البيت واظهرت حالة المرض واذا بزوجى داخل وقال ما الذى أصابك يا سيدتي فى هذا الخروج فقلت له ها أنا طيبة فنظر الى وقال لى ما هذا الجرح الذى بخدك وهو فى المكان الناعم فقلت لما استأذنتك وخرجت فى هذا النهار لاشترى القماش زاحمني جمل حامل حطبا فشرمط نقابى وجرح خدى كما ترى فان الطريق ضيق فى هذه المدينة فقال غدا أروح للحاكم وأشكو اليه فيشنق كل حطاب في المدينة فقلت بالله عليك لا تتحمل خطيئة أحد فاني ركبت حمارا نفر بي فوقعت على الارض فصادفني عود فخدش خدى وجرحني فقال غدا اطلع لجعفر البرمكي واحكى له الحكاية فيقتل كل حمار فى هذه المدينة فقلت هل أنت تقتل الناس كلهم بسببي وهذا الذى جرى لى بقضاء الله وقدره فقال لا بد من ذلك وشدد على ونهض قائما وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فسحبونى من فرشى ورمونى فى وسط الدار ثم أمر عبدا منهم أن يمسكنى من اكتافى ويجلس على رأسى وأمر الثانى أن يجلس على ركبتى ويمسك رجلى وجاء الثالث وفى يده سيف فقال يا سيدى اضربها بالسيف فاقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها فى بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الايمان والمودة وانشد هذا الشعر

اذا كان لى فيمن أحب مشارك ... منعت الهوي روحي ليتلفني وجدى
وقلت لها يا نفس موتى كريمة ... فلا خير فى حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد اضربها يا سعد فجرد السيف وقال اذكرى الشهادة وتذكرى ما كان لك من الحوائج وأوصي فان هذا آخر حياتك فقلت له يا عبد الخير تمهل على قليلا حتى أتشهد وأوصى ثم رفعت رأسى ونظرت الى حالى وكيف صرت فى الذل بعد العز فجرت عبرتى وبكيت وأنشدت هذه الابيات

أقمتم فؤادى فى الهوى وقعدتم ... وأسهرتم جفنى القريح ونمتم
ومنزلكم بين الفؤاد وناظرى ... فلا القلب يسلوكم ولا الدمع يكتم
وعاهدتمونى ان تقيموا على الوفا ... فلما تملكتم فؤادى غدرتم
ولم ترحموا وجدى بكم وتلهفى ... أأنتم صروف الحادثات أمنتم
سألتكم بالله ان مت فاكتبوا ... على لوح قبرى ان هذا متيم
لعل شجيا عارفا لوعة الهوى ... يمر على قبر المحب فيرحم

فلما فرغت من شعرى بكيت فلما سمع الشعر ونظر الى بكائى ازداد غيظا على غيظه وأنشد هذين البيتين

تركت حبيب القلب لاعن ملالة ... ولكن جنى ذنبا يؤدى الى الترك
اذا ارى شريكا فى المحبة بيننا ... وايمان قلبي لايميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته واذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها على أقدام الشاب وقبلتها وقالت ياولدى بحق تربيتى لك تعفو عن هذه الصبية فانها مافعلت ذنبا يوجب ذلك وأنت شاب صغير فاخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال عفوت عنها ولكن لابدلى أن أعمل فيها أثرا يظهر عليها بقية عمرها ثم أمر العبيد فجذبونى من ثيابى واحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدى بالضرب ولم يزل يضربنى ذلك الشاب على ظهرى وجنبى حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب وقد يئست من حياتى ثم أمر العبيد أنه اذا دخل الليل يحملوننى ويأخذون العجوز معهم ويرموننى فى بيتى الذى كنت فيه سابقا ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورمونى فى بيتى فتعاهدت نفسى وتداويت فلما شفيت بقيت أضلاعى كانها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت فى مداواة نفسى أربعة أشهر حتى شفيت ثم جئت الى الدار التى جرت لى فيها ذلك الامر فوجدتها خربة ووجدت الزقاق مهدوما من أوله الى اخره ووجدت فى موضع الدار كيمانه ولم أعلم سبب ذلك فجئت الى أختى هذه التى من أبي فوجدت عندها هاتين الكلبتين فسلمت عليها وأخبرتها بخبرى وبجميع ماجرى لى فقالت من ذا الذى من نكبات الزمان سلم الحمد لله الذى جعل الامر بسلامة ثم أخبرتنى بخبرها وبجميع ماجرى لها من أختيها وقعدت أنا وهى لانذكر خبر الزواج على السنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة في كل يوم تخرج فتشترى لنا مانحتاج اليه من المصالح على جري عادتها فوقع لنا ماوقع من مجىء الحمال والصعاليك ومن مجيئكم فى صفة تجار فلما صرنا فى هذا اليوم ولم نشعر الا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخا مثبتا فى خزانته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة فى الدواوين ويجعلوها فى خزانة الملك ثم أنه قال للصبية الاولى هل عندك خبر بالعفريتة التى سحرت أختيك قالت ياأمير المؤمنين أنها أعطتنى شيئا من شعرها وقالت ان أردت حضوري فاحرقى من هذا الشعر شيئا فاحضر اليك عاجلا ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضرى لى الشعر فاحضرته الصبية فاخذه الخليفة واحرق منه شيئا فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دويا وصلصلة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك ياخليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية ذرعت معى جميلا ولا أقدر أن أكافئها عليه فهى أنقذتنى من الموت وقتلت عدوى ورأيت مافعله معها أختاها فمارأيت الا أنى أنتقم منهما فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما فخشيت أن يصعب عليها وان أردت خلاصهما ياأمير المؤمنين أخلصهما كرامة لك ولها فانى من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع في أمر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فاذا ظهر لى صدقها أخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة ياأمير المؤمنين أنا أدلك على

فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها وأخذ مالها وهو أقرب الناس اليك ثم أن العفريتة أخذت طاسة من الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما عودا الى صورتكما الاولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا أمير المؤمنين ان الذى ضرب الصبية ولدك الامين فانه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ماجرى للصبيه فتعجب وقال الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى ثم أن الخليفة أحضر ولده الامين بين يديه وسأله عن قصة الصبية الاولى فاخبره على وجه الحق فاحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة وأحضر الصبية الاولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين أخبر وه أنهم كانوا ملوكا وعملهم حجابا عنده وأعطاهم ما يحتاجون اليه وأنزلهم فى قصر بغداد ورد الصبية المضروبة لولده الامين وأعطاها مالا كثيرا وأمر أن تبنى الدار أحسن ما كانت ثم أن الخليفة تزوج بالدلالة ورقد فى تلك الليلة معها فلما أصبح أفرد لها بيتا وجوارى يخدمنها ورتب لها راتبا وشيد لها قصرا ثم قال لجعفر ليلة من الليالى أنى أريد أن ننزل فى هذه الليلة الى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين وكل من شكا منه أحد عزلناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وساروا فى المدينة ومشوا فى الاسواق مروا بزقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة وقفة وفى يده عصا وهو ماش على مهله

ثم أن الخليفة تقدم اليه وقال له ياشيخ ما حرفتك قال ياسيدى صياد وعندى عائلة وخرجت من بيتى من نصف النهار الى هذا الوقت ولم يقسم الله لى شيئا أقوت به عيالى وقد كرهت نفسى وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك أن ترجع معنا الى البحر وتقف على شاطىء الدجلة وترمى شبكتك على بختى وكل ماطلع أشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسى ارجع معكم ثم أن الصياد رجع الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم أنه جذب الخيط وجر الشبكة اليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلا فاعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة الى القصر وأوقد الشموع والصندوق بين يدي الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف أحمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة بساط فرفعوها فوجدوا تحتها ازارا فرفعوا الازار فوجدوا تحته صبية كانها سبيكة مقتولة ومقطوعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت الى جعفر وقال يا كلب الوزراء اتقتل القتلى في زمنى ويرمون فى البحر ويصيرون متعلقين بذمتى والله لابد أن اقتص لهذه الصبية ممن قتلها واقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبي بالخلفاء من بنى العباس ان لم تأتنى بالذى قتل هذه لانصفها منه لاصلبنك على باب قصرى أنت وأربعين من بنى عمك واغتاظ الخليفة فقال جعفر امهلنى ثلاثة أيام قال امهلتك ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى فى المدينة وهو حزين وقال فى نفسه من أعرف من قتل هذه الصبية حتى أحضره للخليفة وان أحضرت له غيره يصير معلقا بذمتى ولا أدري ما أصنع ثم أن جعفر أجلس فى بيته ثلاثة أيام وفى اليوم

الرابع أرسل اليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه قال له أين قاتل الصبية قال جعفر يا أمير المؤمنين هل
أنا أعلم الغيب حتى أعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة وأمر بصلبه على باب قصره وامر مناديا ينادى فى
شوارع بغداد من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكى وزير الخليفة وصلب أولاد عمه على باب
قصر الخليفة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر
وصلب أولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم أمر بنصب الخشب فنصبوه وأوقفوهم تحته لاجل
الصلب وصاروا ينتظرون الاذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون على جعفر وعلى أولاد عمه
فبينماهم كذلك واذا بشاب حسن نقى الاثواب يمشى بين الناس مسرعا الى أن وقف بين يدى الوزير
وقال له سلامتك من هذه الواقفة ياسيد الامراء وكهف الفقراء أنا الذى قتلت القتيلة التى وجدتموها
فى الصندوق فاقتلنى فيها واقتص لها منى فلما سمع جعفر كلام الشاب وما أبداه من الخطاب فرح
بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينماهم فى الكلام واذا بشيخ كبير يفسح الناس ويمشى بينهم
بسرعة الى أن وصل الى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال أيها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب فانه
ماقتل هذه الصبية الا أنا فاقتص لها منى فقال الشاب أيها الوزير أن هذا شيخ كبير خرفان لا يدرى
مايقول وأنا الذى قتلتها فاقتص لها منى فقال الشيخ ياولدى أنت صغير تشتهى الدنيا وأنا كبير
شبعت من الدنيا وأنا أفديك وأفدي الوزير وبنى عمه وماقتل الصبية الا أنا فبالله عليك أن تعجل
بالاقتصاص منى فلما نظر الى ذلك الامر تعجب منه وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة
وقال يا أمير المؤمنين قد حضر قاتل الصبية فقال الخليفة أين هو فقال ان هذا الشاب يقول انا القاتل
وهذا الشيخ يكذبه ويقول لا بل أنا القاتل فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب وقال من منكما قتل هذه
الصبية فقال الشاب ماقتلها الا أنا وقال الشيخ ماقتلها الا أنا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين
واصلبهما فقال جعفر اذا كان القاتل واحدا فقتل الثانى ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط
الارض انى أنا الذى قتلت الصبية وهذه أمارة قتلها ووصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة
أن الشاب هو الذى قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ماسبب قتلك هذه الصبية بغير حق وماسبب
اقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها منى فقال الشاب اعلم يا أمير المؤمنين أن هذه الصبية
زوجتى وبنت عمى وهذا الشيخ أبوها وهو عمى وتزوجت بها وهى بكر فرزقنى الله منها ثلاثة
أولاد ذكورا وكانت تحبنى وتخدمنى ولم أر عليها شيئا فلما كان أول هذا الشهر مرضت مرضا
شديدا فأحضرت لها الاطباء حتى حصلت لها العافية فاردت أن أدخلها الحمام فقالت انى أريد شيئا
قبل دخول الحمام لانى أشتهيه فقلت لها وما هو فقالت أنى اشتهى تفاحة أشمها وأعض منها عضة
فطلعت من ساعتى الى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة بدينار فلم أجده فبت تلك
الليلة وأنا متفكر فلما أصبح الصباح خرجت من بيتى ودرت على البساتين واحدا واحدا فلم أجده
فيها فصادفنى خولى كبير فسألته عن التفاح فقال ياولدى هذا شىء قل أن يوجد لانه معدوم ولا
يوجد الا فى بستان أمير المؤمنين الذى فى البصرة وهو عند الخولى يدخره للخليفة فجئت الى

زوجتي وقد حملتني محبتي اياها على أن هيأت نفسي وسافرت ١٥ يوما ليلا ونهارا في الذهاب والاياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولي البصرة بثلاثة دنانير ثم أني دخلت وناولتها اياها فلم تفرح بها بل تركتها في جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل في ضعفها الى أن مضى لها عشرة أيام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت الى دكاني وجلست في بيعي وشرائي فبينما أنا جالس في وسط النهار واذا بعبد أسود مر علي وفي يده تفاحة يلعب بها فقلت له من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال أخذتها من حبيبتي وأنا كنت غائبا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت ان زوجي الديوث سافر من شأنها الى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير فأخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا أمير المؤمنين اسودت الدنيا في وجهي وقفلت دكاني وجئت إلى البيت وانا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم أجد التفاحة الثالثة فقلت لها أين الثالثة فقالت لا أدري ولا أعرف أين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت أخذت سكينا وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها واعضائها وحطيتها في القفة بسرعة وغطيتها بالازرار وحطيت عليها شقة بساط وأنزلتها في الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتي ورميتها في الدجلة بيدي فبالله عليك يا أمير المؤمنين أن تعجل بقتلي قصاصا لها فاني خائف من مطالبتها يوم القيامة فاني لما رميتها في بحر الدجلة ولم يعلم بها أحد رجعت الى البيت فوجدت ولدي الكبير يبكي ولم يكن له علم بما فعلت في أمه فقلت له ما يبكيك فقال اني أخذت تفاحة من التفاح الذي عند أمي ونزلت بها الى الزقاق ألعب مع اخواني واذا بعبد أسود طويل خطفها مني وقال لي من أين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر أبي وجاء بها من البصرة من أجل أمي وهي ضعيفة واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذها مني وضربني وراح بها فخفت من أمي أن تضربني من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت أن العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي وتحققت أنها قتلت ظلما ثم أني بكيت بكاء شديدا واذا بهذا الشيخ وهو عمي والدها قد أقبل فاخبرته بما كان فجلس بجانبي وبكى ولم نزل نبكي الى نصف الليل وأقمنا العزاء خمسة أيام ولم نزل الى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها فبحرمة أجدادك أن تعجل بقتلي وتقتص لها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا أقتل الا العبد الخبيث وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٢٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة أقسم أنه لا يقتل الا العبد لأن الشاب معذور ثم أن الخليفة التفت الى جعفر وقال له احضر لي هذا العبد الخبيث الذي كان سببا في هذه القضية وان لم تحضره فأنت تقتل عوضا عنه فنزل يبكي ويقول من أين احضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لي في هذا الامر حيلة والذي سلمني في الاول يسلمني في الثاني والله ما بقيت اخرج من بيتي ثلاثة أيام والحق سبحانه يفعل ما يشاء ثم أقام في بيته ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع احضر القاضي وأوصى وودع أولاده وبكى واذا برسول الخليفة أتى اليه وقال له أن أمير المؤمنين في أشد ما يكون من الغضب وأرسلني اليك وحلف أنه لا يمر هذا النهار الا وأنت مقتول ان لم تحضر له العبد

فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى و بكت أولاده فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها أكثر من أولاده جميعا فضمها الى صدره وبكى على فراقها فوجد فى جيبها شيئا مكببا فقال لها ما الذى فى جيبك فقالت له يا أبت تفاحة جاء بها عبدنا ريحان ولها معى أربعة أيام وما أعطاها لى حتى أخذ منى دينارين فلما سمع جعفر بذكر العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم أنه امر باحضار العبد فحضر فقال له من أين هذه التفاحة فقال يا سيدى من مدة خمسة أيام كنت ماشيا فدخلت فى بعض أزقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لامى وهى مريضة واشتهت على أبى تفاحا فسافر الى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فاخذت هذه العب بها ثم بكى فلم التفت اليه وأخذتها وجئت بها الى هنا فاخذتها سيدتى الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وأمر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم أنشد هذين البيتين

ومن كانت دريته بعبد فما للنفس تجعله فداها
فانك واجد خدما كثيرا ونفسك لم تجد نفسا سواها

ثم أنه قبض على العبد وطلع به الى الخليفة فأمر أن تؤرخ هذه الحكايه وتجعل سيرا بين الناس فقال له جعفر لا تعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة فما هى باعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه فقال الخليفة وأى حكاية أعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا أمير المؤمنين لا أحدثك الا بشرط أن تعتق عبدى من القتل فقال قد وهبت لك دمه

﴿ حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه ﴾

فقال جعفر اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان فى مصر سلطان صاحب عدل واحسان له وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كانهما قمران وكان اسم الكبير شمس الدين واسم الصغير نور الدين وكان الصغير أميز من الكبير فى الحسن والجمال وليس فى زمانه أحسن منه حتى أنه شاع ذكره فى البلاد فكان بعض أهلها يسافر من بلاده الى بلده لاجل رؤية جماله فاتفق أن والدهما مات فحزن عليه السلطان وأقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما أنتما فى مرتبة أبيكما فغرحا وقبلا الارض بين يديه وعملا العزاء لابيهما شهرا كاملا ودخلا فى الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة واذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فاتفق فى ليلة من الليالى أن السلطان كان عازما على السفر فى الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الاخوان يتحدثان فى تلك الليلة اذ قال الكبير يا أخى قصدى أن نتزوج أنا وأنت فى ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا أخى ما تريد فانى موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم أن الكبير قال لاخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا فى ليلة واحدة ووضعنا فى يوم واحد وأراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتى ببنت نزوجهما لبعضهما لانهما أولاد عم فقال نور الدين يا أخى ما تأخذ من ولدى فى مهر بنتك قال آخذ من ولدك فى مهر بنتى ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فان عقد الشاب عقده بغير هذا

لايصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذى شرطته على ولدى أماتعلم أنا اخوات ونحن الاثنان وزيران فى مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدى هدية من غير مهر فانك تعلم ان الذكر أفضل من الانثى وولدى ذكر وتذكر به خلاف ابنتك فقال وماهاقال لا تذكر بها بين الامراء ولكن أنت تريد أن تفعل معى على رأي الذى قال أن أردت تطرده فاجعل الثمن غاليا وقيل ان بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده فى حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين اراك قد قصرت لانك تعمل ابنك أفضل من بنتى ولا شك انك ناقص عقل وليس لك اخلاق حيث تذكر شركة الوزارة وانا ما أدخلتك معى فى الوزارة الا شفقة عليك ولأجل ان تساعدنى وتكون لى معينا ولكن قل ماشئت وحيث صدر منك هذا القول والله لا ازوج بنتى لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام أخيه اغتاظ وقال وانا لا ازوج ابنى ابنتك فقال شمس الدين انا لا أرضاه لها بعلا ولولا اننى أريد السفر لكنت عملت معك العبر ولكن لما أرجع من السفر يفعل الله مايريد فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا وغاب عن الدنيا وكتم مابه وبات كل واحد فى ناحية فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى الى الجزيرة وقصد الاهرام وصحبته الوزير شمس الدين واما أخوه نور الدين فبات فى تلك الليلة في أشد ما يكون من الغيظ فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد الى خزانته واخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا وتذكر قول أخيه واحتقاره اياه وافتخاره فانشد هذه الابيات

سافر تجد عوضا عمن تفارقه ... وانصب فان لذيذ العيش فى النصب
مافى المقام لذى لب وذى أدب ... معزة فاترك الاوطان واغترب
اني رأيت وقوف الماء يفسده ... فان جرى طاب وان لم يجر لم يطب
والبدر لولا أفول منه مانظرت ... اليه فى كل حين عين مرتقب
والاسد لولا فراق الغاب ماقنصت ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والتبر كالترب ملقى فى أماكنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه ... وان اقام فلا يعلوا الى رتب

فلما فرغ من شعره أمر بعض غلمانه أن يشد له بغلة زرزورية غالية سريعة المشى فشدها ووضع عليها سرجا مذهبا بركابات هندية وعباآت من القطيفة الاصفهانية فسارت كأنها عروس مجلية وامر أن يجعل عليها بساط حرير وسجادة وان يوضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدى أن أتفرج خارج المدينة وأروح نواحي القليوبية وأبيت ثلاث ليال فلا يتبعني منكم أحد فان عندى ضيق صدر ثم أسرع وركب البغلة وأخذ معه شيئا قليلا من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاءه عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح وأراح البغلة وأكل شيئا وأخذ من بلبيس ما يحتاج اليه ومايعلق به على بغلته ثم استقبل البر فما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح وأراح بغلته وأخرج شيئا أكله

ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام فى مكان والغيظ غالب عليه ثم انه بات فى ذلك المكان. فلما أصبح الصباح ركب وصار يسوق البغلة الى ان وصل الى مدينة حلب فنزل فى بعض الخانات وأقام ثلاثة أيام حتى استراح وأراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافرا ولا يدرى أين يذهب ولم يزل سائرا الى ان وصل الى مدينة البصرة ليلا ولم يشعر بذلك حتى نزل فى الخان وانزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة وأودع البغلة بعدتها عند البواب وأمره ان يسيرها فأخذها وسيرها فاتفق ان وزير البصرة جالس فى شباك قصره فنظر الى البغلة ونظر ما عليها من العدة المثمنة فظنها بغلة وزير من الوزراء أو ملك من الملوك فتأمل فى ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتنى بهذا البواب فذهب الغلام الى البواب وأتي به الى الوزير فتقدم البواب وقبل الارض بين يديه وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب ياسيدى ان صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من أولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قاصدا ماعليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به وأجلسه عنده وقال له ياولدى من أين أقبلت وماذا تريد فقال نور الدين يامولاى انى قدمت من مدينة مصر وكان أبي وزيرا فيها وقد انتقل الى رحمة الله وأخبره بما جرى من المبتدأ الى المنتهى ثم قال وقد عزمت على نفسي أن لا أعود أبدا حتى انظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له ياولدى لا تطاوع النفس فترميك فى الهلاك فان البلدان خراب وأنا أخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه أمر بوضع الخرج عن البغلة والبساط والسجادة وأخذ نور الدين معه الى بيته وانزله فى مكان ظريف وأكرمه وأحسن اليه وأحبه حبا شديدا وقال له ياولدى أنا بقيت رجلا كبيرا ولم يكن لى ولد ذكر وقد رزقنى الله بنتا تقاربك فى الحسن ومنعت عنها خطابا كثيرة وقد وقع حبك فى قلبي فهل لك أن تأخذ ابنتي جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع الى سلطان البصرة وأقول له انه ولد أخي وأوصلك اليه حتى أجعلك وزيرا مكاني والزم أنا بيتي فانى صرت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ثم قال سمعا وطاعة ففرح الوزير بذلك وأمر غلمانه أن يصنعوا الطعاما وان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور أكابر الامراء ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم انه كان لى أخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وانا كما تعلمون رزقنى الله بنتا وكان أخي أوصاني أن أزوج بنتي لأحد أولاده فأجبته الى ذلك فلما استحقت الزواج أرسل الى أحد أولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءنى أحببت ان أكتب كتابه على بنتي ويدخل بها عندى فقالوا نعم مافعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا وأما الوزير فانه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام وأعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وأرسل اليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر

الوزير فنزل عن البغله ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٢١) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليله على زوجتك وفى غد أطلع بك الى السلطان وارجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من أمر نور الدين (واما) ما كان من أمر أخيه فانه غاب مع السلطان مدة فى السفر ثم رجع فلم يجد أخاه فسأل عنه الخدم فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال أنا متوجه الى جهة القليوبيه فأغيب يوما أو يومين فان صدري ضاق ولا يتبعني منكم أحد ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال فى نفسه ماسبب ذلك الا انى اغلظت عليه فى الحديث ليلة سفري مع السلطان فلعله تغير خاطره وخرج مسافرا فلا بد أن أرسل خلفه ثم طلع وأعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وأرسل بها الى نوابه فى جميع البلاد ونور الدين قطع بلادا بعيدة فى مدة غياب أخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويئس شمس الدين من أخيه وقال لقد أغظت أخي بكلامي من جهة زواج الاولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلك الا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه فى خلقه وكان الامر كما قالاه فاتفق ان الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى فى مصر أحسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لا يري فى زمانه أحسن منه كما قال الشاعر

ومهفهف يغنى النديم بريقه عن كأسه الملأى وعن أبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها من مقلتيه ووجنته وريقه

فسموه حسنا وفى سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا أسمطه تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة أخذ معه نور الدين وطلع به الى السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وكان نور الدين فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان فانشد قول الشاعر

هذا الذى عم الانام بعدله وسطا فمهد سائر الآفاق
أشكر صنائعه فلسن صنائعا لكنهن قلائد الاعناق
وأنثم أنامله فلسن أناملا لكنهن مفاتح الارزاق

فاكرمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصته من أولها الى آخرها وقال له هذا ابن أخي فقال وكيف يكون ابن أخيك ولم نسمع به فقال يامولانا السلطان انه كان لي أخ وزير بالديار المصريه وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس فى مرتبة والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندي وحلفت أني لا أزوج ابنتي الا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب

وأنا صرت شيخا كبيرا وقل سمعي وعجز تدبيري والقصد من مولانا السلطان أن يجعله في مرتبتي فانه ابن أخي وزوج ابنتي وهو أهل للوزارة لانه صاحب رأي وتدبير فنظر السلطان اليه فأعجبه واستحسن رأي الوزير بما أشار عليه من تقديمه في رتبة الوزراء فانعم عليه بها وأمر له بخلعة عظيمة وزاد له الجوامك والجرايات الى ان اتسع عليه الحال وسار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر أملاكا كثيرة ودواليب وبساتين الى ان بلغ عمر ولده حسن أربع سنين فتوفي الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة وواراه في التراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ أشده أحضر له فقيها يقرئه في بيته وأوصاه بتعليمه وحسن تربيته فاقرأه وعلمه فوائد في العلم بعد ان حفظ القرآن في مدة سنوات وما زال حسن يزداد جمالا وحسنا واعتدالا كما قال الشاعر

قمر تكامل في المحاسن وانتهى ... فالشمس تشرق من شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما ... حسن البرية كلها من عنده

وقد رباه الفقيه في قصر أبيه ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة الى ان أخذه والده الوزير نور الدين يوما من الايام وألبسه بدلة من أفخر ملبوسه وأركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به الى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين بن الوزير نور الدين فانبهر من حسنه وقال لابيه ياوزير لا بد انك تحضره معك في كل يوم فقال سمعا وطاعة ثم عاد الوزير بولده الى منزله وما زال يطلع به الى محضر السلطان في كل يوم الى ان بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاما ثم ضعف والده الوزير نور الدين فاحضره وقال له ياولدي اعلم ان الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء وأريد أن أوصيك وصايا فافهم ما أقول لك واصغ قلبك اليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم ان نور الدين تذكر أخاه وأوطانه وبلاده وبكى على فرقة الاحباب وسجت دموعه وقال ياولدي اسمع قولي فان لي أخا يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد انك تأخذ درجا من الورق وتكتب ما أمليه عليك فاحضر قرطاسا وصار يكتب فيه كل ما قاله أبوه فاملى عليه جميع ما جرى له من أوله الى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقة ثم قال لولده احفظ هذه الوصية فان ورقتها فيها أصلك وحسبك ونسبك فان أصابك شيء من الامور فاقصد مصر واستدل على عمك وسلم عليه وإعلمه اني مت غريبا مشتاقا اليه فاخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها ولف عليها خرقة مشمعة وخاطها بين البطانة والظهارة وصار يبكي على أبيه من أجل فراقه وهو صغير وما زال نور الدين يوصي ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فاقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان وجميع الامراء ودفنوه ولم يزالوا في حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان واقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيرا جديدا مكانه وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى عماراته وعلى أملاكه فنزل الوزير الجديد وأخذ الحجاب وتوجهوا الى بيت الوزير نور يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به الى السلطان ليعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من

مماليك الوزير نورالدين المتوفي فلم يهن عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك الى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فاعلمه بما جرى فقال له هل فى الامر مهلة حتى أدخل فأخذ معي شيئا من الدنيا لاستعين به على الغربة فقال له المملوك انج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشيا الى أن صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون أن السلطان أرسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفي ليختم على ماله وأماكنه ويقبض على ولده حسن بدرالدين ويطلع به اليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج الى غير مقصد ولم يعلم أين يذهب فلم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير الى تربة والده فدخل المقبرة ومشي بين القبور الى أن جلس عند قبر أبيه وأزال ذيله من فوق رأسه فبينما هو جالس عند تربة أبيه اذ قدم عليه يهودى من البصرة وقال ياسيدى مالى أراك متغيرا فقال له انى كنت نائما فى هذه الساعة فرأيت أبي يعاتبنى على عدم زيارتى قبره فقمت وأنا مرعوب وخفت أن يفوت النهار ولم أزره فيصعب على الامر فقال له اليهودى ياسيدى ان أباك كان أرسل مراكب تجارة وقدم منها البعض ومرادي أن اشترى منك وثق كل مركب قدمت بألف دينار ثم اخرج اليهودى كيسا ممتلئا من الذهب وعد منه الف دينار ودفعه الى حسن ابن الوزير ثم قال اليهودى اكتب لى ورقة واختمها فاخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نورالدين قد باع لليهودى فلان جميع وثق كل مركب وردت من مراكب أبيه المسافرين بالف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فاخذ اليهودى الورقة وصار حسن يبكى ويتذكر ما كان فيه من العز والاقبال ثم دخل عليه الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه ولم يزل نائما حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كأنه من الحور العين ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من أين أقبلت قال من مصر فقالت له هل لك ان تروح معى حتى تنظر إلى حسن هذا الشاب النائم فى المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا في المقبرة فقالت له هل رأيت فى عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا أختى ان أردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثنى فقال لها انى رأيت مثل هذا الشاب فى أقليم مصر وهى بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من أبيها الوزير شمس الدين فقال له يامولانا السلطان أقبل عذرى وارحم عبرتى فانك تعرف ان أخى نورالدين خرج من عندنا ولا نعلم أين هو وكان شريكى فى الوزارة وسبب خروجه انى جلست أتحدث معه فى شأن الزواج فغضب منى وخرج مغضبا وحكى للملك جميع ماجرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سببا لغيظه وأنا حالف أن لا ازوج بنتى الالابن أخى من يوم ولدتها أمها وذلك نحو ثمان عشرة سنة ومن مدة قريبة سمعت ان أخى تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها بولد وأنا لا ازوج بنتى الا له كرامة لاخى ثم انى أرخت وقت زواجى وحمل زوجتي وولادة هذه البنت وهى باسم ابن عمها

والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا وقال له كيف يخطب مثلي من مثلك بنتا فتمنعها منه وتحتج بحجة باردة وحياة رأسي لا أزوجها الا لأقل مني برغم انفك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٢٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجني لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وأن الملك قد أقسم أن يزوجها رغم أنف أبيها بأقل منه وكان عند الملك سائس أحدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فأمر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وامر أن يدخل عليها في هذه الليلة ويعمل له زفافا وقد تركه وهو بين مماليك السلطان وهم حوله في أيديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون منه على باب الحمام وأما بنت الوزير فانها جالسة تبكي بين المنقشات والمواشط وهي أشبه الناس بهذا الشاب وقد حجر واعلى أبيها ومنعوه أن يحضرها وما رأيت يا أختي أقبح من هذا الاحدب وأما الصبية فهي أحسن من هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب أحسن أهل زمانه فرد عليها العفريت وقال والله يا أختي ان الصبية أحسن من هذا ولكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما ولعلهما أخوان أو أولاد عم فيا خسارتها مع هذا الاحدب فقالت له يا أخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به الى الصبية التي تقول عليها وننظر أيهما أحسن فقال العفريت سمعا وطاعة هذا كلام صواب وليس هناك أحسن من هذا الرأي الذي اخترتيه فأنا أحمله ثم انه حمله وطار به الى الجو وصارت العفريتة في كل ركابه تحاذيه الى أن نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر أبيه في أرض البصرة والتفت يمينا وشمالا فلم يجد نفسه الا في مدينة غير مدينة البصرة فأراد أن يصيح فغمزه العفريت وأوقد له شمعة وقال له اعلم اني قد جئت بك وأنا أريد أن أعمل معك شيئا لله فخذ هذه الشمعة وامش بها الى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشيا معهم حتى تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخشى احدا واذا دخلت فقف على يمين العريس الاحدب وكل ما جاءك المواشط والمغنيات والمنقشات فحط يدك في جيبك تجده ممتلئا ذهبا فاكبش وارم لهم ولا تتوهم انك تدخل يدك ولم تجده ممتلئا بالذهب فاعط كل من جاءك بالحفنة ولا تخشى من شيء وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته فلما سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال ياهل ترى أي شيء هذه القضية وما وجه الاحسان ثم مشى وأوقد الشمعة وتوجه الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا في الزينة وكلما وقفت المغنيات الناس ينقطوهن يضع يده في جيبه فيلقاه ممتلئا بالذهب فيكبش ويرمي في الطار للمغنيات والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال حتى وصلوا الى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه غمرنا باحسانه ولا نجلي العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة

الفرح وأجلسوه برغم أنف العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل مرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة وكلهن ملثمات وصرن صفوفا يمينا وشمالا من تحت المنصة الى صدر الليوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وماهو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه هلال مال جميع النساء اليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا ان هذا المليح ما نقطنا الا بالذهب الاحمر فلا تقصرن في خدمته واطعنه فيما يقول فازدحم النساء عليه بالشمع ونظرن الى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود أن تكون في حضنه سنه أو شهراً أو ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الالباب وقلن هنيئاً لمن كان هذا الشاب له أو عليه ثم دعون على ذلك السائس الاحدب ومن كان سبباً في زواجه هذه المليحة وكلما دعون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغنيات ضربن بالدفوف واقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وحسن شعرها ونحرها بالحلى والحلل من لباس الملوك الاكاسرة ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسبول عليها من فوق حوائجها وفي عنقها عقد يساوي الالوف قد حوى كل فص من الجوهر ما حاز مثله تبع ولا قيصر وصارت العروسة كأنها البدر اذا اقمر في ليلة أربعة عشر ولما أقبلت كانت كأنها حورية فسبحان من خلقها بهية وأحدق بها النساء فصرن كالنجوم وهي بينهن كالقمر اذا انجلى عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصري جالسا والناس ينظرون اليه فخطرت العروسة وأقبلت وتمايلت فقام اليها السائس الاحدب ليقبلها فأعرضت عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحك الناس فلما رأوها مالت الى نحو حسن بدر الدين وحط يده في جيبه وكبش الذهب ورمى في طار المغنيات ففرحوا وقالوا كنا نشتهي أن تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كله والسائس الاحدب وحده كأنه قرد وكلما أوقدوا له الشمعة طفئت فبهت وصار قاعدا في الظلام يمقت في نفسه وهؤلاء الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من أعجب العجائب يتحير من شعاعها أولو الالباب وأما العروسة فانها رفعت كفيها الى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلي وأرحني من هذا السائس الاحدب وصارت المواشط تجلي العروسة الى آخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصري والسائس الاحدب وحده فلما فرغوا من ذلك أذنوا الناس بالانصراف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والاولاد ولم يبق الا حسن بدر الدين والسائس الاحدب ثم ان المواشط أدخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلى والحلل ويهيئنها للعريس فعند ذلك تقدم السائس الاحدب الى حسن بدر الدين وقال ياسيدي آنستنا في هذه الليلة وغمرتنا باحسانك فلم لا تقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يابدر الدين فاذا خرج الاحدب الى بيت الراحة فادخل أنت وأجلس في المخدع فاذا أقبلت العروسة فقل لها أنا زوجك والملك ما عمل تلك الحيلة الا لانه يخاف عليك من العين وهذا الذي رأيته سائس من سياسنا ثم أقبل عليها واكشف وجهها ولا تخش باسا من

أحد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسائس دخل بيت الراحة وقعد على الكرسي فطلع له العفريت من الحوض الذي فيه الماء في صورة فأر وقال زيق فقال الاحدب ماجاء بك هنا فكبر الفأر وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلبا وقال عوه عوه فلما نظر السائس ذلك فزع وقال اخسأ يامشؤوم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق فانزعج السائس وقال الحقوني يا أهل البيت واذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا أحدب يا أنتن السياس فلحق السائس البطن وقعد على الملاقي بأثوابه واشتبكت أسنانه ببعضها فقال له العفريت هل ضاقت عليك الارض فلا تتزوج الا بمعشوقتي فسكت السائس فقال له رد الجواب والا إسكنك التراب فقال له والله مالي ذنب الا أنهم غصبوني وما عرفت ان لها عشاقا من الجواميس ولكن أنا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت أقسم بالله ان خرجت في هذا الوقت من هذا الموضع أو تكلمت قبل أن تطلع الشمس لاقتلنك فاذا طلعت الشمس فاخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت أبدا ثم ان العفريت قبض على السائس الاحدب وقلب رأسه في الملاقي وجعلها الى أسفل وجعل رجليه الى فوق وقال له استمر هنا وأنا أحرسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب (وأما) ما كان من قصة حسن بدر الدين البصري فانه خلى الاحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس في داخل المخدع واذا بالعروسة اقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز في باب المخدع وقالت يا أبا شهاب قم وخذ عروستك وقد استودعتك الله ثم ولت العجوز ودخلت العروسة في صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن وقلبها مكسور وقالت في قلبها والله لا أمكنه من نفسي ولو طلعت روحي فلما دخلت الى صدر المخدع نظرت بدر الدين فقالت يا حبيبي والى هذا الوقت أنت قاعد لقد قلت في نفسي لعلك أنت والسائس الاحدب مشتركان في فقال حسن بدر الدين وأي شيء أوصل السائس اليك ومن أين له أن يكون شريكي فيك فقالت ومن زوجي أأنت أم هو فقال حسن بدر الدين ياسيدتي نحن ما عملنا هذا الاسخرية به لنضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغنيات وأهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه أبوك بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكا لطيفا وقالت والله لقد اطفأت ناري فبالله خذني عندك وضمني الى حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها الى نحرها فبان ماقدامها وورائها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذي كان أخذه من اليهودي ووضع فيه الالف دينار ولفه في سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسي وبقي بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدر الدين وعانقها وأخذ رجليها في وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة واطلقه فهدم البرج فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فازال بكارتها وتملى بشبابها ولم يزل يركب المدفع ويرد الى غاية خمس عشرة فعلقت منه فلما فرغ حسن بدر الدين وضع يده تحت

رأسها وكذلك الاخرى وضعت يدها تحت رأسه ثم انهما تعانقا وناما متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الابيات

زر من تحب ودع كلام الحاسد ... ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا ... من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا ... متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب على الهوى ... فالناس تضرب فى حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد ... فهو المراد وعش بذلك الواحد

هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه (وأما) ما كان من أمر العفريت فانه قال للعفريتة قومي وادخلي تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم وأخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فأذن الله الملائكة ان ترمي العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فأنزلت بدر الدين فى موضع ما أحرق الشهاب العفريت ولم تتجاوزه به خوفا عليه وكان بالامر المقدر ذلك الموضع في دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من أبوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت أبواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحا بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسى من السهر غرقان فى النوم فلما رآه الناس قالوا يابخت من كان هذا عنده فى هذه الليلة وياليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر مساكين أولاد الناس لعل هذا يكون في هذه الساعة خرج من المسكرة لبعض شغله فقوى عليه السكر فتاه عن المكان الذى كان قصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلقا فنام ههنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهوى هب على بدر الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسره محققة وسيقان وأفخاد مثل البلور فصار الناس يتعجبون فانتبه حسن بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال أين أنا ياجماعة الخير وماسبب اجتماعكم علي وماحكايتي معكم فقالوا نحن رأيناك عند أذان الصبح ملقى على هذا الباب نائما ولا نعلم من أمرك غير هذا فاين كنت نائما هذه الليلة فقال حسن بدر الدين والله ياجماعة انى كنت نائما هذه الليلة فى مصر فقال واحد هل أنت تأكل حشيشا وقال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون بايتا فى مصر وتصبح نائما فى مدينة دمشق فقال لهم والله ياجماعة الخير لم أكذب عليكم أبدا وأنا كنت البارحة بالليل فى ديار مصر وقبل البارحة كنت بالبصرة فقال واحد هذا شيء عجيب وقال الآخر هذا شاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا ياخسارة شبابه والله مافى جنونه خلاف ثم أنهم قالوا له ارجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريسا فى ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذى تقول فى المنام فتحير حسن فى نفسه وقال لهم والله ماهذا منام وأين السايس الاحدب الذى كان قاعدا عندنا والكيس الذهب الذى كان معى وأين ثيابي ولباسى ثم قام ودخل المدينة ومشى فى شوارعها

وأسواقها فاردحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان أهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة باسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه ولما نظر الطباخ الى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت فى قلبه محبته فقال من أين أنت يافتى فاحكى لى حكايتك بانك صرت عندي أعز من روحي فحكى له ماجرى من المبتدأ الى المنتهى فقال له الطباخ ياسيدى بدر الدين اعلم ان هذا أمر عجيب وحديث غريب ولكن ياولدى اكتم مامعك حتي يفرج الله مابك واقعد عندي فى هذا المكان وأنا مالى ولد فاتخذك ولدى فقال له بدر الدين الامر كما تريد ياعم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدر الدين أقمشة مفتخرة وألبسه اياها وتوجه به الى القاضي وأشهد على نفسه انه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين فى مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده فى الدكان يقبض الدراهم وقد استقر امره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين (وأما) ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه فانها لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد حسنا بدر الدين قاعدا عندها فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بابيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لاحد غلمانه الذى هو السايس الاحدب وقال فى نفسه أقتل هذه البنت ان كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى الى ان وصل الى المخدع ووقف على بابه وقال ياست الحسن فقالت له نعم ياسيدى ثم انها خرجت وهى تتمايل من الفرح وقبلت الارض بين يديه وازداد وجهها نورا وجمالا لعناقها لذلك الغزال فلما نظرها أبوها وهى بتلك الحالة قال لها ياخبيثة هل أنت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت يالله يكفى ماجرى منك والناس يضحكون علي ويعايرونى بهذا السايس الذى مايجيء فى أصبعي قلامة ظفر ان زوجى والله مابت طول عمرى ليلة أحسن من ليلة البارحة التى بتها معه فلا تهزأ بى وتذكر لى ذلك الاحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك أى شيء هذا الكلام الذى تقولينه ان السايس الاحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لى قبحه الله وقبح أباه فلا تكثر المزاح بذكره فما كان السايس الا مكترى بعشرة دنانير وأخذ أجرته وراح وجئت أنا ودخلت المخدع فنظرت زوجى قاعدا بعد ما جلتني عليه المغنيات ونقط بالذهب الاحمر حتى أغنى الفقراء الحاضرين وقد بت فى حضن زوجى الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما وقال لها يافاجرة ماهذا الذى تقولينه أين عقلك فقالت له ياأبت لقد فتت كبدى لاى شيء تتغافل فهذا زوجي الذى أخذ وجهى قد دخل بيت الراحة واني قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلاء فوجد السايس الاحدب ورأسه مغروزة فى الملاقى ورجلاه مرتفعة الى فوق فبهت فيه الوزير وقال اما هذا هو الاحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الاحدب انه العفريت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٢٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السائس الاحدب لما كلمه الوزير لم يرد عليه فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم والا أقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله ياشيخ العفاريت من حين جعلتني في هذا الموضع مارفعت رأسي فبالله عليك ان ترفق بي فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ماتقول فاني أبو العروسة وما انا عفريت فقال ليس عمري في يدك ولا تقدر ان تأخذ روحي فرح الى حال سبيلك قبل أن يأتيك الذي فعل بي هذه الفعال فانتم لا تزوجوني الا بعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها ولعن من كان السبب في ذلك فقال له الوزير قم واخرج من هذا المكان فقال له هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس فاخرج وروح الى حال سبيلك فهل طلعت الشمس أولا فاني لا أقدر أن أطلع من موضعي الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال له الوزير من أتى بك الى هذا المكان فقال اني جئت البارحة الى هنا لاقضي حاجتي وازيل ضروري واذا بفار طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة وقال لي كلاما دخل في أذني فخلني ورح لعن العروسة ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير وأخرجه من المرحاض فخرج وهو يجري وماصدق ان الشمس طلعت وطلع الى السلطان وأخبره بما اتفق له مع العفريت واما الوزير أبو العروسة فانه دخل البيت وهو حائر العقل في أمر بنته فقال يابنتي اكشفي لي عن خبرك فقالت ان الظريف الذي كنت أتجلى عليه بات عندي البارحة وأزال بكارتي وعلقت منه وان كنت لم تصدقني فهذه عمامته بلفتها على الكرسي ولباسه تحت الفراش وفيه شيء ملفوف لم اعرف ماهو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن أخيه ففي الحال أخذها في يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء الا انها موصلية ثم نظر الى الحرز مخيط في طربوشه فاخذه وفتقه وأخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه الالف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقراها فوجد مبايعة اليهودي واسم حسن بدر الدين بن نور الدين البصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشياً عليه فلما أفاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا اله الا الله القادر على كل شيء وقال يابنت هل تعرفين من الذي أخذ وجهك قالت لا قال انه ابن أخي وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبا عليها بخط أخيه نور الدين المصري أبي حسن بدر الدين فلما نظر خط أخيه أنشد هذين البيتين

أرى آثارهم فأذوب شوقا ... واسكب في مواطنهم دموعي
واسأل من بفرقتهم رماني ... يمن على يوما بالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتاريخ عمره إلى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ماجرى لأخيه على ماجرى له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر موافقين تاريخا ودخولهما بزوجتيهما متوافقا وولادة حسن بدر

الدين ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فاخذ الورقتين وطلع بهما الى السلطان واعلمه بما جرى من أول الامر الى آخره فتعجب الملك وأمر أن يؤرخ هذا الامر فى الحال ثم أقام الوزير ينتظر ابن أخيه فما وقع له على خبر فقال والله لأعملن عملا ماسبقني اليه أحد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٢٤) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير اخذ دواة وقلما وكتب أمتعة البيت وان البشخانة فى موضع كذا والستارة الفلانية فى موضع كذا وكتب جميع مافى البيت ثم طوى الكتاب وأمر بخزن جميع الأمتعة واخذ العمامة والطربوش وأخذ معه الفرجيه والكيس وحفظهما عنده واما بنت الوزير فانها لما كملت أشهرها ولدت ولدا مثل القمر يشبه والده من الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى المرضعات وسموه عجيبا فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين أعطاه جده لفقيه ووصاه ان يربيه ويحسن تربيته فاقام فى المكتب أربع سنوات فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلى أنا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون الى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف انا أعلمكم شيئا تقولون له لما يجيء فيتوب عن المجيء للمكتب وذلك انه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم والله مايلعب معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه ومن لم يعرف اسم امه واسم أبيه فهو ابن حرام فلا يلعب معنا فلما أصبح الصباح أتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحتاطت به الاولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن مايلعب معنا الا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه واتفقوا على ذلك فقال واحد منهم اسمى ماجد وأمى علوى وأبى عز الدين وقال الآخر مثل قوله والآخر كذلك الى ان جاء الدور الى عجيب فقال أنا اسمي عجيب وأمي ست الحسن وأبى شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ماهو أبوك فقال عجيب الوزير أبى حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الاولاد وصفقوا عليه وقالوا أنت ماتعرف لك أبا فقم من عندنا فلا يلعب معنا الا من يعرف اسم أبيه وفي الحال تفرق الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد ان اباك جدك الوزير أبو أمك ست الحسن ان اباك ماتعرفه أنت ولا نحن لان السلطان زوجها للسائس الاحدب وجاءت الجن فناموا عندها فان لم تعرف لك أبا يجعلوك بينهم ولدا زنا ألا ترى ان ابن البائع يعرف أباه فوزير مصر انما هو جدك وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكو لها وهو يبكى ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت امه كلامه و بكاءه التهب قلبها عليه وقالت له ياولدي ماالذى أبكاك فاحك لى قصتك فحكى لها ماسمعه من الاولاد ومن العريف وقال ياوالدتى من هو أبى قالت له أبوك وزير مصر فقال لها ليس هو أبى فلا تكذبى على فان الوزير أبوك أنت لا أبى أنا فمن هو أبى فان لم تخبرينى بالصحيح قتلت روحى بهذا الخنجر فلما سمعت والدته

ذكر أبيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت محاسن حسن بدر الدين البصري وماجرى لهما منه وصرخت وكذلك ولدها واذا بالوزير دخل فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال مايبكيكما فاخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم بما في باطن الامر ثم قام الوزير في الحال ومشى حتى طلع الى الديوان ودخل على الملك واخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر الى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسأل عن ابن اخيه وطلب من السلطان ان يكتب له مراسيم لسائر البلاد اذا وجد ابن أخيه في أي موضع يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرق له قلبه وكتب مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا للسلطان وودعه ونزل في الحال وتجهز للسفر وأخذ ما يحتاج اليه وأخذ ابنته وولدها عجيبا وسافر أول يوم وثاني يوم وثالث يوم حتى وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات أشجار وأنهار كما قال الشاعر

من بعد يوم في دمشق وليلتي   حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل في غفلاته   ومن الصباح عليه فرع أشمط
والطل في تلك الغصون كأنه   در يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة   والريح تكتب والغمام ينقط

فنزل الوزير من ميدان الحصباء ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشتري وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني أمية الذي ما في الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشي خلف عجيب وفي يده سوط لو ضرب به جملا لسقط ولم يثر فلما نظر أهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال وخيم الدلال ألطف من نسيم الشمال وأحلى للظمآن من الماء الزلال وألذ من العافية لصاحب الاعتلال فلما رآه أهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجري وراءه وتتبعه وتقعد في الطريق حتى يجيء عليهم وينظرونه الى ان وقف عجيب بالأمر المقدر على دكان ابيه حسن بدر الدين الذي أجلسه فيه الطباخ الذي اعترف عند القضاة والشهود انه ولده فلما وقف عليه العبد في ذلك اليوم وقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين الى ولده فاعجبه حين وجده في غاية الحسن فحن اليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى بلوز وسكر فاكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين انستمونا كلوا هنيئا مريئا ثم ان عجيب قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال حسن بدر الدين ياولدي هل بليت على صغر سنك بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم ياعم حرق قلبي بفراق الاحباب والحبيب الذي فارقني هو والدي وقد خرجت انا وجدي نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملي به وبكى بكاء شديدا وبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الاحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم واكلوا جميعا الى ان اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين فاحس ان روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر أن يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم إنه ولده وأسرع في مشيه حتى لحقهم قبل ان يخرجوا

من الباب الكبير فالتفت الطواشي وقال له مالك ياطباخ فقال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندي كأن
روحي خرجت من جسمي ولي حاجة في المدينة خارج الباب فاردت أن أرافقكم حتى أقضي حاجتي
وارجع فغضب الطواشي وقال لعجيب ان هذه ا كله مشؤومة وصارت علينا مكرمة وها هو
تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ واحمر وجهه وقال للخادم دعه
يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وخرج معنا وعرفنا أنه يتبعنا نطرده فاطرق رأسه
ومشي والخادم وراءه فتبعهم حسن بدر الدين الى ميدان الحصباء وقد قربوا من الخيام فالتفتوا



﴿ عجيب يلتقط حجراً ويرمي به أباه حسن بدر الدين ﴾

ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي أن يخبر جده فامتزج بالغضب مخافة أن يقولوا أنه دخل دكان الطباخ وأن الطباخ منعه فالتفت حتى صارت عيناه في عين أبيه وقد بقي جسداً بلا روح ورأي عجيب عينه كأنها عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضبا فأخذ حجرا وضرب به والده فوقع الحجر في جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب هو والخادم الى الخيام وأما حسن بدر الدين فانه لما أفاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال أنا ظلمت الصبي حيث غلقت دكاني وتبعته حتى ظن أني خائن ثم رجع الى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشتاقا الى والدته التي في البصرة ويبكي عليها وأنشد هذين البيتين

لا تسأل الدهر انصافا لتظلمه فلست فيه ترى يا صاح انصافا
خذ ما تيسر وأزو الهم ناحية لا بد من كدر فيه وان صافى

ثم أن حسن بدر الدين استمر مشتغلا ببيع طعامه وأما الوزير عمه فانه اقام في دمشق ثلاثة أيام ثم رحل متوجها الى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش في طريقه اينما حل وجهه في سيره الى أن وصل الى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه واكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فاخبره بقصته وان أخاه الوزير على نور الدين فترحم عليه السلطان وقال أيها الصاحب انه كان وزيري وكنت أحبه كثيرا وقد مات من مدة خمسة عشر عاما وخلف ولدا وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير أن امه عندنا لانها بنت وزيري الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان أم ابن أخيه طيبة فرح وقال يا ملك اني أريد أن اجتمع بها فاذن له في الحال ثم أنه صار يمشي الى أن وصل الى قاعة زوجة أخيه أم حسن بدر الدين البصري وكانت في مدة غيبة ولدها قد لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا ولا تنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد في القبر هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه وهل تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر لا أنت بستان ولا فلك فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها واعلمها أنه أخو زوجها ثم أخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها ان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وأنه حي ورأت اخا زوجها قامت اليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وأنشدته هذين البيتين

لله در مبشري بقدومهم فلقد أتى بأطايب المسموع

لو كان يقنع بالخليع وهبته   قلبا تقطع ساعة التوديع

ثم أن الوزير أرسل الى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين ماهذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله ان يجمع شملنا وشملك بولدك ابن أخي فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وجواريها وتجهزت فى الحال ثم طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا الى سلطان مصر وسافر من وقته هو وزوجة أخيه ولم يزل سائرا حتى وصل الى مدينة دمشق فنزل على القانون وضرب الخيام وقال لمن معه اننا نقيم بدمشق جمعة الى أن نشتري للسلطان هدايا وتحفا ثم قال عجيب للطواشي ياغلام انى اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى سوق دمشق ونعتبر أحوالها وننظر ماجرى لذلك الطباخ الذي كنا أكلنا طعامه وشججنا رأسه مع أنه قد كان أحسن الينا ونحن اسأناه فقال الطواشي سمعا وطاعة ثم أن عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة الى التوجه لوالده ودخل مدينة دمشق وما زالا سائرين الى أن وصلا الى دكان الطباخ فوجداه واقفا فى الدكان وكان ذلك قبل العصر وقد وافق الامر أنه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظره عجيب حن اليه قلبه ونظر الى أثر الضربة بالحجر فى جبينه فقال السلام عليك ياهذا اعلم ان خاطري عندك فلما نظر اليه حسن بدر الدين تعلقت احشاؤه به وخفق فؤاده اليه وأطرق برأسه الى الارض وأراد أن يدير لسانه فى فمه فما قدر على ذلك ثم رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا وأنشد هذه الابيات

تمنيت من أهوى فلما رأيته   ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا
وأطرقت اجلالا له ومهابة   وحاولت اخفاء الذى بى فلم يخف
وكنت معدا للعتاب صحائفا   فلما اجتمعنا ما وجدت ولا حرفا

ثم قال لهما اجبرا قلبي وكلا من طعامي فوالله ما نظرت اليك أيها الغلام الا حن قلبي اليك وما كنت تبعتك الا وانا بغير عقل فقال عجيب والله انك محب لنا ونحن أكلنا عندك لقمة فلازمتنا عقبها وأردت أن تهتكنا ونحن لا نأكل لك أكلا الا بشرط أن تحلف انك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا والا لا نعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون فى هذه المدينة جمعة حتي يأخذ جدى هدايا للملك فقال بدر الدين لكم على ذلك فدخل عجيب هو والخادم فى الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح حسن بدر الدين وأكل معهم حتي امتلأت بطونهما وشبعا شبعا على خلاف عادتهما ثم انصرفا واسرعا فى مشيهما حتي وصلا الى خيامهما ودخل عجيب على جدته ام والده حسن بدر الدين فقبلته وتذكرت حسن بدر الدين فتنهدت وبكت ثم أنها انشدت هذين البيتين

لو لم أرى بأن الشمل يجتمع   ماكان لى فى حياتى بعدكم طمع
أقسمت مافى فؤادى غير حبكم   والله ربى على الاسرار مطلع

ثم قالت لعجيب ياولدي أين كنت قال في مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم في نفسه والله ما لنا شهية في الاكل ثم جلس الخادم وأما عجيب فانه لما جلس كان بطنه ممتلئاً بما أكل وشرب فاخذ لقمة وغمسها في حب الرمان وأكلها فوجده قليل الحلاوة لانه شبعان فتضجر وقال أي شيء هذا الطعام الوحش فقالت جدته ياولدي اتعيب طبيخي وأنا طبخته ولا أحد يحسن الطبيخ مثلي الا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله ياسيدتي ان طبيخك هذا غير متقن نحن في هذه الساعة رأينا في المدينة طباخاً طبخ حب رمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب وأما طعامه فانه يشهي نفس المتخوم ان يأكل وأما طعامك بالنسبة اليه فانه لا يساوي كثيراً ولا قليلاً فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظاً شديداً ونظرت الى الخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٢٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت الى الخادم وقالت له ويلك هل أنت افسدت ولدي لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشي وانكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازاً فقال عجيب والله لقد دخلنا وأكلنا وهو أحسن من طعامك فقامت جدته وأخبرت أخاز وجها وأغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدي دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب بل دخلنا وأكلنا من حب الرمان حتى شبعنا وسقانا الطباخ شراباً بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فانكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحاً فاقعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم وأراد أن يأكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال ياسيدي اني شبعان من البارحة فعرف الوزير انه أكل عند الطباخ فامر الجواري أن يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال ياسيدي اني شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطلق بالحق فقال اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما أكلت عمري مثله ولا رأيت أقبح من هذا الذي قدامنا فغضبت أم حسن بدر الدين وقالت لا بد أن تذهب الى هذا الطباخ وتجيء لنا بزبدية حب رمان من الذي عنده وتريه لسيدك حتى يقول ايهما احسن وأطيب فقال الخادم نعم ففي الحال اعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك في بيت سيدنا لان هناك حب رمان طبخه أهل البيت فهات لنا بهذا النصف دينار وادر بالك في طبخه واتقنه فقد أكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله ان هذا الطعام لا يحسنه أحد الا أنا ووالدتي وهي الآن في بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية وأخذها وختمها بالمسك وماء الورد فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل اليهم فاخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشياً عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة افاقت وقالت ان كان ولدي في الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا الا هو وهو ولدي حسن بدر الدين لا شك فيه ولا محالة لان هذا طعامه وما أحد يطبخه غيره الا أنا لاني علمته طبيخه فلما سمع الوزير

كلامها فرح فرحا شديدا وقال واأشوقاه الى رؤية ابن أخي أتري تجمع الايام شملنا وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم أن الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلا الى دكان الطباخ ويهدمونها ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبا الى مكاني من غير ايذاء يحصل له فقالوا له نعم ثم أن الوزير ركب من وقته وساعته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق واطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال من هو غريمك قال رجل طباخ ففي الحال أمر حجابه أن يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شيء فيها مكسورلانه لما توجه الى دار السعادة فعلت جماعته ما أمرهم به وصاروا منتظرين مجيء الوزير من دار السعادة وحسن بدر الدين يقول في نفسه يا ترى أي شيء رأوا في حب الرمان حتى صار لي هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد أذن له في أخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فاحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين الى عمه بكى بكاء شديدا وقال يا موﻻي ما ذنبي عندكم فقال له أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيئا يوجب ضرب الرقبة فقال هذا أقل جزائك فقال له ياسيدي أما توقفني على ذنبي فقال له الوزير نعم في هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال وأخذوا حسن بدر الدين معهم وادخلوه في صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين الى أن أقبل الليل فحطوا وأكلوا شيئا من الطعام وأخرجوا حسن بدر الدين فاطعموه وأعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى مكان فاخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم ياسيدي فقال الوزير قيدوه فقيدوه وأعادوه الي الصندوق وساروا الي ان وصلوا الي مصر وقد نزلوا في الزيدانية فامر باخراج حسن بدر الدين من الصندوق وأمر باحضار نجار وقال اصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها فقال أصلبك واسمرك فيها ثم أدور بك المدينة كلها فقال على أي شيء تفعل بي ذلك فقال الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان كيف طبخته وهو ناقص فلفلا فقال له وهل لكونه ناقص فلفلا تصنع معي هذا كله أما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني أكلة واحدة فقال له الوزير من أجل كونه ناقصا فلفلا ما جزاؤك الا القتل فتعجب حسن بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر في نفسه فقال له الوزير في أي شيء تتفكر فقال له في العقول السخيفة التي مثل عقلك فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معي هذه الفعال لاجل نقص الفلفل فقال له الوزير يجب علينا أن نؤدبك حتى لا تعود لمثله فقال حسن بدر الدين ان الذي فعلته معي اقل شيء فيه ادبي فقال لا بد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر اليه ولم يزالوا كذلك الى أن أقبل الليل فأخذه عمه ووضعه في الصندوق وقال في غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتي عرف أنه نام فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار الى أن دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله الذي جمع شملك بابن عمك قومي

وافرشي البيت مثل فرشه ليلة الجلاء فأمرت الجواري بذلك ففعلن وأوقدن الشمع وقد أخرج الوزير الورقة التي كتب فيها امتعة البيت ثم قرأها وأمر أن يضعوا كل شيء في مكانه حتى أن الرائي اذا رأى ذلك لا يشك في أنها ليلة الجلاء بعينها ثم أن الوزير أمر أن تحط عمامة حسن بدر الدين في مكانها الذي حطها فيه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة ثم أن الوزير أمر ابنته تتحفظ نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولي له قد أبطأت علي في دخولك بيت الخلاء ودعيه يبيت عندك وتحدثي معه الى النهار وكتب هذا التاريخ ثم أن الوزير اخرج بدر الدين من الصندوق بعد أن فك القيد من رجليه وخلع ما عليه من الثياب وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعرف بذلك ثم انتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه في دهليز نير فقال في نفسه هل أنا في اضغاث أحلام أو في اليقظة ثم قام بدر الدين فمشى قليلا الى باب ثان ونظر واذا هو في البيت الذي انجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى وقال في نفسه هل هذا في المنام أو في اليقظة وصار يمسح جبينه ويقول وهو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التي انجلت فيه على فاني كنت في صندوق فبينما هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له يا سيدي أما تدخل فانك أبطأت علي في بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر الى وجهها وضحك وقال ان هذه أضغاث أحلام ثم دخل وتنهد وتفكر فيما جرى له وتحير في أمره واشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذي فيه الالف دينار قال الله اعلم أني في اضغاث أحلام وصار من فرط التعجب متحيرا وهنا أدرك شهرزاد الصباح (وفي ليلة ٢٥) قالت بلغني أن بدر الدين تعجب وتحير فعند ذلك قالت له ست الحسن مالي أراك متعجبا متحيرا ما كنت هكذا في أول الليل فضحك وقال كم عام لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حواليك أنت انما خرجت الى الكنيف لتقضي حاجة وترجع فاي شيء جري في عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكنني لما خرجت من عندك غلبني النوم في بيت الراحة فحلمت أني كنت طباخا في دمشق وأقمت بها عشرة سنين وكأنه جاءني صغير من أولاد الاكابر ومعه خادم وحصل من أمره كذا وكذا ثم أن حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه فرأى أثر الضرب عليه فقال والله ياسيدتي كأنه حق لانه ضربني على جبيني فشجه فكأنه في اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت أنا وأنت ونمنا فرأيت في المنام كأني سافرت الي دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخا ثم سكت ساعة وقال والله كاني رأيت أني طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كاني الا نمت في بيت الراحة فرأيت هذا كله في المنام فقالت له ست الحسن بالله وعليك أي شيء رأيته زيادة على ذلك فحكي لها جميع ما رآه ثم قال والله لولا اني انتبهت لكانوا صلبوني على لعبة خشب فقالت له على أي شيء فقال على قلة الفلفل في حب الرمان ورأيت كانهم أخرجوا دكاني وكسروا مواعيني

وخلوني في صندوق وجاؤا بالنجار ليصنع لي لعبة من خشب لانهم ارادوا صلبي عليها فالحمد لله الذي جعل ذلك كله في المنام ولم يجعله في اليقظة فضحكت ست الحسن وضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم تذكر وقال والله ما كانه الا في اليقظة فانا ما عرفت أي شيء الخبر ولا حقيقة الحال ثم انه نام وهو متحير في أمره فتارة يقول رأيته في المنام وتارة يقول رأيته في اليقظة ولم يزل كذلك الى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه فنظر له حسن بدر الدين وقال بالله عليك اما أنت الذي أمرت بتكتيفي وتسمير دكاني من شأن حب الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال الوزير اعلم ياولدي انه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا أنت ابن أخي وما فعلت ذلك حتى تحققت انك الذي دخلت على بنتي تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت البيت وعرفت عمامتك وسروالك وذهبك والورقتين التي كتبتها بخطك والتي كتبها والدك أخي فاني ما رأيتك قبل ذلك وما كنت أعرفك واما أمك فاني جئت بها معي من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير ياولدي ان سبب ذلك كله ماجري بيني وبين والدك وحكى له جميع ماجرى بينه وبين اخيه وأخبره بسبب سفر والده الى البصره ثم ان الوزير أرسل الى عجيب فلما رآه والده قال هذا الذي ضربني بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وأنشد هذه الابيات

ولقد بكيت على تفرق شملنا ... زمانا وفاض الدمع من أجفاني
ونذرت ان أجمع المهيمن شملنا ... ماعدت أذكر فرقة بلساني
هجم السرور على حتى انه ... من فرط ماقد سرني أبكاني

فلما فرغ من شعره التفتت اليه والدته والقت روحها عليه وأنشدت هذين البيتين

الدهر أقسم لا يزال مكدري ... حنثت يمينك يازمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدي ... فانهض الى داعي السرور وشمر

ثم ان والدته حكت له جميع ماوقع لها بعده وحكى لها جميع ماقاساه فشكروا الله على جمع شملهم ببعضهم ثم ان الوزير طلع الى السلطان وأخبره بماجرى له فتعجب وأمر أن يؤرخ ذلك في السجلات ليكون حكاية على ممر الاوقات ثم ان الوزير أقام مع ابن أخيه وابنته وابنها وزوجة أخيه في التنعيش الى ان أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا يا أمير المؤمنين ماجرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الدين فقال الخليفة هرون الرشيد والله ان هذا الشيء عجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له مايعيش به وصار ممن ينادمه ثم ان البنت قالت وماهذا باعجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع لهم قال الملك وماحكايتهم

حكاية الخياط والأحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم

قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الاحيان يتفرجان على عرائب المتنزهات فخرجا يوما من أول النهار ورجعا آخره الى منزلهما عند المساء فوجدا في طريقهما رجل أحدب رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والاحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم انهما عزما عليه أن يروح معهما الى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فاجابهما الى ذلك ومشى معهما الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا وليمونا وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السمك قدام الأحدب وجلسوا ياكلون فاخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الا دفعة واحدة في نفس واحد ولا أمهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت في حلقه لاجل انقضاء اجله فمات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٢٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما لقمت للاحدب الجزلة السمك مات لانقضاء أجله في وقته فقال الخياط لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا المسكين ما كان موته الا هكذا على أيدينا فقالت المرأة وما هذا التواني أما سمعت قول الشاعر

مالي أعلل نفسي باحمال على ... أمر يكون به هم وأحزان
ماذا القعود على نار وما خمدت ... ان القعود في النيران خسران

فقال لها زوجها وما أفعله قالت قم واحمله في حضنك وانشر عليه فوطة حرير وأخرج أنا قدامك وأنت ورائي في هذه الليلة وقل هذا ولدي وهذه أمه ومرادنا ان نوديه الى الطبيب ليداويه فلما سمع الخياط هذا الكلام قام وحمل الأحدب في حضنه وزوجته تقول ياولدي سلامتك اين محل وجعك وهذا الجدري كان لك في أي مكان فكل من رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدري ولم يزالا سائرين وهما يسألان عن منزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودي فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغير وامه معه فقالت الجارية ما خبركم فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا ان ينظره الطبيب فخذي الربع دينار واعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الأحدب هنا ونفوز بانفسنا فاوقفه الخياط واسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته واما الجارية فانها دخلت على اليهودي وقالت له في أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطياني ربع دينار لك وتصف لهما ما يوافقه فلما رأى اليهودي الربع دينار فرح وقام عاجلا ونزل في الظلام فاول ما نزل عثرت رجله في الأحدب وهو ميت فقال ياللعزير ياللمولى والعشر كلمات ياهرون ويوشع بن نون كاني عثرت في هذا المريض فوقع الى اسفل فمات فكيف أخرج بقتيل من بيتي فحمله وطلع به من حوش البيت الى زوجته واعلمها بذلك فقالت له وما قعودك ههنا فان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت

أرواحنا فانا وأنت نطلع به الي السطح ونرميه فى بيت جارنا المسلم فانه رجل مباشر على مطبخ السلطان وكثيرا ماتاتى القطط فى بيته وتأكل مما فيه من الاطعمه والفيران وان استمر فيه ليلة ينزل عليه الكلاب من السطوح وتأكله جميعه فطلع اليهودى وزوجته وهما حاملان الاحدب وانزلاه بيديه ورجليه الي الارض وجعلاه ملاصقا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقر نزول الاحدب الا والمباشر قد جاء الي البيت في وقته وطلع البيت ومعه



﴿ اليهودي عند ماعثر فى الاحدب وهو ميت ﴾

شمعة مضيئة فوجد ابن آدم واقفا فى الزاوية في جانب المطبخ فقال ذلك المباشر ماهذا والله ان الذى

يسرق حوائجنا ماهو الا ابن آدم فيأخذ ما وجده من لحم أو دهن ولو خبأته من القطط والكلاب وان قتلت قطة الحارة وكلابها جميعا لا يفيد لانه ينزل من السطوح ثم أخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتا فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن واللحم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدي ثم نظر اليه فاذا هو أحدب فقال اما يكفي انك أحدب حتى تكون حراميا وتسرق اللحم والدهن ياستار استرني بسترك الجميل ثم حمله على أكتافه ونزل به من بيته في آخر الليل ومازال سائرا به الى اول السوق فاوقفه بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وانصرف واذا بنصراني وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان المسيح قريب فمازال يمشي ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجعل يريق الماء قباله فلاحت منه التفاته فوجد واحدا واقفا وكان النصراني قد خطفوا عمامته في أول الليل فلما رأى الاحدب واقفا اعتقد انه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته فوقع في الارض وصاح النصراني على حارس السوق ثم نزل على الاحدب من شدة سكره ضربا وصار يخنقه خنقا فجاء الحارس فوجد النصراني باركا على المسلم وهو يضربه فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم اليه الحارس فوجده ميتا فقال كيف يقتل النصراني مسلما ثم قبض على النصراني وكتفه وجاء به الى بيت الوالى والنصراني يقول في نفسه يامسيح ياعذراء كيف قتلت هذا وما أسرع ما مات في لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان الاحدب والنصراني باتا في بيت الوالى وامر الوالى السياف ان ينادي عليه ونصب للنصراني خشبة واوقفه تحتها وجاء السياف ورمي في رقبة النصراني الحبل وأراد أن يعلقه واذا بالمباشر قد شق الناس فرأى النصراني وهو واقف تحت المشنقة ففسح الناس وقال للسياف لا تفعل انا الذي قتلته فقال له الوالى لأي شيء قتلته قال اني دخلت الليلة بيتي فرأيته نزل من السطح وسرق مصالحي فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به الي السوق واوقفته في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفاني اني قتلت مسلما حتى يقتل بسببي نصراني فلا تشنق غيري فلما سمع الوالى كلام المباشر أطلق سراح النصرانى السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه فاخذ الحبل من رقبة النصراني ووضعه في رقبة المباشر وأوقفه تحت الخشبة واراد أن يعلقه واذا باليهودى الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال لا تفعل فما قتله الا انا وذلك انه جاء ني في بيتي ليداوى فنزلت اليه فعثرت فيه برجلي فمات فلا تقتل المباشر واقتلني فامر الوالي أن يقتل اليهودى الطبيب فاخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه في رقبة اليهودى الطبيب واذا بالخياط جاء وشق الناس وقال للسياف لا تفعل فما قتله الا انا وذلك اني كنت بالنهار اتفرج وجئت وقت العشاء فلقيت هذا الاحدب سكران ومعه دف وهو يغنى بفرحة فوقفت أتفرج عليه وجئت به الي بيتي واشتريت سمكا وقعدنا نأكل فاخذت زوجتي قطعة سمك ولقمة ودستهما في فمه فزور فمات لوقته فاخذته أنا وزوجتي وجئنا به لبيت اليهودى فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولي لسيدك ان بالباب امرأة ورجلا ومعهما ضعيف تعال

انظره وصف له دواء واعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدها واسندت الاحدب الي جهة السلم ومضيت أنا وزوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن انه قتله ثم قال الخياط لليهودي أصحيح هذا قال نعم والتفت الخياط للوالي وقال له اطلق اليهودي واشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب من أمر الاحدب وقال ان هذا أمر يؤرخ في الكتب ثم قال للسياف اطلق اليهودي واشنق الخياط باعترافه فقدمه السياف وقال هل تقدم هذا او نؤخر هذا ولا نشنق واحدا ثم وضع الحبل في رقبة الخياط فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من امر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان لا يقدر أن يفارقه فلما سكر الاحدب غاب عنه تلك الليلة وثاني يوم الي نصف النهار فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يامولانا طلع به الوالي وهو ميت وأمر بشنق قاتله فنزل الوالي ليشنق القاتل فحضر له ثان وثالث وكل واحد يقول ماقتله الا انا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله له فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال له انزل الي الوالي وائتني بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل واعلم الوالي ان القضية بلغت الملك ثم أخذه وأخذ الاحدب معه محمولا والخياط واليهودي والنصراني والمباشر وطلع بالجميع الي الملك فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الارض وحكى له جميع ماجرى مع الجميع فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب وأخذه الطرب وأمر ان يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم النصراني وقال ياملك الزمان ان أذنت لي حدثتك بشيء جرى لي وهو اعجب وأغرب وأطرب من قصة الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصراني اعلم ياملك الزمان أني لما دخلت تلك الديار اتيت بمتجر واوقعني المقدور عندكم وكان مولدي بمصر وانا من قبطها وتربيت بها وكان والدي سمسارا فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمسارا مكانه فبينما أنا قاعد يوما من الايام واذا بشاب أحسن ما يكون وعليه أفخر ملبوس وهو راكب حمارا فلما رآني سلم علي فقمت اليه تعظيما له فأخرج منديلا وفيه قدر من السمسم وقال كم يساوي الاردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكيالين واعمد الي خان الجوالي في باب النصر تجدني فيه وتركني ومضى واعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة فدرت على المشترين فبلغ ثمن كل أردب مائة وعشرين درهما فاخذت معي أربعة تراسين ومضيت اليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام الي المخزن وفتحه فكيلناه فجاء جميع مافيه خمسين أردبا فقال الشاب لك في كل أردب عشرة دراهم سمسرة واقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة ويبقى لي اربعة آلاف وخمسمائة فاذا فرغ بيع حواصلي جئت اليك وأخذتها فقلت له الامر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم الف درهم وغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي اين الدراهم فقلت ها هي حاضرة فقال احفظها حتى أجيء اليك فآخذها فقعدت انتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك أن تأكل عندنا شيئا فأبى وقال لي احفظ الدراهم حتى أمضي وأجيء فآخذها منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت

انتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا فقلت في نفسي ان هذا الشاب كامل السماحه ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له ياسيدي أما تقبض دراهمك فقال مهلا على حتى افرغ من قضاء مصالحي واخذها منك ثم ولى فقلت في نفسي والله اذا جاء لاضيفنه لكوني انتفعت بدراهمه وحصل لي منها مال كثير فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة افخر من الاولى فحلفت عليه أن ينزل عندي ويضيفني فقال بشرط ان ماتنفقه من مالي الذي عندك قلت نعم وأجلسته ونزلت فهيأت ماينبغي من الأطعمه والاشربة وغير ذلك وأحضرته بين يديه وقلت له باسم الله فتقدم الى المائدة ومد يده الشمال وأكل معي فتعجبت منه فلما فرغنا غسل يده وناولته مايمسحها به وجلسنا للحديث فقلت ياسيدي فرج عني كربة لاي شيء أكلت بيدك الشمال لعل في يدك اليمين شيئا يؤلمك فلما سمع كلامي أنشد هذين البيتين

خليلي لاتسأل على مابمهجتي من اللوعة الحرى فتظهر أسقام
وما عن رضا فارقت سلمي معوضا بديلا ولكن للضرورة أحكام

ثم أخرج يده من كمه واذا هي مقطوعة زندا بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لاتعجب ولا تقل في خاطرك اني أكلت معك بيدي الشمال عجبا ولكن لقطع يدي اليمين سبب من العجب فقلت وماسبب ذلك فقال اعلم اني من بغداد ووالدي من أكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي فأخذت أموالا كثيرا وهيأت متجرا من قماش بغدادي وموصلي ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب الله السلامة لي حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وأنشد هذه الابيات

قد يسلم الاكمه من حفرة يسقط فيها الباصر الناظر
ويسلم الجاهل من لفظة يهلك فيها العالم الماهر
ويعسر المؤمن في رزقه ويرزق الكافر الفاجر
ماحيلة الانسان مافعله هو الذي قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر وانزلت القماش في خان سرور وفككت أحمالي وأدخلتها وأعطيت الخادم دراهم ليشتري لنا بها شيئا نأكله ونمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتي فلما أصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت في نفسي أقوم لاشق بعض الاسواق وانظر الحال فاخذت بعض القماش وحملته لبعض غلماني وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلني السماسرة وكانوا علموا بمجيئي فاخذوا مني القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لي شيخ الدلالين ياسيدي أنا أعرف لك شيئا تستفيد به وهو أن تعمل مثل مايعمل التجار فتبيع متجرك الي مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفي وتأخذ ماتحصل من ذلك في كل

يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين و زيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها فقالت
هذا رأى سديد فاخذت معى الدلالين وذهبت الى الخان فاخذوا القماش الى القيسرية فبعته الى
التجار وكتبت عليهم وثيقة الي الصيرفى وأخذت عليه وثيقة بذلك و رجعت الى الخان وأقمت اياما
كل يوم افطر على قدح من الشراب واحضر اللحم الضانى والحلويات حتى دخل الشهر الذى استحقت
فيه الجباية فبقيت كل خميس واثنين اقعد على دكاكين التجار و يمضى الصيرفى والكاتب فيجيآن
بالدراهم من التجار ويأتيانى بها الى أن دخلت الحمام يوما من الايام وخرجت الي الخان ودخلت



(الشاب وهو يعطي الجارية التفصيلة ويقول خذيها انت وروحي)

موضعي وافطرت على قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فاكلت دجاجة وتعطرت وذهبت الي دكان تاجر يقال له بدر الدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة في دكانه فبينما نحن كذلك واذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبي وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب فسلبت عقلي بحسنها وجمالها ورفعت الازار فنظرت الي احداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فاخرج لها تفصيلة فقالت للتاجر هل آخذها واذهب ثم أرسل اليك بثمنها فقال لها التاجر لا يمكن ياسيدتي لان هذا صاحب القماش وله علي قسط فقالت ويلك ان عادتي أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم وارجحك فيها فوق ما تريد ثم ارسل اليك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر الي الثمن في هذا اليوم فأخذت التفصيلة ورمته بها في صدره وقالت ان طائفتكم لا تعرف لاحد قدرا ثم قامت مولية فظننت ان روحي راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها ياسيدتي تصدقي علي بالالتفات وارجعي بخطواتك الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لاجلك رجعت وقعدت قصادي على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة كم ثمنها عليك قال الف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فاكتب لك فيها ثمنها فاخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي وأعطيتها التفصيلة وقلت لها خذي أنت وروحي وان شئت هاتي ثمنها الي في السوق وان شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالي وجعلك بعلي فتقبل الله الدعوة وقلت لها ياسيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولك أيضا مثلها ودعيني انظر وجهك فكشفت القناع عن وجهها فلما نظرت وجهها نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت لا أملك عقلي ثم رخت القناع واخذت التفصيلة وقالت ياسيدي لا توحشني وقد ولت وقعدت في السوق الى بعد العصر وأنا غائب العقل وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ما حصل لي من الحب سألت التاجر عنها حين أردت القيام فقال لي ان هذه صاحبة مال وهي بنت أمير مات والدها وخلف لها مالا كثيرا فودعته وانصرفت وجئت الى الخان فقدم الي العشاء فتذكرتها فلم آكل شيئا ونمت فلم يأتني نوم فسهرت الي الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التي كانت علي وشربت قدحا من الشراب وافطرت على شيء قليل وجئت الى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر من الاولي ومعها جارية فجلست وسلمت على دون بدر الدين وقالت لي بلسان فصيح ما سمعت اعذب ولا احلى منه أرسل معي من يقبض الف والمائة درهم ثمن التفصيلة فقلت لها ولأي شيء فقالت لا أعدمناك وناولتني الثمن وقعدت أتحدث معها فاومئت اليها بالاشارة ففهمت اني أريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلق بها وخرجت أنا خارج السوق في أثرها واذا بجارية أتتني وقالت ياسيدي كلم سيدتي فتعجبت وقلت ما يعرفني هنا أحد فقالت الجارية ما اسرع ما نسيتها سيدتي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها الي الصيارف فلما رأتني زوتني لجانبها وقالت ياحبيبي وقعت بخاطري وتمكن حبك من قلبي ومن ساعة رأيتك لم يطب لي نوم ولا أكل ولا شرب

فقلت لها عندي أضعاف ذلك والحال يغني عن الشكوى فقالت يا حبيبي أجي عندك فقلت لها انا رجل غريب ومالي مكان يأويني الا الخان فان تصدقت علي بان أكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شيء الا ان كان في غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل عن الحبانية فان وصلت فاسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بابي شامة فاني ساكنة هناك ولا تبطيء فاني في انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا وجئت للخان الذي أنا فيه وبت طول الليل سهران فما صدقت ان الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسي وتعطرت وتطيبت وأخذت معي خمسين دينارا في منديل ومشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بي الى الحبانية فمضى في أقل من لحظة فما اسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقري فقلت له ادخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا وقال انزل فقلت امش قدامي الى القاعة فمشى حتى أوصلني الى المنزل فقلت له في غد تجيئني هنا وتوديني فقال الحمار بسم الله فناولته ربع دينار ذهبا فأخذه وانصرف فطرقت الباب فخرج لي بنتان صغيرتان وبكران منهدتان كأنهما قمران فقالتا ادخل ان سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لولعها بك فدخلت قاعة مغلقة بسبعة أبواب وفي دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الالوان وبه أنهار دافقة وطيور ناطقة وهي مبيضة بياضا سلطانيا يرى الانسان وجهه فيها وسقفها مطلي بذهب وفي دائرها طرازات مكتوبة بالازورد قد حوت أوصافا حسنة وأضاءت للناظرين وأرضها مفروشة بالرخام المجزع وفي أرضها فسقية وفي أركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب فلما دخلت جلست وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت وجلست لم أشعر الا والصبية قد أقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهي منقشة مخططة فلما رأتني تبسمت في وجهي وحضنتني ووضعتني على صدرها وجعلت فمها على فمي وجعلت تمص لساني وأنا كذلك وقالت أصحيح أتيت عندي أم هذا منام فقلت لها انا عبدك فقالت أهلا ومرحبا والله من يوم رأيتك ما لذلي نوم ولا طاب لي طعام فقلت وانا كذلك ثم جلسنا نتحدث وانا مطرق برأسي الى الارض حياء ولم أمكث الا قليلا حتى قدمت لي سفرة من أفخر الالوان من محمر ومرق ودجاج محشو فاكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا الى الطشط والابريق فغسلت يدي ثم تطيبنا بماء الورد والمسك وجلسنا نتحدث فانشدت هذين البيتين

لو علمنا قدومكم لفرشنا　　مهجة القلب مع سواد العيون
ووضعنا خدودنا للقاكم　　وجعلنا المسير فوق الجفون

وهي تشكو الي ما لاقت وانا اشكو اليها ما لقيت وتمكن حبها عندي وهان على جميع المال ثم أخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل الى أن اقبل الليل فقدمت لنا الجواري الطعام والمدام فاذا هي حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا ونمنا فنمت معها الى الصباح فما رأيت

عمري مثل هذه الليلة فلما أصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت ياسيدى متى أرى هذا الوجه المليح فقلت لها أكون عندك وقت العشاء فلما خرجت أصبت الحمار الذى جاء بى بالامس على الباب ينتظرنى فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت وأعطيت الحمار نصف دينار وقلت له تعالى فى وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وافطرت ثم خرجت اطالب بثمن القماش ثم رجعت وقد عملت لها خروفا مشويا وأخذت حلاوة ثم دعوت الحمال ووصفت له المحل وأعطيته اجرته ورجعت فى أشغالى الي الغروب فجاءنى الحمار فأخذت خمسين دينارا وجعلتها فى منديل ودخلت فوجدتهم مسحوا الرخام وحلوا النحاس وعمروا القناديل وأوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما رأتنى رمت يديها على رقبتى وقالت أوحشتنى ثم قدمت الموائد فأكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجوارى المائدة وقدمت المدام فلم نزل فى شراب وتقبيل وحظ الى نصف الليل فنمنا الى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت الي الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشا فعملت جوزا ولوزا وتحتهم ارز مفلفل وعملت قلقاسا مقليا ونحو ذلك وأخذت فاكهة ونقلا ومشموما وأرسلتها وسرت الى البيت وأخذت خمسين دينارا فى منديل وخرجت فركبت مع الحمار على العادة الى القاعة فدخلت ثم أكلنا وشربنا ونمنا الي الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت الى الخان على العادة ولم أزل على تلك الحالة مدة الى ان بت وأصبحت لا أملك درهما ولا دينارا فقلت فى نفسي هذا من فعل الشيطان وأنشدت هذه الابيات

فقر الفتى يذهب أنواره ... مثل اصفرار الشمس عند المغيب
ان غاب لا يذكر بين الورى ... وان أتى فماله من نصيب
يمر فى الاسواق مستخفيا ... وفى الفلا يبكى بدمع صبيب
والله ما الانسان من أهله ... اذا ابتلى بالفقر الا غريب

ثم تمشيت الى ان وصلت بين القصرين ولا زلت امشى حتى وصلت الى باب زويلة فوجدت الخلق فى ازدحام والباب منسد من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جنديا فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدى على جيبه فجسيته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذى يدى عليه فعمدت الى تلك الصرة فاخذتها من جيبه فاحس الجندى بان جيبه خف فحط يده فى جيبه فلم يجد شيئا والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربنى على رأسي فسقطت الى الارض فاحاط الناس بنا وامسكوا لجام فرس الجندي وقالوا أمن أجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندى وقال هذا حرامي سارق فعند ذلك افقت ورأيت الناس يقولون هذا الشاب مليح لم يأخذ شيئا فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القيل والقال وجذبنى الناس وأرادوا خلاصى منه فبالامر المقدر جاء الوالى هو وبعض الحكام فى هذا الوقت ودخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين على وعلى الجندى فقال الوالى ما الخبر فقال الجندى والله يا أمير ان هذا حرامى وكان فى جيبى

كيس أزرق فيه عشرون دينارا فاخذه واثنان في الزحام فقال الوالي للجندي هل كان معك أحد فقال الجندي لا فصرخ الوالي على المقدم وقال امسكه وفتشه فامسكني وقد زال الستر عني فقال له الوالي أعره من جميع ما عليه فلما اعراني وجدوا الكيس في ثيابي فلما وجدوا الكيس أخذه الوالي وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندي فغضب الوالي وصاح على اتباعه وقال قدموه فقدموني بين يديه فقال لي ياصبي قل الحق هل أنت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسي الى الارض وقلت في نفسي ان قلت ماسرقته فقد اخرجه من ثيابي وان قلت سرقته وقعت في العناء ثم رفعت رأسي وقلت نعم أخذته فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطقي هذا كله في باب زويلة فأمر الوالي السياف بقطع يدي فقطع يدي اليمنى فرق قلب الجندي وشفع في عدم قتلي وتركني الوالي ومضى وصارت الناس حولي وسقوني قدح شراب واما الجندي فانه أعطاني الكيس وقال أنت شاب مليح ولا ينبغي أن تكون لصا فاخذته منه وانشدت هذه الابيات

والله ما كنت لصا ياأخا ثقة ولم أكن سارقا ياأحسن الناس
ولكن رمتني صروف الدهر عن عجل فزاد همي ووسواس افلاسي
وما رميت ولكن الاله رمى سهما فطير تاج الملك عن رأسي

فتركني الجندي وانصرف بعد أن أعطاني الكيس وانصرفت انا ولففت يدي في خرقة وادخلتها عبي وقد تغيرت حالتي واصفر لوني مما جرى لي فتمشيت الى القاعة وانا على غير استواء ورميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغير اللون فقالت لي ماوجعك ومالي ارى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي توجعني وما أنا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلي وقالت لا تحرق قلبي ياسيدي اقعد وارفع رأسك وحدثني بما حصل لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت وقالت كانك قد فرغ غرضك منا فاني أراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثني وانا لا أجيبها حتى أقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت وخشيت ان تراني آكل بيدي الشمال فقلت لا أشتهي أن آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما جرى لك في هذا اليوم ولاي شيء أراك مهموما مكسور الخاطر والقلب فقلت في هذه الساعة أحدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلا بد أن تشرب وتحدثني بخبرك فقلت لها ان كان ولا بد فاسقيني بيدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتني اياه فتناولته منها بيدي الشمال وفرت الدمعة من جفني فانشدته هذه الابيات

اذا اراد الله امرا لامرىء وكان ذا عقل وسمع وبصر
اصم أذنيه وأعمى قلبه وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال و بكيت فلما رأتني أبكي صرخت صرخة قوية وقالت ماسبب بكائك فقد أحرقت قلبي و مالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها ان بيدي حبة فقالت اخرجها حتي أفقعها لك فقلت ماهو وقت فقعها لا تطيلي على فما أخرجها في تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقيني حتي غلب السكر علي فنمت مكاني فابصرت يدي بلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس الذي فيه الذهب فدخل عليها الحزن مالا يدخل على أحد ولا زالت تتألم بسببي الى الصباح فلما أفقت من النوم وجدتها هيأت لي مسلوقة وقدمتها فاذا هي أربعة من طيور الدجاج وأسقتني قدح شراب فأكلت وشربت وحطيت الكيس وأردت الخروج فقالت أين تروح فقلت الى مكان كذا لازحزح بعض الهم عن قلبي فقالت لا تروح بل اجلس فجلست فقالت لي وهل بلغت محبتك اياي الى ان صرفت جميع مالك علي وعدمت كفك فاشهدك علي والشاهد الله اني لا افارقك وسترى صحة قولي ولعل الله استجاب دعوتي بزواجك وارسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابي على هذا الشاب واشهدوا اني قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالي الذي في هذا الصندوق وجميع ما عندي من المماليك والجواري لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلت انا التمليك وانصرفوا بعدما أخذوا الاجرة ثم اخذتني من يدي واوقفتني على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لي انظر هذا الذي في الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذي أخذته منك فكلما أعطيتني منديلا فيه خمسون دينارا الفه وأرميه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رده الله عليك وانت اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك وأنا لا اقدر على مكافأتك ولو بذلت روحي لكان ذلك قليلا ولك الفضل ثم قالت لي تسلم مالك فتسلمته ثم نقلت ما في صندوقها الى صندوقي وضمت مالها الى مالي الذي كنت أعطيتها اياه وفرح قلبي و زال همي فقمت فقبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك و يدك في محبتي فكيف أقدر على مكافأتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان ذلك قليل وما أقوم بواجب حقك علي ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها واملاكها بحجة وما نامت تلك الليلة الا مهمومة من أجلي حين حكيت لها ما وقع لي وبت معها ثم اقمنا على ذلك اقل من شهر وقوى بها الضعف وزاد بها المرض وما مكثت غير خمسين يوما ثم صارت من أهل الآخرة فجهزتها وواريتها في التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلا واملاكا وعقارات ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التي بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالي عنك هذه المدة الا اني بعت بقية الحواصل والى الآن لم أفرغ من قبض الثمن فارجوا منك انك لا تخالفني فيما أقوله لك لاني اكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك فهذا سبب أكلي بيدي الشمال فقلت له لقد أحسنت الي وتفضلت علي فقال لي لا بد ان تسافر معي الى بلادي فاني اشتريت متجرا مصريا واسكندرانيا فهل لك في مصاحبتي فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما أملك واشتريت به متجرا وسافرت انا وذلك الشاب الى هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجره

واشترى متجرا عوضه من بلادكم ومضي الى الديار المصرية فكان نصيبي من قعودى هذه الليلة حتى حصل ماحصل من غربتى فهذا ياملك الزمان ماهو أعجب من حديث الاحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم : وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٢٨) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر الى ملك الصين وقال ان أذنت لى حكيت لك حكاية اتفقت لى فى تلك المدة قبل أن أجد هذا الاحدب وان كانت احب من حديثه تهب لنا ارواحنا فقال الملك هات ماعندك فقال اعلم انى كنت تلك الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأوا القرؤن وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ماقدموا زرباجة فقدمنا لنأكل الزرباجة فتاخر واحد منا وامتنع عن الاكل منها فحلفنا عليه فاقسم انه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا على فكفانى ماجرى لي من أكلها فانشد هذا البيت

اذا صديق أنكرت جانبه لم تعيني على فراقه الحيل

فلما فرغنا قلنا له بالله ماسبب امتناعك عن الاكل من هذه الزرباجة فقال لانى لا آكل منها الا ان غسلت يدى أربعين مرة بالاشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مرة فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه فأتوا بالماء الذي طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو متكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده فى الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية التعجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو يأكل بأربعة أصابع فقلنا له بالله عليك مالابهامك هكذا هو خلقة الله ام أصابه حادث فقال يا اخوانى ماهو هذا الابهام وحده ولكن ابهام الاخرى وكذلك رجلاي الاثنين ولكن انظروا ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناها مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رأيناه كذلك أزددنا تعجبا وقلنا له مابقى لنا صبر على حديثك والاخبار بسبب قطع ابهامى يديك وابهامى رجليك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدى كان تاجرا من التجار الكبار وكان أكبر تجار مدينة بغداد في ايام الخليفة هرون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يترك شيئا فجهزته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه اياما وليالى ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الا يسيرا ووجدت عليه ديونا كثيرة فصبرت اصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت أبيع واشترى واعطى من الجمعة الى الجمعة أصحاب الديون ولازلت على هذه الحالة مدة الي ان وفيت الديون وزدت على رأس مالي فبينما انا جالس يوما من الايام اذا رأيت صبية لم ترعيني أحسن منها عليها حلى وحلل فاخرة وهي راكبة بغلة وقدامها عبد وورائها عبد فاوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل ورائها خادم وقال ياسيدتى اخرجي ولا تعلمي أحدا فتطلق فينا النار ثم حجبها الخادم فلما نظرت الي دكاكين التجار لم تجد أفخر من دكاني فلما وصلت الى جهتى والخادم خلفها وصلت الى دكاني وسلمت على فماوجدت أحسن من حديثها ولا أعذب من كلامها ثم كشفت عن

وجهها فنظرتها نظرة أعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها وجعلت أكرر النظر الى وجهها وأنشد هذين البيتين

قل للمليحة في الخمار الفاختي ... الموت حقا من عذابك راحتي
جودي على بزورة احيابها ... ها قد مددت الى نوالك راحتي

فلما سمعت انشادها أجابتني بهذه الابيات

عدمت فؤادي في الهوى ان سلاكم ... فان فؤادي لا يحب سواكم
وان نظرت عيني الى غير حسنكم ... فلا سرها بعد المباد لقاكم
حلفت يمينا لست أسلو هواكم ... وقلبي حزين مغرم بهواكم
سقاني الهوى كاسا من الحب صافيا ... فياليته لما سقاني سقاكم
خذوا رمقي حيث استقرت بكم نوي ... واين حللتم فادفنوني حداكم
وان تذكروا اسمي عند قبري يجيبكم ... أنين عظامي عند رفع نداكم
فلو قيل لي ماذا على الله تشتهي ... لقلت رضا الرحمن ثم رضاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى أعندك تفاصيل ملاح فقلت ياسيدتي مملوكك فقير ولكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم واجيء لك بما تريدينه ثم تحدثت أنا واياها وانا غارق في بحر محبتها تائه في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت واخذت لها جميع ماطلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم وناولت الخادم جميع ذلك فاخذه الخادم وذهبا الى خارج السوق فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي من اين هي واستحييت ان أذكر لها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت خمسة آلاف درهم وجئت البيت وانا سكران من محبتها فقدموا الى العشاء فاكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فأشغلني عن الاكل وأردت أن أنام فلم يجيئني نوم ولم أزل على هذه الحالة اسبوعا وطالبتني التجار بأموالهم فصبرتهم اسبوعا آخر فبعد الاسبوع أقبلت وهي على البغلة ومعها خادم وعبدان فلما رأيتها زال عني الفكر ونسيت ما كنت فيه واقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فاعطتني ثمن ما أخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكلام فكدت أن أموت فرحا وسرورا ثم قالت لي هل لك انت زوجة فقلت لا انى لا اعرف امرأة ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت من شيء خطر ببالي ثم اني أخذت بعض دنانير واعطيتها للخادم وسألته ان يتوسط في الامر فضحك وقال هي عاشقة لك اكثر منك ومالها بالقماش حاجة وانما هي لاجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فرأتني وانا أعطي الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقي على مملوكك واسمحي له فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فاعجبها ذلك واجابتني وقالت هذا الخادم يأتي برسالتي واعمل أنت بما يقول لك الخادم ثم قامت ومضت وقمت وسلمت التجار أموالهم وحصل لهم الربح الا انا فانها حين ذهبت حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم انم طول الليل فلما كان الا أيام قلائل جاءني خادمها فاكرمته وسألته عنها فقال انها مريضة فقلت للخادم أشرح لي أمرها فقال

أن هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد وهي من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فاذنت لها فى ذلك فصارت تدخل وتخرج حتى صارت قهرمانة ثم انها حدثت بك سيدتها وسألتها ان تزوجها بك فقالت سيدتها لا افعل حتى انظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد فى هذه الساعة أن تدخل بك الدار فان دخلت ولم يشعر بك أحد وصلت تزويجك اياها وان انكشف أمرك ضربت رقبتك فماذا تقول فقلت نعم أروح معك وأصبر على الامر الذي حدثتني به فقال لي الخادم اذا كانت هذه الليلة فامض الى المسجد الذي بنته السيدة زبيدة على الدجلة فصل فيه وبت هناك فقلت حبا وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت الى المسجد وصليت فيه وبت هنالك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد أقبلا فى زورق ومعهما صناديق فارغة فادخلوها فى المسجد وانصرفوا وتاخر واحد منهما فتأملته واذا هو الذى كان واسطة بيني وبينها فبعد ساعة صعدت الينا الجارية صاحبتي فلما أقبلت قمت اليها وعانقتها فقبلتني وبكت وتحدثنا ساعة فاخذتني ووضعتني فى صندوق وأغلقته على ولم أشعر الا وانا فى دار الخليفة وجاؤا الي بشيء كثير من الامتعة بحيث يساوي خمسين الف درهم ثم رأيت عشرين جارية أخرى وهن نهد أبكار وبينهن السيدة زبيدة وهى لم تقدر على المشي مما عليها من الحلى والحلل فلما اقبلت تفرقت الجواري من حواليها فاتيت اليها وقبلت الارض بين يديها فاشارت لى بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألني عن حالي وعن نسبي فاجبتها عن كل ماسألتني عنه ففرحت وقالت والله ماخابت تربيتنا فى هذه الجارية ثم قالت لي اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب وهى وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجي اياها ثم أمرتني أن أقيم عندهم عشرة أيام فاقمت عندهم هذه المدة وانا لا أدرى من هى الجارية الا ان بعض الوصائف تأتيني بالغداء والعشاء لاجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها أمير المؤمنين فى زواج جاريتها فاذن لها وامر لها بعشرة آلاف دينار فارسلت السيدة زبيدة الي القاضي والشهود وكتبوا كتابي عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة أيام أخر وبعد العشرين يوما ادخلوا الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم انهم قدموا سفرة فيها طعام من جملته خافقية زرباجة محشوة بالسكر وعليها ماء ورد ممسك وفيها أصناف الدجاج المحمرة وغيره من سائر الالوان مما يدهش العقول فوالله حين حضرت المائدة ماأمهلت نفسى حتى نزلت على الزرباجة وأكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدى ونسيت أن أغسلها وكنت جالسا الي ان دخل الظلام وأوقدت الشموع وأقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله وبعد ذلك أقبلوا على ونزعوا ماعليها من الملبوس فلما خلوت بها في الفراش وعانقتها وأنا لم أصدق بوصالها شمت في يدى رائحة الزرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة فنزل لها الجواري من كل جانب فارتجفت ولم أعلم ما الخبر فقالت الجواري مالك يا أختنا فقالت لهم اخرجوا عني هذا المجنون فانا احسب أنه عاقل فقلت لها وما الذى ظهر لك من جنوني فقالت يامجنون لاى

شيء أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فوالله لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٢٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجارية قالت للشاب لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها سوطا ونزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم انها قالت للجواري خذوه وامضوا به الى متولي المدينة ليقطع يده التي أكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لا حول ولا قوة الا بالله أتقطع يدي من أجل أكل الزرباجة وعدم غسلي اياها فدخلن عليها الجواري وقلن لها يا أختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لا بد أن أقطع شيأ من أطرافه ثم راحت وغابت عني عشرة أيام ولم أرها الا بعد العشرة أيام ثم أقبلت علي وقالت لي يا اسود الوجه أنا لا أصلح لك فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجواري فكتفوني وأخذت موسا ماضيا وقطعت ابهامي يدي وابهامي رجلي كما ترون يا جماعة فغشي علي ثم ذرت علي بالذرور فانقطع الدم وقلت في نفسي لا آكل الزرباجة ما بقيت حتى أغسل يدي أربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسعد واربعين مرة بالصابون فاخذت علي ميثاقا اني لا آكل الزرباجة حتى أغسل يدي كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغيرلوني وقلت في نفسي هذا سبب قطع ابهامي يدي ورجلي فلما غصبتم علي قلت لا بد ان أوفي بما حلفت فقلت له والجماعة حاضرون ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت أنا واياها وأقمنا مدة على هذا الحال وبعد تلك المدة قالت ان أهل دار الخلافة لا يعلمون بما حصل بيني وبينك فيها وما دخلها أجنبي غيرك وما دخلت فيها الا بعناية السيدة زبيدة ثم أعطتني خمسين ألف دينار وقالت خذ هذه الدنانير واخرج واشتر لنا بها دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها من النعم وما ادخرته من الاموال والقماش والتحف الى هذه الدار التي اشتريتها فهذا سبب قطع ابهامي فاكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى لي مع الأحدب ماجرى وهذا جميع حديثي والسلام فقال الملك ماهذا باعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب أعذب من ذلك ولا بد من صلبكم جميعا وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٠) قالت بلغني أن الملك قال لا بد من صلبكم جميعا فتقدم اليهودي وقبل الارض وقال يا ملك الزمان أنا أحدثك بحديث أعجب من حديث الاحدب فقال له ملك الصين هات ما عندك فقال أعجب ماجرى لي في زمن شبابي اني كنت في دمشق الشام وتعلمت منه صنعة فعملت فيها فبينما أنا أعمل في صنعتي يوما من الأيام اذ اتاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت فرأيت في صدر الايوان سريرا من المرمر بصفائح الذهب وعليه مريض راقد وهو شاب لم ير أحسن منه في زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفا فأشار الي بعينه فقلت له ياسيدي ناولني يدك فاخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي يا لله العجب ان هذا الشاب مليح ومن بيت كبير وليس عنده أدب ان هذا هو العجب ثم جسست مفاصله وكتبت له

ورقة ومكثت أتردد عليه مدة عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر قال الشاب هل لك أن تتفرج في الغرفة فقلت نعم فامر العبيد أن يطلعوا الفراش الى فوق وامرهم أن يشووا خروفا وان ياتوا الينا بفاكهة ففعل العبيد ما أمرهم به واتوا ابالفاكهة فاكلنا وأكل هو بيده الشمال فقلت له حدثني بحديثك فقال لي ياحكيم الزمان اسمع حكاية ماجري لي اعلم انني من أولاد الموصل وكان لي والد قد توفي أبوه وخلف عشرة أولاد ذكور من جملتهم والدي وكان أكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدي بي واما اخوته التسعة فلم يرزقوا باولاد فكبرت أنا وصرت بين أعمامي وهم فرحون بي فرحا شديدا فلما كبرت و بلغت مبلغ الرجال وكنت ذات يوم مع والدي في جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعا واما والدي واعمامي فانهم قعدوا يتحدثون في عجائب البلاد وغرائب المدن الى ان ذكروا مصر فقال بعض اعمامي ان المسافرين يقولون ماعلى وجه الارض أحسن من مصر ونيلها ثم انهم أخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت أنا هذه الأوصاف التي في مصر صار خاطري مشغولا بها ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم الى منزله فبت تلك الليلة لم يأتني نوم من شغفي بها ولم يطب لي أكل ولا شرب فلما كان بعد ايام قلائل تجهز أعمامي الى مصر فبكيت على والدي لاجل الذهاب معهم حتى جهز لي متجرا ومضيت معهم وقال لهم لا تدعوه يدخل مصر بل اتركوه في دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدي وخرجنا من الموصل ومازلنا مسافرين حتى وصلنا الى حلب فاقمنا بها اياما ثم سافرنا الى ان وصلنا دمشق فرأيناها مدينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات واستمر بها اعمامي حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتي فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركني أعمامي وتوجهوا الي مصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب لما تركوه أعمامه وتوجهوا الى مصر قال مكثت بعدهم وسكنت في قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أجرتها كل شهر بدينارين وصرت أتلذذ بالمآكل والمشارب حتى صرفت المال الذي كان معي فبينما أنا قاعد على باب القاعة يوما من الايام واذا بصبية أقبلت علي وهي لابسة أفخر الملابس ما رأت عيني أفخر منها فعزمت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب علي وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت أزارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبي فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة وما يحتاج اليه المقام وأكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها في أطيب ليلة الى الصباح وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير فحلفت انها لاتأخذ الدنانير مني ثم قالت ياحبيبي انتظرني بعد ثلاثة أيام وقت المغرب أكون عندك وهيء لنا بهذه الدنانير مثل هذا وأعطتني هي عشرة دنانير وودعتني وانصرفت فاخذت عقلي معها فلما مضت الايام الثلاثة أتت وعليها من المزركش والحلي والحلل أعظم مما كان عليها أولا وكنت هيئت لها ما يليق بالمقام قبل ان تحضر ثم أكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة الى الصباح ثم أعطتني عشرة دنانير وواعدتني بعد ثلاثة

أيام انها تحضر عندى فهيأت لها ما يليق بالمقام وبعد ثلاثة أيام حضرت فى قماش أعظم من الاول والثانى ثم قالت لي ياسيدى هل أنا مليحة فقلت أي والله فقالت هل تأذن لي ان أجيء معي بصبية أحسن مني وأصغر سنا منى حتى تلعب معنا و نضحك وإياها فانها سألتني أن تخرج معي وتبيت معنا لنضحك وإياها ثم اعطتني عشرين دينارا وقالت لى زد لنا المقام لأجل الصبية التى تأتى معي ثم انها ودعتني وانصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها ما يليق بالمقام على العادة فلما كان بعد المغرب واذا بها قد أتت ومعها واحدة ملفوفة بازار فدخلتا وجلستا ففرحت وأوقدت الشموع واستقبلتهما بالفرح والسرور فقامتا ونزعتا ما عليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر فى تمامه فلم أر أحسن منها فقمت وقدمت لهما الأكل والشرب فأكلنا وشربنا وصرت أقبل الصبية الجديدة وأملأ لها القدح واشرب معها فغارت الصبية الاولى فى الباطن ثم قالت بالله إن هذه الصبية مليحة أما هى أظرف مني قلت أي والله قالت خاطرى ان تنام معها قلت على رأسى وعيني ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة الى وقت الصبح فلما أصبحت وجدت يدى ملوثة بدم ففتحت عيني فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية فتدحرجت رأسها عن بطنها فظننت انها فعلت ذلك من غيرتها منها ففكرت ساعة ثم قمت قلعت ثيابي وحفرت فى القاعة ووضعت الصبية ورددت التراب وأعدت الرخام كما كان ورفعت المخدة فوجدت تحتها العقد الذى كان فى عنق تلك الصبية فاخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم أقمت يومين وفى اليوم الثالث دخلت الحمام وغيرت أثوابي وانا ما معي شىء من الدراهم فجئت يوما الى السوق فوسوس لي الشيطان لاجل انفاذ القدر فاخذت العقد الجوهر وتوجهت به الي السوق وناولته للدلال فقام لي واجلسني بجانبه وصبر حتى عمر السوق وأخذه الدلال ونادى عليه خفية وانا لا اعلم واذا بالعقد مثمن بلغ ثمنه الفى دينار فجاءني الدلال وقال لى ان هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الى الف درهم فقلت له نعم كنا صنعناه لواحدة نضحك عليها به وورثتها زوجتي فأردنا بيعه فرح واقبض الالف درهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٣٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للدلال اقبض الالف درهم وسمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فتوجه بالعقد الي كبير السوق وأعطاه اياه فاخذه وتوجه به الي الوالي وقال له ان هذا العقد سرق من عندى ووجدنا الحرامي لابسا لباس أولاد التجار فلم أشعر الا والظلمة قد أحاطوا بي وأخذوني وذهبوا بي الى الوالى فسألني الوالي عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالى وقال ما هذا كلام الحق فلم أدر الا وحواشيه جردوني من ثيابي وضربوني بالمقارع على جميع بدنى فاحرقني الضرب فقلت أنا سرقته وقلت فى نفسى ان الاحسن انى أقول انا سرقته ولا أقول ان صاحبته مقتولة عندى فيقتلوني فيها فلما قلت انى سرقته قطعوا ايدى وقلوها فى الزيت فغشى على فسقوني الشراب حتى أفقت فاخذت يدى وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيثما جرى لك هذا فادخل القاعة وأنظر لك موضعا آخر لانك متهم بالحرام فقلت له ياسيدى اصبر

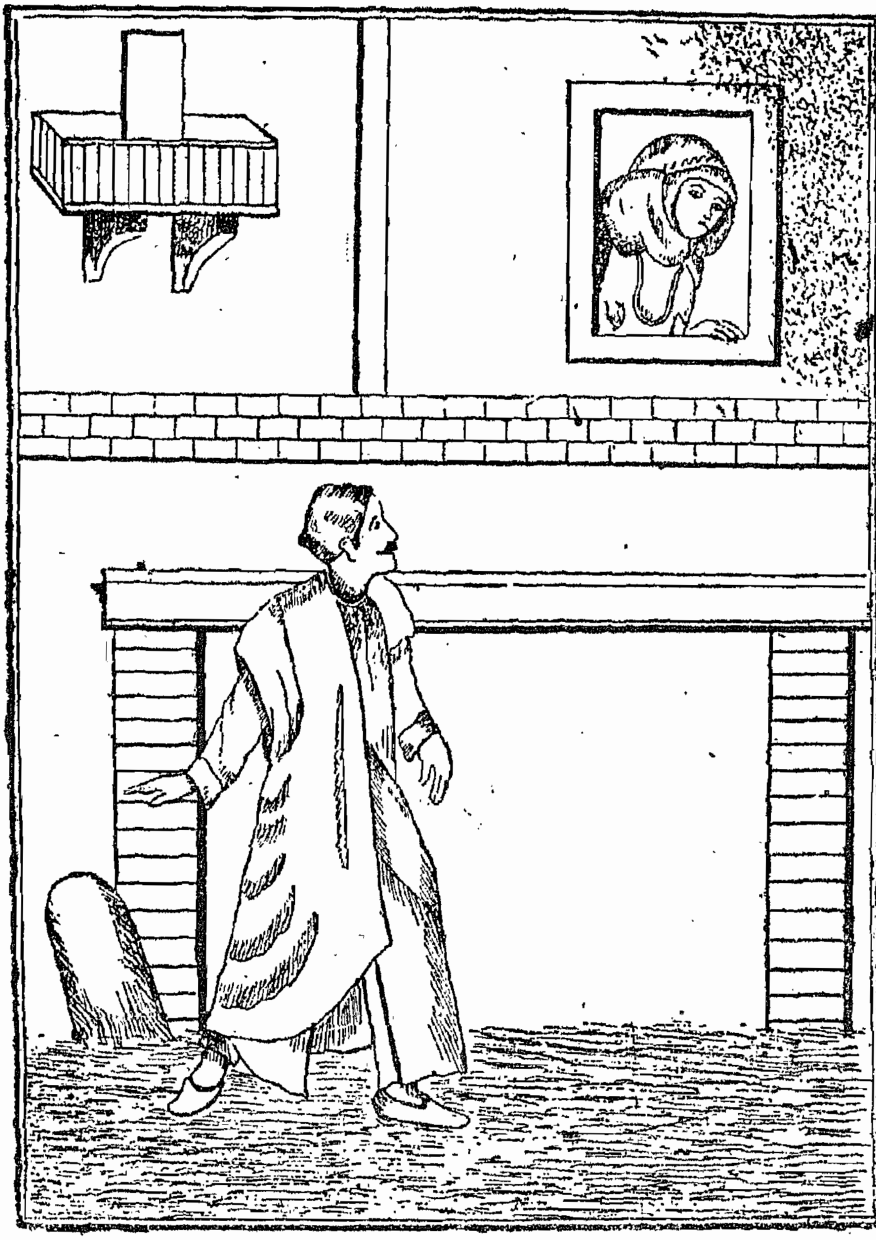
على يومين أو ثلاثة حتى أنظر لي موضعا قال نعم ومضى وتركني فبقيت قاعدا أبكي وأقول كيف أرجع الى أهلي وانا مقطوع اليد والذي قطع يدي لم يعلم اني بريء فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وصرت أبكي بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عني لحقني غم شديد فتشوشت يومين وفي اليوم الثالث ماأدري الا وصاحب القاعة جاءني ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى علي اني سرقت العقد فخرجت لهم وقلت ما الخبر فلم يمهلوني بل كتفوني ووضعوا في رقبتي جنزيرا وقالوا لي ان العقد الذي كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سنين ومعه ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلي وقلت في نفسي هم يقتلونني ولا محالة والله لابد انني أحكي للصاحب حكايتي فان شاء قتلني وان شاء عفى عني فلما وصلنا الى الصاحب أوقفني بين يديه فلما رآني قال أهذا هو الذي سرق العقد ونزل به ليبيعه انكم قطعتم يده ظلما ثم أمر بسجن كبير السوق وقال له اعطي هذا دية يده والا أشنقك وآخذ جميع مالك ثم صاح على اتباعه فأخذوه وجردوه وبقيت أنا والصاحب وحدنا بعد أن فكوا الغل من عنقي باذنه وحلوا وثاقي ثم نظر الى الصاحب وقال لي ياولدي حدثني واصدقني كيف وصل اليك هذا العقد فقلت يامولاي اني أقول لك الحق ثم حدثته بجميع ماجرى لي مع الصبية الاولى وكيف جاءتني بالثانية وكيف ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى ساعة ثم أقبل علي وقال لي اعلم ياولدي ان الصبيه بنتي وكنت أحجر عليها فلما بلغت أرسلتها الى ابن عمها بمصر فمات فجاءتني وقد تعلمت العهر من أولاد مصر وجاءتك أربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة والاثنتان شقيقتان وكانتا محبتين لبعضهما فلما جرى للكبيرة ماجرى أخرجت سرها على أختها فطلبت مني الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكي عليها وقالت لا أعلم لها خبرا ثم قالت لأمها سرا جميع ماجرى من ذبحها أختها فأخبرتني امها سرا ولم تزل تبكي وتقول والله لا أزال أبكي عليها حتى أموت وكلامك ياولدي صحيح فاني أعلم بذلك قبل أن تخبرني به فانظر ياولدي ماجري وانا أشتهي منك ان لاتخالفني فيما اقول لك وهو اني أريد ان أزوجك ابنتي الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما وهي بكر ولا آخذ منك مهرا وأجعل لكما راتبا من عندي وتبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت له الامر كما تريد ياسيدي ومن أين لي ان أصل الي هذا فارسل الصاحب في الحال من عنده بريدا واتاني بمالي الذي خلفه والدي وانا اليوم في ارغد عيش فتعجبت منه واقمت عنده ثلاثة أيام واعطاني مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذه فطابت لي فيها المعيشة وجرى لي مع الاحدب ماجرى فقال ملك الصين ماهذا باعجب من حديث الاحدب ولابد لي من شنقكم جميعا وخصوصا الخياط الذي هو راس كل خطيئة قال ياخياط ان حدثتني بشيء أعجب من حديث الاحدب وهبت لكم أرواحكم

حكاية مزين بغداد

فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم ياملك الزمان ان الذي جرى لي أعجب مما جرى للجميع لاني

كنت قبل ان أجتمع بالاحدب أول النهار فى وليمة بعض أصحاب أرباب الصنائع من خياطين و بزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنا كل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب وهو أحسن ما يكون من الجمال غير انه أعرج فدخل علينا وسلم فقمنا فلما أراد الجلوس رأى فينا انسانا مزينا فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ماسبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاى لا تتعرض لي بشيء فان سبب خروجي هذا المزين الذي هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا اليه وقلنا له احك لنا ماسبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة انه جرى لي مع هذا المزين أمر عجيب فى بغداد بلدى وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي وحلفت اني ما بقيت أقاعده فى مكان ولا أسكن في بلد هو ساكن بها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت فى هذه المدينة وانا الليلة لا أبيت الا مسافرا فقلنا بالله عليك أن تحكى لنا حكايتك معه فاصفر لون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب اعلموا يا جماعة الخير ان والدى من أكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيرى فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفى والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا وخدما وحشما فصرت ألبس أحسن الملابس وآكل أحسن المآكل وكان الله سبحانه وتعالى بغضني فى النساء الى ان كنت ماشيا يوما من الايام فى أزقة بغداد واذا بجماعة تعرضوا الي فى الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ وارتكنت فى اخره على مصطبة فلم أقعد غير ساعة واذا بطاقة قبالة المكان الذي أنا فيه فتحت وطلت منها صبية كالبدر فى تمامه لم أر فى عمرى مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطاقة فالتفتت يمينا وشمالا ثم قفلت الطاقة وغابت عن عيني فانطلقت فى قلبي النار واشتغل خاطرى بها وانقلب بغضى للنساء محبة فما زلت جالسا فى هذا المكان الى المغرب وانا غائب عن الدنيا من شدة الغرام واذا بقاضي المدينة راكب وقدامه عبيد ووراءه خدم فنزل ودخل البيت الذى طلت منه تلك الصبية فعرفت انه أبوها ثم انى جئت منزلي وانا مكروب ووقعت على الفراش مهموما فدخلن على جوارى وقعدن حولى ولم يعرفن ما بى وانا لم أبد لهن امرا ولم أرد لخطابهن جوابا وعظم مرضى فصارت الناس تعودنى فدخلت علي عجوز فلما رأتني لم يخف عليها حالى فقعدت عند رأسى ولاطفتني وقالت لى ياولدي قل لي خبرك فحكيت لها حكايتى وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب لما حكى للعجوز حكايته قالت له ياولدى ان هذه بنت قاضي بغداد وعليها الحجر والموضع الذى رأيتها فيه هو طبقتها وأبوها له أسفل وهي وحدها وأنا كثيرا ما أدخل عندهم ولا تعرف وصالها الا منى فشد حيلك فتجلدت وقويت نفسي حين سمعت حديثها وفرح أهلي في ذلك اليوم وأصبحت متماسك الاعضاء مرتجيا



بنت القاضي وهي تطل من الطاقة لتسقي الزراع

تمام الصحة ثم مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت ياولدي لا تسأل عما جرى منها لما قلت لها ذلك فانها قالت لي ان لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكلام لافعلن بك ما تستحقينه ولا بد ان أرجع اليها ثاني مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي فلما كان بعد أيام أتت العجوز وقالت ياولدي أريد منك البشاره فلما سمعت ذلك منها ردت روحي الى جسمي وقلت لها لك عندي كل خير فقالت اني ذهبت بالامس الى تلك الصبية فلما نظرتني وانا منكسرة الخاطر باكية العين قالت ياخالتي مالي اراك ضيقة الصدر فلما قالت لي ذلك بكيت وقلت لها يا بنتي وسيدتي أني أتيتك

بالامس من عند فتى يهواك وهو مشرف على الموت من أجلك فقالت لى وقد رق قلبها ومن أين يكون هذا الفتى الذى تذكرينه قلت هو ولدى وثمرة فؤادى ورآك من الطاقة من ايام مضت وأنت تسقين زرعك ورأى وجهك فهام بك عشقا وانا أول مرة أعلمته بما جرى لى معك فزاد مرضه ولزم الوساد وما هو الا ميت ولا محاله فقالت وقد اصفر لونها اهل هذا كله من أجلى قلت أي والله فماذا تأمرين قالت امضى اليه واقرئيه منى السلام واخبريه ان عندى أضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجيء الى الدار وانا اقول افتحوا له الباب واطلعه عندى واجتمع أنا واياه ساعة ويرجع قبل مجيء أبى من الصلاة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت أجده من الالم واستراح قلبي ودفعت اليها ما كان على من الثياب وانصرفت وقالت لى طيب قلبك فقلت لها لم يبق فى شيء من الالم وتباشر أهل بيتي واصحابى بعافيتي ولم أزل كذلك الى يوم الجمعة واذا بالعجوز دخلت على وسألتنى عن حالي فاخبرتها انى بخير وعافية ثم لبست ثيابي وتعطرت ومكثت أنتظر الناس يذهبون الي الصلاة حتى أمضى اليها فقالت العجوز ان معك الوقت اتساعا زائدا فلو مضيت الي الحمام وأزلت شعرك لاسيما من أثر المرض لكان فى ذلك صلاحك فقلت لها ان هذا هو الرأى الصواب لكن احلق رأسى أولا ثم أدخل الحمام فارسلت الى المزين ليحلق لى رأسى وقلت للغلام امضى الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا قليل الفضول لا يصدع رأسى بكثرة كلامه فمضى الغلام وأتى بهذا الشيخ فلما دخل سلم على فرددت عليه السلام فقال أذهب الله غمك وهمك والبؤس والاحزان عنك فقلت له تقبل الله منك فقال ابشر ياسيدى فقد جاءتك العافية اتريد تقصير شعرك أو اخراج دم فانه ورد عن ابن عباس أنه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء وروي أيضا انه قال من احتجم يوم الجمعة فانه يأمن ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم فى هذه الساعة احلق لى رأسي فانى رجل ضعيف فقام ومد يده واخرج منديلا وفتحه واذا فيه اصطرلاب وهو سبع صفائح فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لي اعلم انه مضي من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى ما أوجبه علم الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق انه يدل على ان حلق الشعر جيد جدا ودل عندى على انك تريد الاقبال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشيء لا أذكر ذلك فقلت له وقد أضجرتني وأزهقت روحي وفولت على وإنما طلبتك الا لتحلق رأسى فقم واحلق رأسي ولا تطل على الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الامر لطلبت منى زيادة البيان وأنا أشير عليك انك تعمل اليوم بالذى أمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك أن تحمد الله ولا تخالفني فانى ناصح لك وشفيق عليك وأود أن أكون فى خدمتك سنة كاملة وتقوم بحقى ولا أريد منك أجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلى فى هذا اليوم ولا محالة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال له انك قاتلي في هذا اليوم فقال له ياسيدي انا الذي تسميني الناس الصامت لقلة كلامي دون اخوتي لان أخي الكبير اسمه البقبوق والثاني الهدار والثالث بقبق والرابع اسمه الكوز الاصواني والخامس اسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو انا فلما زاد على هذا المزين بالكلام رأيت ان مرارتي انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار وخله ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي في حلاقة رأسي فقال المزين حين سمع كلامي مع الغلام يامولاي ما أظنك تعرف بمنزلتي فان يدي تقع على رأس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي مثلي قال الشاعر

جميع الصنائع مثل العقود وهذا المزين در السلوك
فيعلوا على كل ذي حكمة وتحت يديه رؤس الملوك

فقلت دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدري وأشغلت خاطري فقال أظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الامور ما كان فيه تأنٍّ وانا والله رابني أمرك فاشتهي ان تعرفني ما الذي أنت مستعجل من أجله ولعله خير فاني اخشى أن يكون شيأ غير ذلك وقد بقي من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمي الموس من يده واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فأخذ الموس وسنه كما فعل أولا وحلق بعض رأسي وقال أنا مهموم من عجلتك فلو اطلعتني على سببها لكان خيرا لك لانك تعلم ان والدك ما كان يفعل شيئا الا بمشورتي فلما علمت ان مالي منه خلاص قلت في نفسي قد جاء وقت الصلاة وأريد ان أمضي قبل أن تخرج الناس من الصلاة فان تأخرت ساعة لا أدري أين السبيل الى الدخول اليها فقلت أوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فاني أريد أن أمضي الى دعوة عند أصحابي فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من اصدقائي ونسيت أن اجهز لهم شيئا يأكلونه وفي هذه الساعة تذكرت ذلك وافضيحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الامر بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب لك ان انجزت أمري وعجلت حلاقة رأسي فقال جزاك الله خيرا صف لي ما عندك لاضيافي حتى أعرفه فقلت عندي خمسة أوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال احضرها لي حتى انظرها فأحضرت له جميع ذلك فلما عاينه قال بقي الشراب فقلت له عندي قال احضره فاحضرته له قال لله درك ما اكرم نفسك لكن بقي البخور والطيب فاحضرت له درجا فيه ند وعود وعنبر ومسك يساوي خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدري فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع رأسي بحياة محمد ﷺ فقال المزين والله ما آخذه حتى أرى جميع ما فيه فأمرت الغلام ففتح له الدرج فرمي المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى كادت روحي ان تفارق جسمي ثم تقدم وأخذ الموس وحلق من

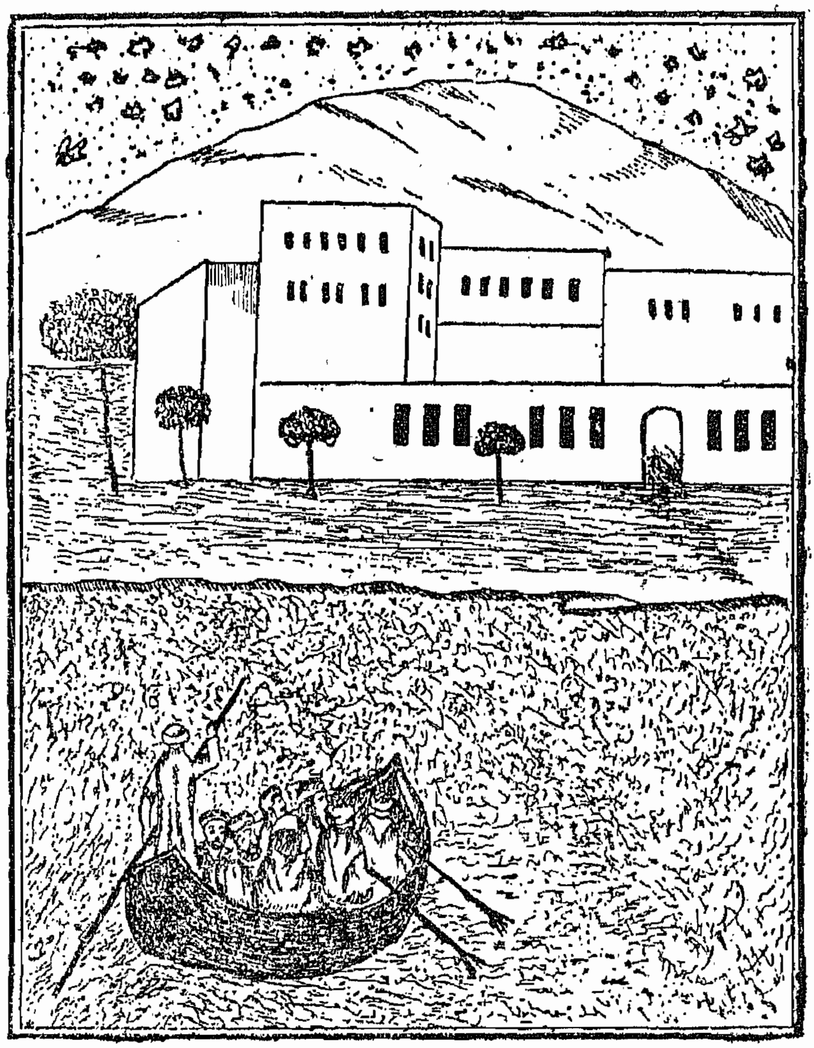
رأسه شيئا يسيرا وقال والله يا ولدى ما أدري اشكرك ثم اشكر والدك لان دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك واحسانك وليس عندى من يستحق ذلك وانما عندى زيتون الحمامي وصليع الفسخاني وعوكل الفوال وعكرشه البقال وحميد الزبال وعكارش اللبان ولكل هؤلاء رقصة يرقصها فضحكت عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له اقض شغلي وأسير أنا في أمان الله تعالى وتمضي أنت الى أصحابك فانهم منتظرون قدومك فقال ماطلبت الان اعاشرك بهؤلاء الاقوام فانهم من أولاد الناس الذين مافيهم فضولي ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع أصحابك فقلت له نعم الله سرورك بهم ولا بد أن احضرهم عندي يوما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب لما قال للمزين لا بد أن أحضر أصحابك عندي يوما فقال له اذا اردت ذلك وقدمت دعوة أصحابك في هذا اليوم فاصبر حتى امضي بهذا الاكرام الذى اكرمتني به وادعه عند أصحابي يأكلون ويشربون ولا ينتظرون ثم أعود اليك وأمضي معك الى اصدقائك فليس بيني وبين اصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم والعود اليك عاجلا وأمضي معك أينما توجهت فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم امضي أنت الى أصدقائك وانشرح معهم ودعني امضي الى اصدقائي وأكون معهم في هذا اليوم فانهم ينتظرون قدومي فقال المزين لا ادعك تمضي وحدك فقلت له ان الموضع الذى أمضي اليه لا يقدر أحد ان يدخل فيه غيري فقال أظنك اليوم في ميعاد واحدة والا كنت تأخذني معك وانا احق من جميع الناس واساعدك على ما تريد فاني أخاف أن تدخل على امرأة أجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لا يقدر أحد أن يعمل فيها شيئا من هذه الاشياء لاسيما في مثل هذا اليوم وهذا والي بغداد صارم عظيم فقلت ويلك ياشيخ الشر أى شيء هذا الكلام الذى تقابلني به فسكت سكوتا طويلا وأدركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسي فقلت له امضي الى أصحابك بهذا الطعام والشراب وأنا انتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم أزل اخادعه لعله يمضي فقال لي انك تخادعني وتمضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لا خلاص لك منها فبالله لا تبرح حتى أعود اليك وامضي معك حتى أعلم ما يتم من أمرك فقلت له نعم لا تبطيء علي فخذ ما أعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي فسلمه الى الحمال ليوصله الي منزله واخفي نفسه في بعض الازقة ثم قمت من ساعتي وقد اعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابي وخرجت وحدي وأتيت الي الزقاق ووقفت على البيت الذى رأيت فيه تلك الصبية واذا بالمزين خلفي ولا أعلم به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من أين أعلم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة لامر يريده الله من هتك ستري أن صاحب الدار اذنبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه فصاح الآخر فاعتقد المزين أنه يضربني فصاح ومزق أثوابه وحثا التراب علي رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدى في بيت القاضي ثم مضى الي داري وهو يصيح والناس خلفه وأعلم أهل

بيتي وناداني فبادرت الا وهم قد أقبلوا يصيحون واسيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو ممزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو في أوائلهم يصرخ وهم يقولوا واقتيلاه وقد أقبلوا نحو الدار التي أنا فيها فلما سمع القاضي ذلك عظم عليه الامر وقام وفتح الباب فرأى جمعا عظيما فبهت وقال ياقوم ماالقصة فقال له الغلمان انك قتلت سيدنا فقال ياقوم وما الذي فعله سيدكم حتى أقتله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القاضي قال للغلمان ما الذي فعله سيدكم حتى أقتله ومالي لا أرى هذا المزين بين أيديكم فقال له المزين أنت ضربته في هذه الساعة بالمقارع وانا أسمع صياحه فقال القاضي وما الذي فعله حتى أقتله ومن أدخله داري ومن أين جاء والى اين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخا نحسا فانا أعلم الحكاية وسبب دخوله دارك وحقيقة الامر كله و بنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت انه قد دخل دارك وامرت غلمانك فضربوه والله مابيننا و بينك الا الخليفة أو تخرج لنا سيدنا ليأخذه أهله ولا تحوجني الى أن أدخل وأخرجه من عندكم وعجل أنت باخراجه فالتجم القاضي عن الكلام وصار في غاية الخجل من الناس وقال للمزين ان كنت صادقا فادخل أنت واخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين أردت أن أهرب فلم أجد لي مهربا غير اني رأيت في الطبقة التي أنا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه ورددت الغطاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت الى غير الجهة التي أنا فيها بل قصد الموضع الذي أنا فيه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الا الصندوق الذي أنا فيه فحمله على رأسه فلما رأيته فعل ذلك غاب رشدي ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركني فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسي على الارض فانكسرت رجلي فلما توجهت الى الباب وجدت خلقا كثيرا لم أر في عمري مثل هذا الازدحام الذي حصل في ذلك اليوم فجعلت أنثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت أجري في أزقة بغداد وهذا المزين خلفي وأي مكان دخلت فيه يدخل خلفي وهو يقول أرادوا أن يفجعوني في سيدي الحمد لله الذي نصرني عليهم وخلص سيدي من أيديهم فمازلت ياسيدي مولعا بالعجلة لسوء تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الافعال فلولا من الله عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي وقعت فيها وربما كانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص منها أبدا فاطلب من الله ان أعيش لك حتى أخلصك والله لقد أهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد أن تروح وحدك ولكن لا نؤاخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول فقلت له اما كفاك ماجرى منك حتى تجري ورائي في الاسواق وصرت أتمنى الموت لاجل خلاصي منه فلا أجد موتا ينقذني منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانا في وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عني وجلست في مخزن وقلت في نفسي ما بقيت أقدر أن افترق من هذا المزين بل يقيم عندي ليلا ونهارا ولم يبق في قدرة على النظر الى وجهه فارسلت في الوقت احضرت الشهود وكتبت وصية لاهلي وجعلت انسانا ناظرا عليهم وأمرته ان يبيع الدار والعقارات واوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرا من

لك الوقت حتى أتخلص من ذلك القواد ثم جئت الى بلادكم فسكنتها ولي فيها مدة فلما عزمت على وجئت اليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم في صدر المكان فكيف يستريح قلبي ويطيب مقامي عندكم مع هذا وقد فعل معي هذا الفعال وانكسرت رجلي بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احق ماقاله هذا الشاب عنك فقال والله انا فعلت ذلك بمعرفتي ولولا اني فعلت لهلك وماسبب نجاته الا انا ومن فضل الله عليه بسببي انه أصاب برجله ولم يصب بروحه



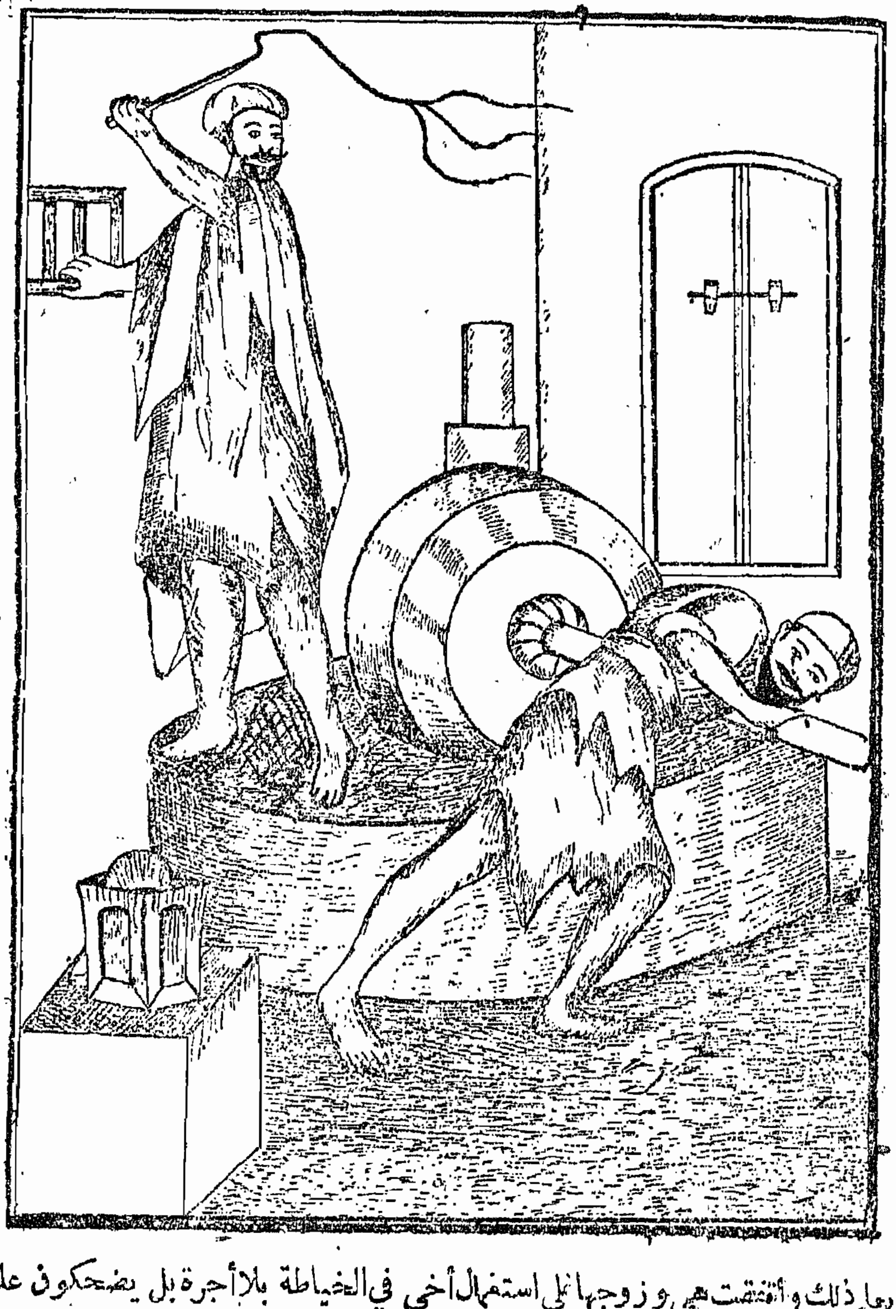
﴿الزورق وفيه العشرة الذين أمر بحضورهم أمير المؤمنين﴾

ولو كنت كثير الكلام مافعلت معه ذلك الجميل وها أنا أقول لكم حديثا جرى لي حتى تصدقوا أني قليل الكلام وماعندي فضول من دون أخوتي وذلك اني كنت ببغداد في أيام خلافة أمير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوما انه غضب على عشرة أشخاص فأمر المتولي ببغداد ان يأتيه بهم في زورق فنظرتهم أنا فقلت مااجتمع هؤلاء الا لعزومة واظنهم يقطعون يومهم في هذا الزورق في أكل وشرب ولا يكون نديمهم غيري فقمت

ونزلت معهم واختلطت بهم فقعدوا في الجانب الآخر فجاءهم أعوان الوالي بالاغلال ووضعوها في رقابهم ووضعوا في رقبتي غلال من جملتهم فهذا يا جماعة ماهو من مروأتي وقلة كلامي لأني ما رضيت أن أتكلم فاخذونا جميعا في الاغلال وقدمونا بين يدي المنتصر بالله امير المؤمنين فامر بضرب رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان المزين قال لما السياف ضرب رقاب العشرة وبقيت أنا فالتفت الخليفة فرآني فقال للسياف مابالك لا تضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما أظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذي بين يدي هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك أنهم عشرة قال عدوهم فعدوهم فاذا هم عشرة فنظر الى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك في هذا الوقت وكيف صرت مع اصحاب الدم فلما سمعت خطاب أمير المؤمنين قلت له اعلم يا امير المؤمنين اني أنا الشيخ الصامت وعندي من الحكمة شيء كثير واما رزانة عقلي وجودة فهمي وقلة كلامي فانها لا نهاية لها وصنعتي الزيانة فلما كان امس بكرة النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت انهم في عزومة فما كان غير ساعة واذا هم اصحاب جرائم فحضرت اليهم الاعوان ووضعوا في رقابهم الاغلال ووضعوا في رقبتي غلا من جملتهم فمن فرط مروأتي سكت ولم اتكلم فعدم كلامي في ذلك الوقت من فرط مروأتي فساروا بنا حتي أوقفونا بين يديك فأمرت بضرب رقاب العشرة وبقيت انا بين يدي السياف ولم أعرفكم بنفسي أما هذه مروأة عظيمة قد أحوجتني الى ان أشاركهم في القتل لكن طول دهري هكذا أفعل الجميل فلما سمع الخليفة كلامي وعلم اني كثير المروأة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الاهوال قال الخليفة واخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لا عاشوا ولا بقوا ان كانوا مثلي ولكن ذممتني يا أمير المؤمنين ولا ينبغي لك أن تقرن أخوتي بي لانهم من كثرة كلامهم وقلة مروأتهم كل واحد منهم بعاهة ففيهم واحد اعرج وواحد أعور وواحد أفلح وواحد أعمى وواحد مقطوع الاذنين والانف وواحد مقطوع الشفتين وواحد أحول العينين ولا تحسب يا أمير المؤمنين اني كثير الكلام ولا بد أن أبين لك اني أعظم مروأة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وان شئت ان أحكي لك فاعلم يا أمير المؤمنين أن الاول وهو الاعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استاجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان وكان في اسفل دار الرجل طاحون فبينما أخي الاعرج جالس في الدكان في بعض الايام يخيط اذ رفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار وهي تنظر الناس فلما رآها أخي تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر اليها وترك اشتغاله بالخياطة الى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخيط شيئا يساوي درهما فاتفق أن صاحب الدار جاء الى أخي يوما من الايام ومعه قماش

وقال له فصل لى هذا وخيطه أقمصة فقال أخى سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا الى وقت العشاء وهو لم يذق طعاما ثم قال له كم أجرة ذلك فلم يتكلم أخى فاشارت اليه الصبية بعينها لا تأخذ منه شيأ وكان محتاجا الى فلس واستمر ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب الا القليل بسبب اجتهاده فى تلك الخياطة فلما فرغ من الخياطة التي لهم أتى اليهم بالاقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال أخى



(الخياط وهو معلق فى الطاحون والطحان يضربه بالسوط)

وأخى لا يعلم ذلك واتفقت هى وزوجها على استعمال أخى في الخياطة بلا أجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ أخى من جميع أشغالهما عملا عليه حيلة وزوجاه بجارية لهما وليلة أراد أن يدخل عليها قالا له بت الليلة فى الطاحون والى غد يكون خيرا فاعتقد أخي ان لهما قصدا صحيحا فبات فى الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه ليدوره فى الطاحون فدخل عليه الطحان فى نصف

الليل وجعل يقول ان هذا الثور بطال مع ان القمح كثير وأصحاب الطحين يطلبونه فأنا أعلقه في الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه في الطاحون الى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى أخي معلقا في الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه ومضى وبعد ذلك جاءت الجارية التي عقد عليها وكان مجيئها في بكرة النهار فخلته من الطاحون وقال قد شق على أو على سيدتي ماجرى لك وقد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب ثم ان أخي رجع الى منزله واذا بالشيخ الذي كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حياك الله زواجك مبارك انت بت الليلة في النعيم والدلال والعناق من العشاء الى الصباح فقال له أخي لا سلم الله الكاذب بألف قواد والله ماجئت إلا لاطحن في موضع الثور الى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه أخي بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن اذا شئت ان أغير لك عقد العقد أغيره لك باحسن منه لاجل ان يوافق نجمك نجمها فقال له انظر ان بقي لك حيلة أخرى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٨) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاعرج لما قال للشيخ انظر ان بقي لك حيلة أخرى فتركه واتى الى دكانه ينتظر احدا يأتي اليه بشغل يتقوت من اجرته واذا هو بالجارية قد اتته اليه وكانت اتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة فقالت له ان سيدتي مشتاقة اليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن فلم يشعر اخي الا وهي قد طلعت له من الروشن وصارت تبكي وتقول لاي شيء قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جوابا فحلفت له ان جميع ماوقع له في الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر اخي الى حسنها وجمالها ذهب عنه ماحصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس في خياطته مدة وبعد ذلك ذهبت اليه الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتي وتقول لك ان زوجها قد عزم على ان يبيت عند بعض اصدقائه في هذه الليلة فاذا مضى عندهم تكون انت عندنا وتبيت مع سيدتي في الذ عيش الى الصباح وكان زوجها قد قال لها مايكون العمل في مجيئه عندك حتى آخذه واجره الى الوالي فقالت دعني احتال عليه بحيلة وافضحه فضيحة يشتهر بها في هذه المدينة وأخي لا يعلم شيأ من كيد النساء فلما اقبل المساء جاءت الجارية الى اخي واخذته ورجعت به الى سيدتها فقالت له والله ياسيدي اني مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجل بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه الا وقد حضر زوج الصبية من بيت جاره فقبض على اخي وقال له والله لا افارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه اخي فلم يسمعه بل حمله الى دار الوالي فضربه بالسياط واركبه جملا ودوره في شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار اعرج ثم نفاه الوالي من المدينة فخرج لا يدري أين يقصد فاغتظت انا فلحقته واتيت به والترمت بأكله وشربه الى الآن فضحك الخليفة من كلامي وقال احسنت فقلت لا اقبل هذا التعظيم منك دون ان تصغي الي حتى احكي لك ماوقع لبقية اخوتي ولا تحسب اني كثير الكلام فقال الخليفة حدثني بما وقع لجميع اخوتك وشنف مسامعي بهذه الرقائق واسلك سبيل الاطناب في ذكر هذه اللطائف فقلت اعلم يا امير المؤمنين ان اخي الثاني كان اسمه

بقبق وقد وقع له أنه كان ماشيا يوما من الايام متوجها الى حاجة له واذا بعجوز قد استقبلته وقالت له أيها الرجل قف قليلا حتى أعرض عليك أمرا فان أعجبك فاقضه لي فوقف أخي فقالت له ادلك على شيء وأرشدك اليه بشرط أن لا يكون كلامك كثيرا فقال لها أخي هات كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة وماؤها يجري وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد أسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك من العشاء الى الصباح فان فعلت ما أشترط عليك رأيت الخير فلما سمع أخي كلامها قال لها ياسيدتي وكيف قصدتيني بهذا الامر من دون الخلق أجمعين فاي شيء أعجبك مني فقالت لأخي أما قلت لك لا تكن كثير الكلام واسكت وامض معي ثم ولت العجوز وسار أخي تابعا لها طمعا فيما وصفته له حتى دخلا دارا فسيحة وصعدت به من أدني الى اعلى فرأى قصرا ظريفا فنظر أخي فرأى فيه أربع بنات ما رأى الراؤن أحسن منهن وهن يغنين باصوات تطرب الحجر الاصم ثم ان بنتا منهن شربت قدحا فقال لها اخي بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم سقته قدحا فشرب وصفعته على رقبته فلما رأى اخي ذلك خرج مغضبا ومكثرا للكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها ارجع فرجع وجلس ولم ينطق فاعادت الصفعة على قفاه الى ان اغمي عليه ثم قام اخي لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له اصبر قليلا حتى تبلغ ما تريد فقال لها اخي الى كم اصبر قليلا فقالت له العجوز اذا سكرت بلغت مرادك فرجع اخي الى مكانه وجلس فقامت البنات كلهن وامرتهن العجوز أن يجردنه من ثيابه وان يرششن على وجهه ماء ورد ففعلن ذلك فقالت الصبية البارعة الجمال منهن اعزك الله قد دخلت منزلي فان صبرت على شرطي بلغت مرادك فقال لها اخي ياسيدتي انا عبدك وفي قبضة يدك فقالت له اعلم ان الله قد شغفني بحب المطرب فمن اطاعني نال ما يريد ثم امرت الجواري إن يغنين فغنين حتى طرب المجلس ثم قالت للجارية خذي سيدك واقضي حاجته وائتيني به في الحال فاخذت الجارية اخي ولا يدري ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له اصبر ما بقي الا القليل فاقبل اخي على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ما تريد وانما بقي شيء واحد وهو ان تحلق ذقنك فقال لها اخي وكيف اعمل في فضيحتي بين الناس فقالت له العجوز انها ما ارادت ان تفعل بك ذلك الا لاجل ان تصير امرد بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شيء يشكها فانها صار في قلبها لك محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنى فصبر اخي وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به الى الصبية واذا هو محلوق الحاجبين والشاربين والذقن أحمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت ياسيدي لقد ملكتني بهذه الاخلاق الحسنه ثم حلفته بحياتها ان يقوم و يرقص فقام ورقص فلم تدع في البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجواري صرن يضربنه بمثل نارنجة وليمونة واترجة الى ان سقط مغشيا عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم في وجهه الى ان قالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم انه ما بقي عليك من الضرب شيء وما بقي الا شيء واحد وذلك ان من عادتها إنها اذا سكرت لا تمكن احدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة من جميع ما عليها من ثيابها وانت

الاخر تقلع ثيابك وتجرى ورائها وهى تجرى قدامك كأنها هاربة منك ولم تزل تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكنك من نفسها ثم قالت له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٣٩) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان أخا المزين قلع ثيابه وصار عريانا فقالت الجارية لاخى قم الآن واجرى ورائى وأجرى أنا قدامك واذا أردت شيئا فاتبعنى فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل من محل الى محل وتخرج من محل الى محل آخر وأخى وراءها وقد غلب الشبق وايره قائم كانه مجنون ولم تزل تجرى قدامه وهو يجرى وراءها حتى سمع منها صوتا رقيقا وهى تجرى قدامه وهو يجرى وراءها فبينما هو كذلك اذ رأى نفسه فى وسط زقاق وذلك الزقاق فى وسط الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن والحواجب والشوارب محمر الوجه فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشى عليه وحملوه على حمار حتى أوصلوه الى الوالى فقال ماهذا قالوا هذا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحاله فضربه الوالى مائة سوط وخرجت أنا خلفه وجئت به وادخلته المدينة سرا ثم رتبت له مايقتات به فلولا مروءتى ما كنت أحتمل مثله وأما أخى الثالث فاسمه قفة ساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب طمعا أن يكلمه صاحبها فيسأله شيأ فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه أحد فسمعه أخى يقول بصوت عال من هذا فلم يكلمه أخى وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال ماتريد قال له أخى شيأ لله تعالى فقال له هل أنت ضرير قال له أخى نعم فقال له ناولنى يدك فناوله يده فادخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم الى سلم حتى وصل الى أعلى السطوح وأخى يظن انه يطعمه شيئا أو يعطيه شيئا فلما انتهى الى اعلى مكان قال لاخى ماتريد ياضرير قال أريد شيئا لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له أخى ياهذا اما كنت تقول لى ذلك وانا فى الاسفل فقال له ياأسفل السفلة لم تسألنى شيئا لله حين سمعت كلامى أول مرة وانت تدق الباب فقال أخى هذه الساعة ماتريد أن تصنع بى فقال له ماعندى شىء حتى أعطيك اياه قال انزل بى الى السلالم فقال لى الطريق بين يديك فقام أخى واستقبل السلالم ومازال نازلا حتى بقى بينه وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعا منحدرا من السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لايدرى أين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقال له أى شىء حصل لك فى هذا اليوم فحدثهم بما وقع له قال لهم يا اخوانى أريد أن آخذ شيئا من الدراهم التى بقيت معنا وانفق منه على نفسى وكان صاحب الدار مشى خلفه ليعرف حاله فسمع كلامه وأخى لايدرى بان الرجل يسعى خلفه الى ان دخل مكانه ودخل الرجل خلفه وهو لا يشعر به وقعد أخى ينتظر رفقاءه فلما دخلوا عليه قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون أحد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام أخى قام وتعلق بحبل كان فى السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا احدا ثم رجعوا وجلسوا

الى جانب أخي واخرجوا الدراهم التى معهم وعدوها فاذاهى عشرة آلاف درهم فتركوها فى زاوية البيت وأخذ كل واحد مما زاد عنها ما يحتاج اليه ودفنوا العشرة آلاف درهم فى التراب ثم قدموا بين أيديهم شيئا من الأكل وقعدوا يأكلون فاحس أخي بصوت غريب في جهته فقال للاصحاب هل معنا غريب ثم مد يده فتعلقت بيد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا فيه ضربا وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٤٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أخي لما صاح على رفقائه وقال هذا غريب وقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يامسلمين دخل علينا اللص يريد ان يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق فتعامي الرجل الغريب صاحب الدار الذى أدعوه عليه انه لص وأغمض عينيه وأظهر انه أعمى مثلهم بحيث لا يشك فيه أحد وصاح يامسلمين أنا بالله والسلطان انا بالله والوالى انا بالله والامير فان عندي نصيحة للامير فلم يشعروا الا وقد احتاط بهم جماعة الوالي فاخذوهم وأخي معهم واحضروهم بين يديه فقال الوالى ما خبركم فقال ذلك الرجل اسمع كلامي أيها الوالى لا يظهر لك حقيقة حالنا الا بالعقوبة وان شئت فابدأ بعقوبتى قبل رفقائى فقال الوالى اطرحوا هذا الرجل واضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما أوجعه الضرب فتح احدى عينيه فلما ازداد عليه الضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالى ما هذه الفعال يافاجر فقال اعطنى الامان وانا اخبرك فاعطاه الامان فقال نحن أربعة نعمل أرواحنا عميانا ونمر على الناس وندخل البيوت وننظر النساء ونحتال فى فسادهن واكتساب الاموال من طرقهن وقد حصلنا من ذلك مكسبا عظيما وهو عشرة آلاف درهم فقلت لرفقائى اعطونى حقى الفين وخمسمائة فقاموا وضربونى وأخذوا مالى وأنا مستجير بالله وبك وأنت احق بحصتى من رفقائى وان شئت ان تعرف صدق قولى فاضرب كل واحد أكثر مما ضربتنى يفتح عينيه فعند ذلك أمر الوالى بعقوبتهم وأول ما بدأ بأخي وما زالوا يضربونه حتي كاد ان يموت ثم قال لهم الوالى يافسقة تجحدون نعمة الله وتدعون انكم عميان فقال اخي الله الله الله ما فينا بصير فطرحوه الى الضرب ثانيا ولم يزالوا يضربونه حتى غشي عليه فقال الوالى دعوه حتى يفيق واعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم امر بضرب أصحابه كل واحد أكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا اعينكم والا جددوا عليكم الضرب ثم قال للوالى ابعث معي من يأتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون أعينهم ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث الوالى معه من أتاه بالمال فاخذه وأعطي الرجل منه الفين وخمسمائة درهم على قدر حصته رغما عنهم ونفي أخي وباقى الثلاثة خارج المدينة فخرجت أنا يا أمير المؤمنين ولحقت أخي وسألته عن حاله فاخبرني بما ذكرته لك فادخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب طول عمره فضحك الخليفة من حكايتي وقال صلوه بجائزة ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيئا حتي أبين لامير المؤمنين ماجرى لبقية اخوتى وأوضح له انى قليل الكلام فقال الخليفة أصدع آذاننا بخرافة خبرك وزدنا من عجرك وبجرك فقلت وأما أخي الرابع يا أمير المؤمنين وهو الاعور رفائه

كان جزارا ببغداد يبيع اللحم و يربي الخرفان وكانت الكبار وأصحاب الاموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالا عظيما واقتنى الدواب و الدور ثم اقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو في دكانه يوما من الايام اذ وقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال اعطني بها لحما فاخذ منه الدراهم واعطاه اللحم وانصرف فتأمل أخي في فضة الشيخ فرأى دراهمه بيضا بياضها ساطع فعزلها وحدها في ناحية وأقام الشيخ يتردد عليه خمسة أشهر وأخي يطرح دراهمه في صندوق وحدها ثم أراد أن يخرجها ويشتري غنما فلما افتتح الصندوق رأي ما فيه ورقا أبيض مقصوصا فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه ثم رجع اخي الى الدكان على عادته فذبح كبشا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقه خارج الدكان وصار يقول في نفسه لعل ذلك الشيخ يجيء فاقبض عليه فما كان الا ساعة وقد أقبل الشيخ ومعه الفضة فقام أخي وتعلق به وصار يصيح يا مسلمين الحقوني واسمعوا قصتي مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له أي شيء احب اليك ان تعرض عن فضيحتي أو أفضحك بين الناس فقال له يا أخي بأي شيء تفضحني قال بأنك تبيع لحم الناس في صورة لحم الغنم فقال له يا أخي كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون الا الذي عنده رجل معلق في الدكان فقال له اخي ان كان الامر كما ذكرت فمالي ودمي حلال لك فقال الشيخ يا معاشر الناس ان هذا الجزار يذبح الآدميين ويبيع لحمهم في صورة لحم الغنم وان أردتم ان تعلموا صدق قولي فادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان اخي فرأوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا فلما رأوا ذلك تعلقوا بأخي وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار أعز الناس اليه يضربه ولطمه الشيخ على عينه فقلعها وحمل الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة فقال له الشيخ أيها الامير ان هذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على انه لحم غنم وقد اتيناك به فقم واقض حق الله عز وجل فدافع أخي عن نفسه فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل أمر بضربه خمسمائة عصا وأخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه ثم نفوا اخي من المدينة فخرج هائما لا يدري اين يتوجه فدخل مدينة كبيرة واستحسن ان يعمل اسكافيا ففتح دكانا وقعد يعمل شيئا يتقوت منه فخرج ذات يوم في حاجة فسمع صهيل خيل فبحث على سبب ذلك فقيل له ان الملك خارج الى الصيد والقنص فخرج اخي ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من خسة رأيه حيث انتقل من صنعة الاساكفة فالتفت الملك فوقعت عينه على عين اخي فاطرق الملك رأسه وقال اعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وانصرف راجعا فرجع جميع العسكر وامر الملك غلمانه ان يلحقوا أخي ويضربونه فلحقوه وضربوه ضربا وجيعا حتى كاد ان يموت ولم يدر أخي ما السبب فرجع الى موضعه وهو في حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا اخي اعلم ان الملك لا يطيق ان ينظر الى اعور ولا سيما ان كان الاعور شمالا فانه لا يرجع عن قتله فلما سمع اخي ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة وهنا ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٤) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الاعور لما سمع ذلك الكلام عزم على

الهروب من تلك المدينة وارتحل منها وتحول الى مدينة اخرى لم يكن فيها ملك وأقام بها زمنا طويلا
ثم بعد ذلك تفكر فى أمره وخرج يوما ليتفرج فسمع صهيل خيل خلفه فقال جاء امر الله وفر يطلب
موضعا ليستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوبا فدفع ذلك الباب فدخل فرأى دهليزا طويلا
فاستمر داخلا فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا الحمد لله الذي مكننا منك يا عدو الله هذه ثلاث
ليال ما ارحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا مضجع بل اذقتنا طعم الموت فقال اخي يا قوم ما امركم
بالله فقالوا أنت تراقبنا وتريد ان تفضحنا وتفضح صاحب البيت اما يكفيك انك افقرته وافقرت
أصحابك ولكن اخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا فى وسطه السكين التى
يقطع بها النعال فقال يا قوم اتقوا الله فى أمرى واعلموا ان حديثى عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم
بحديثه طمعا ان يطلقوه فلم يسمعوا منه مقاله ولم يلتفتوا اليه بل ضربوه ومزقوا أثوابه فلما
تمزقت اثوابه وانكشف بدنه وجدوا اثر الضرب بالمقارع على جنبيه فقالوا له يا ملعون هذا اثر الضرب
يشهد على جرمك ثم احضروا اخي بين يدي الوالى فقال فى نفسه قد وقعت فأتيت اليه وأخذته
وادخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب واما اخي الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا امير
المؤمنين وكان رجلا فقيرا يسأل الناس ليلا وينفق ما يحصله بالسؤال نهارا وكان والدنا شيخا كبيرا
طاعنا فى السن فخلف لنا سبعمائة درهم فأخذ كل واحد منا مائة درهم وأما اخي الخامس هذا فانه لما
اخذ حصته تحير ولم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك اذ وقع فى خاطره أنه يأخذ بها زجاجا من كل نوع
ليتجر فيه ويربح فاشترى بالمائة درهم زجاجا وجعله فى قفص كبير وقعد فى موضع ليبيع ذلك الزجاج
وبجانبه حائط فاسند ظهره اليها وقعد متفكرا فى نفسه وقال ان رأس مالى فى هذا الزجاج مائة درهم انا
ابيعه بمائتين درهم ثم اشترى بالمائتين درهم زجاجا وابيعه باربعمائة درهم ولا ازال أبيع واشترى الى ان يبقى
معى مال كثير فاشترى به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح ربحا عظيما وبعد ذلك اشترى
دارا حسنة واشترى المماليك والخيل والسروج المذهبة وآكل واشرب ولا اخلى مغنية فى المدينة حتى
أجىء بها الى بيتى واسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب فى نفسه وقفص الزجاج قدامه ثم قال وابعث
جميع الخاطبات فى خطبة بنات الملوك والوزراء واخطب بنت الوزير فقد بلغنى انها كاملة الحسن
بديعة الجمال وامهرها بالف دينار فان رضى ابوها حصل المراد وان لم يرض اخذتها قهرا على رغم انفه
فان حصلت فى دارى اشترى عشرة خدام صغار ثم اشترى لى كسوة الملوك والسلاطين واصوغ لى
سرجا من الذهب مرصعا بالجوهر ثم اركب ومعى المماليك يمشون حولى وقدامى وخلفى حتى اذا
رآني الوزير قام اجلالا لى واقعدني مكانه ويقعد هو دوني لانه صهرى ويكون معى خادمان
بكيسين فى كل كيس الف دينار فاعطيه الف دينار مهر بنته واهدى اليه الالف الثانى إنعاما حتى
ظهر له مروأتى وكرمى وصغر الدنيا فى عينى ثم أنصرف الى دارى فاذا جاء أحد من جهة امرأتى وهبت
دراهم وخلعت عليه خلعة وان ارسل الى الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت نفيسة ولم أقبل منه حتى
يعلموا انى عزيز النفس ولا أخلى نفسى الا فى أعلى مكانة ثم أقدم اليهم في اصلاح شأنى وتعظيمه

فاذا فعلوا ذلك امرتهم بزفافها ثم أصلح داري اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست افخر ثيابي وقعدت على مرتبة من الديباج لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلي ورزانة فهمي وتجيء امرأتي وهي كالبدر في حليها وحللها وانا لا أنظر اليها عجبا وتيها حتى يقول جميع من حضر ياسيدي امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضر بها القيام ثم يقبلون الارض قدامي مرارا فعند ذلك ارفع رأسي وانظر اليها نظرة واحدة ثم اطرق برأسي الى الارض فيمضون بها واقوم انا واغير ثيابي والبس أحسن مما كان علي فاذا جاؤا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسألوني مرارا فأنظر اليها ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان اخا المزين الخامس قال اني آمر بعض الخدامين ان يرمي كيسا فيه خمسمائة دينار للمواشط فاذا اخذنه امرهن ان يدخلنني عليها فاذا أدخلنني عليها لا انظر اليها ولا أكلمها احتقارا لها لاجل ان يقال اني عزيز النفس حتى تجيء امها وتقبل رأسي ويدي وتقول لي ياسيدي انظر جاريتك فانها تشتهي قربك فاجبر خاطرها بكلمة فلم اردّ عليها جوابا ولم تزل كذلك تستعطفني حتى تقوم وتقبل يدي ورجلي مرارا ثم تقول ياسيدي ان بنتي صبية مليحة ما رأت رجلا فاذا رأت منك الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم وتحضر لي قدحا وفيه شرابا ثم ان ابنتها تأخذ القدح لتعطيني فاذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي وانا متكئ على مخدة مزركشة بالذهب لا انظر اليها من كبر نفسي وجلالة قدري حتى تظن في نفسها اني سلطان عظيم الشأن فتقول ياسيدي بحق الله عليك لا ترد القدح من يد جاريتك فاني جاريتك فلا أكلمها فتلح علي وتقول لا بد من شربه وتقدمه الى فمي فانفض يدي في وجهها وارفسها واعمل هكذا ثم رفس اخي برجله فجاءت في قفص الزجاج وكان في مكان مرتفع فنزل على الارض فتكسر كل ما فيه ثم قال أخي هذا كله من كبر نفسي ولو كان امره الى أمير المؤمنين لضربته الف سوط وشهرته في البلد ثم بعد ذلك صار أخي يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكي ويلطم على وجهه والناس ينظرون اليه وهم رائحون الى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من لم يفكر فيه وهو على تلك الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالسا يبكي واذا بامرأة مقبلة الى صلاة الجمعة وهي بديعة الجمال تفوح منها رائحة المسك وتحتها بغلة بردعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما نظرت الى الزجاج وحال أخي وبكائه اخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فاصابه ما تنظر يه فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذي معك الى هذا المسكين فدفع له صرة فاخذها فلما فتحها وجد فيها خمسمائة دينار فكاد ان يموت من شدة الفرح وأقبل اخي بالدعاء لها ثم عاد الى منزله غنيا وقعد متفكرا واذا بدق يدق الباب فقام وفتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له ياولدي اعلم ان الصلاة قد قرب زوال وقتها وانا بغير وضوء واطلب منك ان تدخلني منزلك حتى توضأ فقال لها سمعا وطاعة ثم دخل أخي واذن لها بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما

فرغت اقبلت الى الموضع الذى هو جالس فيه وصلت هنالك ركعتين ثم دعت لاخى دعاء حسنا فشكرها على ذلك وأعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان الله انى أعجب مما أحبك وانت بسمة الصعاليك فخذ مالك عنى وان كنت غير محتاج اليه فاردده الى التى اعطتك اياه لما انكسر الزجاج منك



(أخا المزين عند مارفس برجله فأتت فى قفص الزجاج فتكسر كل مافيه)

فقال لها أخى يا أمى كيف الحيلة فى الوصول اليها قالت ياولدى انها تميل اليك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فاذا اجتمعت بها فلا تترك شيأ من الملاطفة والكلام الحسن الا وتفعله

معها فانك تنال من جمالها ومن مالها جميع ماتريد فاخذ اخي جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لا يصدق بذلك فلم تزل تمشي وأخي يمشي وراءها حتى وصلا الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية ففتحت الباب فدخلت العجوز وأمرت أخي بالدخول فدخل داراً كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلساً كبيراً مفروشاً وستائر مسبلة فجلس أخي ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر الا وجارية اقبلت ما رأى مثلها الراؤن وهي لابسة أفخر القماش فقام أخي على قدميه فلما رأته ضحكت في وجهه وفرحت به ثم ذهبت الى الباب واغلقته ثم اقبلت على أخي وأخذت يده ومضيا جميعاً الى أن أتيا الى حجرة منفردة فدخلاها واذا هي مفروشة بانواع الديباج فجلس أخي وجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى أجيء اليك وغابت عنه ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد اسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يأخذ لمعانه بالبصر وقال لأخي يا ويلك من جاء بك الى هذا المكان يا أخس الانس يا ابن الزنا وتربية الخنا فلم يقدر اخي أن يرد عليه جواباً بل انعقد لسانه في تلك الساعة فاخذه العبد واعراه ولم يزل يضربه بالسيف صحفاً ضربات متعددة اكثر من ثمانين ضربة الى أن سقط من طوله على الارض فرجع العبد عنه واعتقد انه مات وصاح صيحة عظيمة بحيث ارتجت الارض من صوته ودوى له المكان وقال أين المليحة فاقبلت اليه جارية في يدها طبق مليح فيه ملح أبيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشو الجرحات التي في جلد اخي حتى تهورت واخي لا يتحرك خيفة أن يعلموا انه حي فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الاولى فجاءت العجوز الى أخي وجرته من رجله الى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر في مكانه يومين كاملين وكان الله سبحانه وتعالى جعل الملح سبباً لحياته لانه قطع سيلان عروق الدم فلما رأى أخي في نفسه القوة على الحركة قام من السرداب وفتح طاقة في الحائط وخرج من مكان القتلى وأعطاه الله عز وجل الستر فمشى في الظلام واختفى في هذا الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز في طلب صيد آخر فخرج أخي في أثرها وهي لا تعلم به حتى اتي منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برىء ولم يزل يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تأخذ الناس واحد بعد واحد وتوصلهم الى تلك الدار واخي لا ينطق بشيء ثم لما رجعت اليه صحته وكملت قوته عمد الى خرقة وعمل منها كيساً وملأه زجاجاً وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه أحد ولبس ثياب العجم وأخذ سيفاً وجعله تحت ثيابه فلما رأى العجوز قال لها بكلام العجم يا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لي ولد صغير صيرفي عنده سائر الموازين فامض معي اليه قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال أخي امشي قدامي فسارت وسار أخي خلفها حتى اتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت في وجهه وهنا ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤٣) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن المزين قال فخرجت الجارية وضحكت في وجه اخي فقالت العجوز اتيتكم بلحمة سمينة فاخذت الجارية بيد اخي وادخلته الدار التي دخلها سابقاً وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لاخي لا تبرح حتى

أرجع اليك وراحت فلم يستقر أخي الا والعبد قد أقبل ومعه السيف المجرد فقال لأخي قم يا مشئوم
فقام أخي وتقدم العبد أمامه وأخي وراءه ومد يده الى السيف الذي تحت ثيابه وضرب العبد فرمى
رأسه وسحبه من رجله الى السرداب ونادى اين المليحة فجاءت الجارية وبيدها الطبق الذي فيه
الملح فلما رأت أخي والسيف بيده ولت هاربة فتبعها أخي وضربها فرمى رأسها ثم نادى أين العجوز
فجاءت فقال لها أتعرفيني يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاي فقال لها أنا صاحب الدنانير الذي جئت
وتوضأت عندي وصليت ثم تحيلت على حتى أوقعتيني هنا فقالت اتق الله في أمري فالتفت اليها
وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج في طلب الجارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الامان
فأمنها ثم قال لها ما الذي أوقعك عند هذا الاسود فقالت اني كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه
العجوز تتردد علي فقالت لي يوما من الايام ان عندنا فرحا ما رأى أحد مثله فاحب ان تنظري اليه فقلت
لها سمعا وطاعة ثم قمت ولبست أحسن ثيابي وأخذت معي صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى
أدخلتني هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الا وهذا الاسود أخذني ولم أزل عنده على هذا الحال ثلاث
سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها أخي هل له في الدار شيء فقالت عنده شيء كثير فان كنت
تقدر على نقله فانقله فقام أخي ومشى معها ففتحت له صناديق فيها أكياس فبقي أخي متحيرا فقالت له
الجارية امض الان ودعني هنا وهات من ينقل المال فخرج واكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل الى
الباب وجده مفتوحا ولم ير الجارية ولا الاكياس وانما رأى شيأ يسيرا من المال والقماش فعلم انها
خدعته فعند ذلك أخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن وأخذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك في
الدار شيئا وبات تلك الليلة مسرورا فلما أصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا فلما خرج
اليهم تعلقوا به وقالوا له ان الوالي يطلبك فاخذوه وراحوا الى الوالي فلما رأى أخي قال له من أين لك
هذا القماش فقال أخي اعطني الامان فاعطاه منديل الامان فحدثه بجميع ما وقع له مع العجوز من
الاول الى الآخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالي والذي أخذته خذ منه ما شئت ودع لي ما أتقوت
به فطلب الوالي جميع المال والقماش وخاف أن يعلم به السلطان فاخذ البعض وأعطى أخي البعض
وقال له اخرج من هذه المدينة والا أشنقك فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت
عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا أذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه وأخذت اليه ثيابا وجئت
به الى المدينة مسرورا ورتبت له ما يأكله وما يشربه وأما أخي السادس يا أمير المؤمنين وهو مقطوع
الشفتين فانه كان فقيرا جدا لا يملك شيأ من حطام الدنيا الفانية فخرج يوما من الايام يطلب شيئا يسد
به رمقه فبينما هو في بعض الطرق اذ رأى حسنة ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وامر ونهي
فسأل بعض الواقفين هناك فقال هي لانسان من اولاد الملوك فتقدم أخي الى البوابين وسألهم شيئا
فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبها فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل الى دار في
غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفي وسطها بستان ما رأى الراؤن أحسن منه وأرضها مفروشة بالرخام
وستورها مسبولة فصار أخي لا يعرف أين يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأى انسانا حسن الوجه

واللحية فلما رأى أخي قام اليه ورحب به وساله عن حاله فاخبره أنه محتاج فلما سمع كلام أخي أظهر غما شديدا ومد يده الى ثياب نفسه ومزقها وقال هل أكون أنا ببلد وأنت بها جائع لا صبر لي على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لا بد ان تمالحني فقال ياسيدي ليس لي صبر واني شديد الجوع فصاح ياغلام هات الطشت والابريق ثم قال له ياضيفي تقدم واغسل يدك ثم أومأ كانه يغسل يده ثم صالح على أتباعه أن قدموا المائدة فجعلت اتباعه تغدو وترجع كانها تهيىء السفرة ثم أخذ اخي وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يومىء ويحرك شفتيه كانه يأكل ويقول لاخي كل ولا تستح فانك جائع وانا أعلم ما انت فيه من شدة الجوع فجعل اخي يومىء كانه يأكل وهو يقول لأخي كل وانظر هذا الخبز وانظر بياضه وأخي لا يبدي شيئا ثم ان اخي قال في نفسه ان هذا رجل يحب أن يهزأ بالناس فقال له ياسيدي عمري ما رأيت أحسن من بياض هذا الخبز ولا ألذ من طعمه فقال هذا خبز تهجار يه لي كنت اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار ياغلام قدم لنا الكباب الذي لا يوجد مثله في طعام الملوك ثم قال لاخي كل ياضيفي فانك شديد الجوع ومحتاج الى الاكل فصار أخي يدور حنكه ويمضغ كانه يأكل واقبل الرجل يستدعي لونا بعد لون من الطعام ولا يحضر شيئا ويامر أخي بالاكل ثم صاح ياغلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق ثم قال كل مالم تأكل مثله قط فقال ياسيدي ان هذا الاكل لا نظير له في اللذة وأقبل يومأ بيده الى فم أخي حتى كانه يلقمه بيده وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخي بهذه الاوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة رغيف من شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت أطيب من ابازير هذه الاطعمة فقال له أخي لا ياسيدي فقال كثر الاكل ولا تستح فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل على أتباعه ان قدموا الحلويات فحركوا أيديهم في الهواء كانهم قدموا الحلويات ثم قال صاحب المنزل لأخي كل من هذا النوع فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي وخذ هذه القطيفة قبل أن ينزل منها الجلاب فقال له أخي لا عدمتك ياسيدي وأقبل أخي يساله عن كثرة المسك الذي في القطائف فقال له ان هذه عادتي في بيتي فدائما يضعون لي في كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله وأخي يحرك رأسه وفمه يلعب بين شدقيه كانه يتلذذ باكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على أصحابه أن احضروا النقل فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم أحضروا النقل وقال لاخي كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومن الزبيب ونحو ذلك وصار يعدد له أنواع النقل ويقول كل ولا تستح فقال أخي ياسيدي قد اكتفيت ولم يبق لي قدرة على أكل شيء فقال ياضيفي ان أردت ان تاكل وتتفرج على غرائب الماكولات فالله الله لا تكن جائعا ثم فكر أخي في نفسه وفي استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لاعملن فيه عملا يتوب بسببه الى الله عن هذه الفعال ثم قال الرجل لاتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا أيديهم في الهواء حتى كانهم قدموا الشراب ثم أومأ صاحب المنزل كانه ناول أخي قدحا وقال خذ هذا القدح فانه يعجبك فقال ياسيدي هذا من احسانك وأوما أخي بيده كانه يشربه فقال له هل أعجبك فقال له ياسيدي ما رأيت ألذ من هذا الشراب فقال له اشرب هنيئا وصحة ثم ان صاحب البيت أوما وشرب ثم ناول أخي قدحا

ثانيا تخيل انه شرب به واظهر انه سكران ثم ان أخي غافله ورفع يده حتى بان بياض أبطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثنى عليه بصفعة ثانية وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أخا المزين لما صفع صاحب الدار قال له الرجل ماهذا يا أسفل العالمين فقال ياسيدي أنا عبدك الذي أنعمت عليه وأدخلته منزلك وأطعمته الزاد واسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك ومقامك أعلى من أن تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام أخي ضحك ضحكا عاليا ثم قال ان لي زمانا طويلا أسخر بالناس وأهزأ بجميع أصحاب المزاح والمجون مارأيت منهم من له طاقة على أن أفعل به هذه السخرية ولا من له فطنة يدخل بها في جميع أموري غيرك والآن عفوت عنك فكن نديمي على الحقيقة ولا تفارقني ثم أمر باخراج عدة من أنواع الطعام المذكورة أولا فأكل هو وأخي حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه جوار كأنهن الاقمار فغنين بجميع الالحان واشتغلن بجميع الملاهي ثم شربا حتى غلب عليهما السكر وانس الرجل باخي حتى كانه أخوه وأحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة سنية فلما أصبح الصباح عادا لما كانا عليه من الاكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان الرجل مات وقبض السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج أخي من البلد هاربا فلما وصل الى نصف الطريق خرج عليه العرب فأسروه وصار الذي أسره يعذبه ويقول له اشتر روحك مني بالاموال والا أقتلك فجعل أخي يبكي ويقول أنا والله لا أملك شيئا ياشيخ العرب ولا اعرف طريق شيء من المال وانا اسيرك وصرت في يدك فافعل بي ماشئت فاخرج البدوي الجبار من حزامه سكينا عريضة لو نزلت على رقبة جمل لقطعتها من الوريد الى الوريد واخذها في يده اليمنى وتقدم الى اخي المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه في المطالبة وكان للبدوي زوجة حسنة وكان اذا خرج البدوي تتعرض لاخي وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى فاتفق ان راودت اخي يوما من الايام فقام ولاعبها واجلسها في حجره فبينما هما كذلك واذا بزوجها داخل عليهما فلما نظر الى اخي قال له ويلك ياخبيث اتريد الآن ان تفسد علي زوجتي واخرج سكينا وقطع بها ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار الى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فاطعموه واسقوه واعلموني بخبره فذهبت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها انا جئت عندك يا امير المؤمنين وخفت ان ارجع الى بيتي قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائي ستة اخوة وانا اقوم بهم فلما سمع امير المؤمنين قصتي وما اخبرته به عن اخوتي ضحك وقال صدقت ياصامت انت قليل الكلام ماعندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه المدينة واسكن غيرها ثم نفاني من بغداد فلم ازل سائرا في البلاد حتى طفت الاقاليم الى ان سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت الى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه حسن الفعال ولولا انا لقتل وقد اتهمني بشيء ماهو في وجميع مانقله عني من الفضول وكثرة الكلام وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل ياجماعة . ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين

وتحققنا فضوله وكثرة كلامه وان الشاب مظلوم معه أخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا حوله آمنين ثم أكلنا وشربنا وتمت الوليمة على أحسن حالة ولم نزل جالسين الى ان أذن العصر فخرجت وجئت منزلي وعشيت زوجتي فقالت أنت طول النهار في حظك وانا قاعدة في البيت حزينة فان لم تخرج بي وتفرجني بقية النهار كان ذلك سبب فراقي منك فاخذتها وخرجت بها وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

فعزمت عليه فاجابني وخرجت لاشتري سمكا مقليا فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فاخذت زوجتي لقمة وقطعة سمك وأدخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته في بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه في بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه في طريق السمسار وهذه قصة مالقيته البارحة أما هي أعجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة أمر بعض حجابه ان يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين وقال لهم لابد من حضوره لاسمع كلامه ويكون ذلك سببا في خلاصكم جميعا وندفن هذا الاحدب ونواريه في التراب فانه ميت من أمس ثم نعمل له ضريحا لانه كان سببا في اطلاعنا على هذه الاخبار العجيبة فما كان الا ساعة حتى جاءت الحجاب هم والخياط بعد ان مضوا الى الحبس وأخرجوا منه المزين وساروا به الى ان أوقفوه بين يدي هذا الملك فلما رآه تأمله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين اسود الوجه أبيض اللحية والحواجب مقرطم الاذنين طويل الانف في نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقال ياصامت أريد ان تحكي لي شيئا من حكاياتك فقال المزين ياملك الزمان ماشأن هذا النصراني وهذا بطريق اليهودي وهذا المسلم وهذا الاحدب بينكم ميت وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وماسؤالك عن هؤلاء فقال سؤالي عنهم حتى يعلم الملك اني غير فضولي ولا أشتغل الا بما يعنيني واني بريء مما اتهموني به من كثرة الكلام وان لي نصيبا من اسمي حيث لقبوني بالصامت كما قال الشاعر

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب الا ومعناه ان فتشت في لقبي

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب وماجرى له في وقت العشاء واشرحوا له ماحكى النصراني وماحكى اليهودي وماحكى المباشر وماحكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع فحرك المزين رأسه وقال والله ان هذا الشيء عجيب اكشفوا لي عن هذا الاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه وأخذ رأسه في حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكا عاليا حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الاسباب وموتة هذا الاحدب من عجب العجاب يجب أن تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضي ومن هو آت فتعجب الملك من كلامه وقال ياصامت احك لنا سبب كلامك هذا وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٤٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك قال ياصامت احكى لنا سبب كلامك هذا فقال ياملك وحق نعمتك ان الاحدب فيه الروح ثم ان المزين أخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الاحدب وغطاها حتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حديد ونزل بهما فى حلقه فالتقطتا القطعة السمك بعظمها فلما أخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الاحدب واقفا على قدميه وعطس عطسة واستفاق فى نفسه وملس بيديه على وجهه وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فتعجب الحاضرون من الذى رأوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشى عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله ان هذه القصة عجيبة مارأيت أغرب منها ثم ان السلطان قال يامسلمين ياجماعة العسكر هل رأيتم فى عمركم أحدا يموت ثم يحيا بعد ذلك ولولا رزقه الله بهذا المزين لكان اليوم من أهل الآخرة فانه كان سببا لحياته فقالوا والله ان هذا من العجب العجاب ثم ان ملك الصين أمر أن تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها فى خزانة الملك ثم خلع على اليهودي والنصرانى والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب وأصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وأنعم على المزين وخلع عليه خلعة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا فى ألذ عيش وأهناه الى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التى فيها ذكر أنيس الجليس قال الملك وما حكاية الوزيرين

﴿حكاية الوزيرين التى فيها ذكر انيس الجليس﴾

(قالت) بلغنى أيها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويرفق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد ﷺ وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزينى وكان له وزيران أحدهما يقال له المعين بن ساوى والثانى يقال له الفضل ابن خاقان وكان الفضل بن خاقان أكرم أهل زمانه حسن السيرة أجمعت القلوب على محبته واتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لانه محضر خير مزيل الشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضر سوء وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوي بقدرة القادر ثم ان الملك محمد ابن سليمان الزينى كان قاعدا يوما من الايام على كرسى مملكته وحوله أرباب دولته اذ نادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له انى اريد جارية لا يكون فى زمانها أحسن منها بحيث تكون كاملة فى الجمال فائقة فى الاعتدال حميدة الخصال فقال ارباب الدوله هذه لا توجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال احمل عشرة آلاف دينار الى دار الفضل ابن خاقان فامتثل الخازندار أمر السلطان ونزل الوزير بعد ما امره السلطان ان يعمد الى السوق فى كل يوم ويوصى السماسرة على ماذكره وانه لا تباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير أمره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يوما من الايام ان بعض السماسرة أقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان

فوجده راكبا متوجها الى قصر الملك فقبض على ركابه وانشده هذين البيتين

يامن أعاد رميم الملك منشورا   أنت الوزير الذى لازال منصورا
أحييت مامات بين الناس من كرم   لازال سعيك عند الله مشكورا

ثم قال ياسيدى ان الجارية التى صدر بطلبها المرسوم الشريف قد حضرت فقال له الوزير على بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد أسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها أحسن ما يكون من الثياب ورضابها أحلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان وكلامها أرق من النسيم اذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات



﴿السمسار وهو يقدم الجارية للوزير ويقول له قد بلغ ثمنها عشرة آلاف دينار﴾

لها بشر مثل الحرير ومنطق   رخيم الحواشى لاهراء ولانزر
وعينان قال الله كونا فكانتا   فعولان بالالباب ماتفعل الخمر

فياحبها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الايام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها اذا اسفرت يوم يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير أعجبته غاية الاعجاب فالتفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة آلاف دينار لم تجيء ثمن الفراريج التي أكلتها ولا ثمن الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير وأصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير علي بسيدها فاحضره السمسار في الوقت والساعة فاذا هو رجل أعجمي عاش زمنا طويلا حتى صيره الدهر عظما في جلد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٦٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العجمي صاحب الجارية لما حضر بين يدي الوزير الفضل بن خاقان قال له الوزير رضيت ان تأخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي حيث كانت للسلطان فالواجب علي أن أقدمها اليه هدية بلا ثمن فعند ذلك أمر الوزير باحضار الاموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمي ثم أقبل النخاس على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير أتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندي من الرأي أن لا تطلع بهذه الجارية الى السلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهواء واتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة أيام حتى تستريح فيزداد جمالها ثم ادخلها الحمام والبسها أحسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فاتى بها الى قصره وأخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كانه البدر اذا اشرق بوجه أقمر وخد أحمر وعليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر كما قال الشاعر في مثله هذه الابيات

ورد الخدود ودونه شوك القنا فمن المحدث نفسه ان يجتني
لا تمدد الايدي اليه فطالما شنوا الحروب لان مددنا الاعينا
ياقلبه القاسي ورقة خصره هلا نقلت الى هنا من هنا
لو كان رقة خصره في قلبه ماجار قط على المحب ولا جنى
ياعاذلي في حبه كن عاذري من لي بجسم قد تملكه الضنى
ما الذنب الا للفؤاد وناظري لولاهما ما كنت في هذا العنى

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده أوصاها وقال لها يابنتي اعلمي اني ما اشتريتك الا سرية للملك محمد بن سليمان الزيني وان لي ولدا ما خلا بصبية في الحارة الا فعل بها فاحفظي نفسك منه واحذري أن تريه وجهك او تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالامر المقدر ان الجارية دخلت

يوما من الأيام الحمام الذى فى المنزل وقد حماها بعض الجوارى ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيما يا انيس الجليس كيف حالك فى هذا الحمام فقالت ياسيدتى ما كنت محتاجة الا الى حضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت للجوارى قمن بنا ندخل الحمام فامتثلن امرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التى فيها أنيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكنا احدا من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما انيس الجليس قاعدة فى المقصوره واذا بابن الوزير الذى اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن أمه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية أنيس الجليس كلام على نور الدين بن الوزير وهى من داخل المقصورة فقالت فى نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبى الذى قال لى الوزير عنه انه ما خلا بصبية فى الحارة الا واقعها والله انى اشتهى ان انظره ثم انها نهضت على قدميها وهى بأثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى على نور الدين فاذا هو صبى كالبدر فى تمامه فأورثتها النظرة الف حسرة ولاحت من الصبى التفاتة اليها فنظرها نظرة أورثته الف حسرة ووقع كل منهما فى شرك هوى الآخر فتقدم الصبى الى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها انت التى اشتراك لى أبى فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبى اليها وكان فى حال السكر وأخذ رجليها وجعلهما فى وسطه وهى شبكت يدها فى عنقه واستقبلته بتقبيل وشهيق وغنج ومص لسانها ومصت لسانه فأزال بكارتها فلما رأى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية انيس الجليس صرختا وكان قد قضى الصبى حاجته وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفر من الخوف عقب الفعل الذى فعله فلما سمعت سيدة البنت صراخ الجاريتين مضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ما سبب هذا الصراخ الذى فى الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين اقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأياها قالتا ان سيدى على نور الدين جاء وضربنا فهربنا منه فدخل على أنيس الجليس وعانقها وما ندرى أى شىء عمل بعد ذلك فلما صحنا هرب فعند ذلك تقدمت سيدة البيت الى انيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت لها ياسيدتى انا قاعدة واذا بصبى جميل الصورة دخل على وقال لى انت التى اشتراك ابى لى فقلت نعم والله ياسيدتى اعتقدت ان كلامه صحيح فعند ذلك أتى الى وعانقنى فقالت لها هل فعل بك شىء غير ذلك قالت نعم واخذ منى ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هى والجوارى خوفا على نور الدين ان يذبحه أبوه فبينما هم كذلك واذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته احلف ان ما قلته لك تسمعه قال نعم فأخبرته بما فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك أنا اعطيك من مالى عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك انا مالى حاجة بثمنها ولكن خوفى ان تروح روحى ومالى فقالت له ياسيدى ما سبب ذلك قال لها اما تعلمين ان وراءنا هذا العدو الذى يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع هذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وادرك شهر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤٧) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته أما تعلمين ان وراءنا عدواً يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له ان وزيرك الذي تزعم انه يحبك اخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية مارأى أحد مثلها فلما اعجبته قال لابنه خذها أنت احق بها من السلطان فأخذها وازال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن اذنك أهجم عليه وآتيك بها فيأذن له في ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدي السلطان ثم يسألها فما تقدر ان تنكر فيقول له ياسيدي أنت تعلم اني ناصح لك ولكن مالي عندكم حظ فيمثل بي السلطان والناس كلهم يتفرجون علي وتروح روحي فقالت له زوجته لا تعلم احداً وهذا الامر حصل خفية وسلم أمرك الى الله في هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من أمر الوزير (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين فانه خاف عاقبة الامر فكان يقضي نهاره في البساتين ولا يأتي الا في آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه أحد ولم يزل كذلك شهراً وهو لم ير وجه ابيه فقالت امه لابيه ياسيدي هل تعدم الجارية وتعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء فامسكه واصطلح انت وياه واعطه الجارية لانها تحبه وهو يحبها واعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما اتى ولده أمسكه واراد نحره فادركته امه وقالت له أي شيء تريد ان تفعل معه فقال لها اريد ان اذبحه فقال الولد لابيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له ياولدي كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع ياوالدي مقال الشاعر

هبني جنيت فلم تزل أهل النهى ... يهبون للجاني سماحا شاملا
ماذا عسى يرجو عدوك وهو في ... درك الحضيض وأنت اعلى منزلا

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وأشفق عليه وقام الصبي وقبل يد والده فقال ياولدي لو علمت انك تنصف انيس الجليس كنت وهبتها لك فقال ياوالدي كيف لا أنصفها قال أوصيك ياولدي انك لا تتزوج عليها ولا تضاررها ولا تبعها قال له ياوالدي انا احلف لك ان لا اتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلف له ايماناً على ماذكر ودخل على الجارية فاقام معها سنة وأنسى الله تعالى الملك قصة الجارية . واما المعين بن ساوى فانه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر ان يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فاصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده علي نور الدين فلما حضر بين يديه قال له ياولدي ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولابد لكل نسمة من شرب كاس المنون وأنشد هذه الابيات

من فاته الموت لم يفته غدا ... والكل منا على حوض الردى وردا
سوى العظيم بمن قد كان محتقرا ... ولم يدع هبة بين الورى أحدا

لم يبق من ملك كلا ولا ملك ولا نبي يعيش دائما ابدا

ثم قال ياولدي مالى عندك وصية الا تقوى الله والنظر فى العواقب وان تستوصى بالجارية أنيس الجليس فقال له ياأبت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير ودعاء الخطباء لك على المنابر فقال ياولدى ارجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر الى السلطان وسمعت أهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصبيان فى مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوى وأنشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الابيات

قد قلت للرجل المولى غسله ٭ هلا اطعت وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما ٭ اذرت عيون المجد عند بكائه
وازل مجاميع الحنوط ونحها ٭ عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بحمله ٭ شرفا ألست تراهموا بازائه
لاتوه اعناق الرجال بحمله ٭ يكفى الذى حملوه من نعمائه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوما من الايام فى بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده واصحابه فقبل يد على نور الدين وقال ياسيدى من خلف مثلك مامات وهذا مصير سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ياسيدى طب نفسا ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين الى قاعة الجلوس ونقل اليها مايحتاج اليه واجتمع عليه أصحابه واخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من اولاد التجار ثم انه اكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطى ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له ياسيدى على نور الدين أما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولقد احسن من قال هذه الابيات

اصون دراهمى واذب عنها ٭ لعلمى انها سيفى وترسى
أأبذلها الى اعدى الأعادى ٭ وابدل فى الورى سعدى بنحسي
فيأكلها ويشربها هنيئا ٭ ولا يسخوالى احد بفلس
واحفظ درهمى عن كل شخص ٭ لئيم الطبع لايصفو لانسى
احب الى من قول لنذل ٭ انلنى درهما لغد بخمس
فيعرض وجهه ويصد عنى ٭ فتبقى مثل نفس الكلب نفسى
فيا ذل الرجال بغير مال ٭ ولو كانت فضائلهم كشمس

ثم قال ياسيدى النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ماقلته لا اسمع منه كلمة فما احسن قول الشاعر

اذاماملكت المال يوما ولم أجد ❊ فلا بسطت كفي ولا نهضت رجلي
فهاتوا بخيلا نال مجدا ببخله وهاتوا اروني باذلامات من بذله

ثم قال اعلم ايها الوكيل انى اريد اذا فضل عندك ما يكفيني لغدأني ان لا تحملني هم عشائي فانصرف الوكيل من عنده الى حال سبيله واقبل على نور الدين على ماهو فيه من مكارم الاخلاق وكل من يقول له من ندمائه ان هذا الشيء مليح يقول هو لك هبة أو يقول سيدي ان الدار الفلانية مليحة يقول هي لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه وأصحابه فى أول النهار مجلسا وفى آخره مجلسا ومكث على هذا الحال سنة كاملة فبينما هو جالس يوما واذا بالجارية تنشد هذين البيتين

احسنت ظنك بالايام اذا حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها اذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير ان يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له على نور الدين ما الخبر فقال له ياسيدى الذى كنت اخاف عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقى لك تحت يدى شيء يساوى درهما ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذى صرفته ودفاتر اصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام أطرق برأسه الى الارض وقال لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذي تبعه خفية وخرج ليسأل عليه وما قاله الوكيل رجع الى أصحابه وقال لهم انظروا أي شيء تعملون فان على نور الدين قد أفلس فلما رجع اليهم على نور الدين ظهر لهم الغم فى وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى على نور الدين وقال له ياسيدي انى اريد ان تأذن لى بالانصراف فقال على نور الدين لماذا الانصراف فى هذا اليوم فقال ان زوجتي تلد فى هذه الليلة ولا يمكنني ان أتخلف عنها واريد ان اذهب اليها وانظرها فاذن له ونهض آخر وقال له ياسيدى نور الدين اريد اليوم أن احضر عند اخى فانه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة و يذهب الى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقى على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس اما تنظرين ما حل بى وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت ياسيدى من منذ ليال هممت ان اقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتين

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها ❊ على الناس طرا قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى اقبلت ولا الشح يبقيها اذا هي ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم ابد لك خطابا فقال لها على نور الدين يا أنيس الجليس انت تعرفين انى ما صرفت مالى الا على أصحابى واظنهم لا يتركونى من غير مواساة فقالت انيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال على نور الدين فانا فى هذه الساعة أقوم وأروح اليهم واطرق أبوابهم لعلى أنال منهم شيئا فاجعله فى يدى رأس مال واتجر فيه واترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته ومازال سائرا حتى اقبل على الزقاق الذى فيه أصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين فى ذلك الزقاق فتقدم الى أول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من أنت فقال لها قولى لسيدك على نور الدين واقف

على الباب ويقول لك مملوكك يقبل اياديك وينتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعي وقولي له ماهو هنا فرجعت الجارية الى علي نور الدين وقالت له ياسيدى انه سيدي ماهو هنا فتوجه على نور الدين وقال في نفسه ان كان هذا ولد زنا وانكر نفسه فغيره ماهو ولد زنا ثم تقدم الى الباب الثاني وقال كما قال أولا فانكر الآخر نفسه فعند ذلك أنشد هذا البيت

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم   منوا عليك بما تريدوا من الندى

فلما فرغ من شعره قال والله لا بد ان امتحنهم كلهم عسى أن يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فلم يجد احدا منهم فتح الباب ولا أراه نفسه ولا أمر له برغيف فانشد هذه الابيات

المرء في زمن الاقبال كالشجرة   فالناس من حولها مادامت الثمرة

حتى اذا سقطت كل الذي حملت   تفرقوا وارادوا غيرها شجرة

تبا لابناء هذا الدهر كلهم   فلم أجد واحدا يصفو من العشرة

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدي اما قلت لك انهم لاينفعونك بنافعه وقال والله مافيهم من اراني وجهه فقالت له ياسيدى بع من اثاث البيت شيئا فشيئا وانفق فباع الى أن باع جميع مافي البيت ولم يبق عنده شيء فعند ذلك نظر الى انيس الجليس وقال لها مانفعل الآن فقالت له ياسيدي عندى من الرأى أن تقوم في هذه الساعة وتنزل بي إلى السوق فتبيعني وانت تعلم أن والدك كان اشتراني بعشرة آلاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا انيس الجليس مايهون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا انا كذلك لكن للضرورة احكام كما قال الشاعر

تلجىء الضرورات في الامور الى   سلوك مالا يليق بالادب

ماحامل نفسه على سبب   الا لامر يليق بالسبب

فعند ذلك أخذ انيس الجليس ودموعه تسيل على خديه ثم انشد هذين البيتين

قفوا زودوني نظرة قبل فراقكم   اعلل قلبا كاد بالبين يتلف

فان كان تزويدي بذلك كلفة   دعوني في وجدي ولا تتكلفوا

ثم مضى وسلمها الى الدلال وقال له اعرف مقدار ماتنادي عليها فقال له الدلال ياسيدى على نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له اماهي انيس الجليس الذى كان اشتراها والدك مني بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر اجناس الجوارى من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال الى ازدحام السوق نهض قائما وقال ياتجار يا ارباب الاموال ما كل مدور جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة ياتجار هذه الدرة اليتيمة التي لاتفي الاموال لها بقيمة بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد بأربعة آلاف دينار

وخمسمائة واذا بالوزير المعين بن ساوى فى السوق فنظر على نور الدين واقفا فى السوق فقال فى نفسه مابال هذا واقفا فانه مابقى عنده شىء يشترى به جوارى ثم نظر بعينه فسمع المنادى وهو واقف ينادى فى السوق والتجار حوله فقال الوزير فى نفسه ما أظنه الا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال فى نفسه ان صح ذلك فما أبرده على قلبى ثم دعا المنادى فاقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال انى أريد هذه الجارية التى تنادى عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر اليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة اعجبته فقال له الى كم وصل ثمنها فقال أربعة آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ماقدر واحد منهم أن يزيد درهما ولا دينارا بل تأخروا جميعا لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر الوزير المعين بن ساوى الى الدلال وقال ما سبب وقوفك رح والجارية على بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال الى على نور الدين وقال له ياسيدى راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نحن فتحنا باب سعرها بأربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فلما نظر الجارية أعجبته وقال لى شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه الا عرف ان الجارية لك فان كان يعطيك ثمنها فى هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن أنا أعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل اليهم ويقول لا تعطوه شيئا فكلما ذهبت اليهم لتطالبهم يقولون فى غد نعطيك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوما بعد يوم وانت عزيز النفس وبعد ان يضجروا من مطالبتك اياهم يقولون اعطنا ورقة الحوالة فاذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون العمل فقال له أنا أشير عليك بمشورة فان قبلتها منى كان لك الحظ الاوفر قال تجىء فى هذه الساعة عندى وانا واقف فى وسط السوق وتأخذ الجارية من يدى وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يمينى التى حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك انه لا بد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك مانزلت بها الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الرأى الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء الى وسط السوق وامسك يد الجارية واشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يامولاى هذا مالكها قد أقبل ثم جاء على نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال ويلك قد نزلت بك الى السوق لاجل ابرار يمينى روحى الى البيت وبعد ذلك لا تخالفينى فلست محتاجا الى ثمنك حتى أبيعك وأنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوى الى على نور الدين قال له ويلك وهل بقى عندك شىء يباع او يشترى ثم ان المعين بن ساوى اراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى على نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها انا بين أيديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا انتم لقتلته ثم رمز واكلهم لبعضهم بعين الاشارة وقالوا ما أحد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين الى الوزير بن ساوى وكان على نور الدين شجاعا فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه على الارض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير فى وسطها وجعل على نور الدين يلكمه

فجاءت لكمة على أسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل بسيدهم هذه الأفعال وضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم وأرادوا أن يهجموا على علي نور الدين ويقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا أقبح الموتات ومن الرأي أن لا تدخلوا بينهما فلما فرغ علي نور الدين من ضرب الوزير أخذ جاريته ومضى الى داره وأما الوزير ابن ساوي فانه قام من ساعته وكان قماش ثيابه أبيض فصار ملونا بثلاثة ألوان الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأى نفسه على هذه الحالة أخذ برشا وجعله في رقبته وأخذ في يده حزمتين من حلفة وسار الى ان وقف تحت القصر الذي فيه السلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فأحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوي فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وأنشد هذين البيتين

أيظلمني الزمان وأنت فيه ... وتأكلني الكلاب وأنت ليث
ويروي من حياضك كل صاد ... وأعطش في حماك وأنت غيث

ثم قال ياسيدي أهكذا كل من يحبك ويخدمك تجري له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم اني خرجت اليوم الى سوق الجواري لعلي أشتري جارية طباخة فرأيت في السوق جارية ما رأيت طول عمري مثلها فقال الدلال انها لعلي بن خاقان وكان مولانا السلطان أعطى اباه سابقا عشرة آلاف دينار ليشتري له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فاعجبته فأعطاها لولده فلما مات أبوه سلك طريق الاسراف حتى باع جميع ما عنده من الاملاك والبساتين والاواني فلما أفلس ولم يبق عنده شيء نزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها ثم سلمها الى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلغ ثمنها اربعة آلاف دينار فقلت اشتري هذه لمولانا السلطان فان أصل ثمنها كان من عنده فقلت ياولدي خذ ثمنها اربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر الي وقال ياشيخ النحس أبيعها لليهود والنصارى ولا ابيعها لك فقلت أنا ما اشتريتها لنفسي وانما اشتريتها لمولانا السلطان الذي هو ولي نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني ورماني عن الجواد وانا شيخ كبير وضربني ولم يزل يضربني حتى تركني كما تراني وانا ما أوقعني في هذا كله الا اني جئت لاشتري هذه الجارية لسعادتك ثم ان الوزير رمى نفسه على الارض وجعل يبكي ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى من بحضرته من ارباب الدولة واذا بأربعين من ضاربي سيف وقفوا بين يديه فقال لهم انزلوا في هذه الساعة الي دار ابن خاقان وانهبوها واهدموها وائتوني به وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما وائتوا بهما بين يدي فقالوا السمع والطاعة ثم انهم نزلوا وقصدوا المسير الى علي نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان أولا من مماليك الفضل بن خاقان والد علي نور الدين فلما سمع امر السلطان ورأى الاعداء تهيئوا الى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار الي ان اتى بيت علي نور الدين فطرق

الباب فخرج له على نور الدين فلما رآه عرفه واراد ان يسلم عليه فقال ياسيدى ماهذا وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما   وخل الدار تنعي من بناها
فانك واجد أرضا بارض   ونفسك لم تجد نفسا سواها

فقال على نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال انهض وفز بنفسك أنت والجارية فان المعين ابن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما في يده قتلكما وقد أرسل اليكما السلطان أربعين ضاربا بالسيف والرأي عندى أن تهربا قبل أن يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى على نور الدين بدنانير فعدها فوجدها اربعين دينارا وقال له ياسيدى خذ هذه ولو كان معي أكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل على نور الدين على الجارية وأعلمها بذلك فتخبلت ثم خرج الاثنان فى الوقت الى ظاهر المدينة وأسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والريس واقف فى وسط المركب يقول من بقى له حاجة من وداع أو زوادة أو نسى حاجة فليأت بها فاننا متوجهون فقال كلهم لم يبق لنا حاجة يا ريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الاوتاد فقال نور الدين الى أين يا ريس فقال الى دار السلام بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٤٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الريس لما قال لعلى نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد نزل على نور الدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء (وأما) ما جرى للاربعين الذين ارسلهم السلطان فانهم جاؤا الى بيت على نور الدين فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا جميع الاماكن فلم يقفوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال اطلبوهما فى أى مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته بعد ان خلع عليه السلطان خلعة وقال لا يأخذ بثارك الا أنا فدعا له بطول البقاء واطمان قلبه ثم ان السلطان أمر أن ينادى فى المدينة يا معاشر الناس كافة قد أمر السلطان ان من عثر بعلى نور الدين بن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة وأعطاه الف دينار ومن أخفاه أو عرف مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجرى عليه من النكال فصار جميع الناس فى التفتيش على على نور الدين فلم يعرفوا له أثرا هذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من أمر على نور الدين وجاريته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهى مدينة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وازهرت أشجارها وجرت أنهارها فعند ذلك طلع على نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجاءا الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمصاطب مستطيلة وقواديس معلقة ملآنة ماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق وفى صدر الزقاق باب بستان الا انه مغلق فقال على نور الدين للجارية والله ان هذا محل مليح فقالت ياسيدى اقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على

المصاطب ثم غسلا وجوههما وايديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان البستان يسمى بستان النزهة وهناك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هرون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره يأتي الى البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكاً معلقا فيه ثمانون قنديلا وفي وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة أمر الجواري ان تفتح الشبابيك وامر اسحق النديم والجواري ان يغنوا اليه لينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم واتفق انه خرج ليقضي حاجة من أشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء واهل الريبة فغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عنده الخليفة في بعض الايام فاعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان افعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على البستان مغطيين بازار واحد فقال أما عرفا ان الخليفة أعطاني اذنا ان كل من لقيته قتلته ولكن أنا أضرب هذين ضربا خفيفا حتى لا يتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج اليهما ورفع يده فبان بياض أبطه وأراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فانا أكشف عن وجوههما وأنظر اليهما فرفع الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي ان أضربهما ثم غطي وجوههما وتقدم الى رجل على نور الدين وجعل يكبسها ففتح عينه فوجده شيخا كبيرا فاستحي على نور الدين ولم رجليه واستوى قاعدا وأخذ يد الشيخ فقبلها فقال له يا ولدي من أين أنتم فقال له يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى باكرام الغريب ثم قال له يا ولدي أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدي هذا البستان لمن قال يا ولدي هذا ورثته من أهلي وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا ان يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم واعنابها مختلفة الالوان الاحمر كأنه ياقوت والاسود كأنه آبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوان وغير صنوان والاطيار تغرد بالحان على الاغصان والهزار يترنم والقمري ملا بصوته المكان والشحرور كأنه في تغريده انسان والاشجار قد اينعت اثمارها من كل مأكول ومن فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان والبرقوق كأنه لون الحسان والقراسية تذهل عقل كل انسان والتين ما بين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الالوان والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كأنه الكبريت دنا من النيران والآس والمنثور والخزامى مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كأنه أكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان وأقبل الربيع فاشرق ببهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير والزمان في اعتدال

والنسيم فى اعتلال ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المغلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة وما فيها من اللطائف الغريبة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤٩) قالت بلغني ان الشيخ ابراهيم دخل القاعة ومعه على نور الدين والجارية وجلسوا فى بعض الشبابيك فتذكر على نور الدين المقاساة التي مضت له فقال والله ان هذا المكان فى غاية الحسن لقد فكرني بما مضي واطفأ من كربي جمر الغضى ثم ان الشيخ ابراهيم قدم لهما الاكل فاكلا كفايتهما ثم غسلا ايديهما وجلس نور الدين فى شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فاتت اليه فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت على نور الدين الى الشيخ ابراهيم وقال له ياشيخ ابراهيم اما عندك شيء من الشراب لان الناس يشربون بعد ان يأكلون فجاءه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد فقال له على نور الدين ماهذا الشراب الذى أريده فقال له اتريد الخمر فقال له نور الدين نعم فقال اعوذ بالله منها ان لى ثلاثة عشر عاما مافعلت ذلك لأن النبي ﷺ لعن شاربه وعاصره وحامله فقال له نور الدين اسمع مني كلمتين قال قل ماشئت قال إذا لم تكن عاصرا الخمر ولا شاربه ولا حامله هل يصيبك من لعنهم شيء قال لا قال خذ هذين الدينارين وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف بعيدا وأى انسان وجدته يشترى فصح عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشتر بهذين الدينارين خمرا واحمله على الحمار وحينئذ لا تكون شاربا ولا حاملا ولا عاصرا ولا يصيبك شيء مما أصاب الجميع فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه والله مارأيت أظرف منك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الا الموافقة فائت لنا بجميع مانحتاج اليه فقال له الشيخ ابراهيم ياولدي هذا كرارى قدامك وهو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ماشئت فان فيه فوق ماتريد فدخل على نور الدين الحاصل فرأى فيه أوانى من الذهب والفضة والبلور مرصعة باصناف الجواهر فاخرج منها ماأراد وسكب الخمر فى البواطى والقنانى وصار هو وجاريته يتعاطيان واندهشا من حسن مارأيا ثم ان الشيخ ابراهيم جاء لهما بالمشموم وقعد بعيدا عنهما فلم يزالا يشربان وهما فى غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهما واسترخت شعورهما فقال الشيخ ابراهيم مالى أقعد بعيدا عنهما كيف اقعد عندهما وأى وقت اجتمع فى قصرنا مثل هذين الاثنين الذين كأنهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد فى طرف الايوان فقال له على نور الدين ياسيدى بحياتى أن تتقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم عندهما فملا نور الدين قدحا ونظر الي الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تعرف لذة طعمه فقال الشيخ أعوذ بالله ان لى ثلاث عشرة سنة مافعلت شيئا من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى نفسه في الارض واظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه أنيس الجليس وقالت له ياشيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها ياسيدتى ماله قالت دائما يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وابقى أنا وحدى لا أجد لى نديما ينادمني على قدحي فاذا شربت فمن يعاطيني واذا غنيت فمن يسمعني فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه اليها

من كلام الا ينبغي من النديم ان يكون هكذا ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت بحياتي ان تأخذه وتشربه ولا ترده فاقبله واجبر خاطرى فمد الشيخ ابراهيم يده واخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا ومدت اليه يدها به وقالت له ياسيدى بقى لك هذا فقال لها والله لا اقدر ان اشربه فقد كفاني الذي شربته فقالت له والله لا بد منه فأخذ القدح وشربه ثم اعطته الثالث فأخذه واراد ان يشربه واذا بنور الدين هم قاعدا . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٥٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان على نور الدين هم قاعدا فقال له ياشيخ ابراهيم أى شيء هذا اما حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت ان لى ثلاثة عشر عاما ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم وقد استحى مالي ذنب فانها هي شددت على فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سرا ياسيدى اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى افرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقى سيدها وسيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم وقال لهما أى شيء هذا وماهذه المنادمة لا تسقياني وقد صرت نديمكما فضحكا من كلامه الى ان اغمى عليهما ثم شربا وسقياه ومازالوا فى المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية ياشيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم واوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومى ولا توقدى الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من أول الشمع الى ان أوقدت ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين ياشيخ ابراهيم وانا أى شيء حظى عندك اما تخليني اوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم وأوقد قنديلا واحدا ولا تتناقل انت الآخر فقام وابتدأ من اولها الى ان أوقد ثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر انتما اخرع مني ثم انه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعا وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون الاشعار وابتهج بهم المكان فقدر الله السميع العليم الذي جعل لكل شيء سببا أن الخليفة كان في تلك الساعة جالسا فى الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة فى ضوء القمر فنظر الي تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع فى البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة الى القصر الذي فى البستان فرآه يلهج من تلك الشموع والقناديل فقال علي بجعفر البرمكى فما كان الا لحظة وقد حضر جعفر بين يدى امير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء أتخدمنى ولم تعلمني بما يحصل فى مدينة بغداد فقال له جعفر وماسبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد اخذت مني ما كان قصر الفرجة مبتهجا بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذى يكون له قدرة على هذه الفعال الا اذا كانت الخلافة أخذت مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن أخبرك بأن قصر الفرجة أوقدت فيه القناديل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندى وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار نورها غلب على نور القمر فأراد جعفر ان يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولى ربما هذا الامر باذنه لما رأى فيه من المصلحة

فقال يا أمير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم في الجمعه التى مضت قال لى ياسيدى جعفر اني أريد ان افرح اولادى فى حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت له ومامرادك بهذا الكلام فقال لى مرادي ان أخذ لى اذنا من الخليفة باني اطاهر اولادى فى القصر فقلت له افعل ماشئت من فرح أولادك وان شاء الله اجتمع بالخليفة واعلمه بذلك فراح من عندي على هذا الحال ونسيت ان اعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندى ذنب واحد فصار لك عندى ذنبان لانك اخطأت من وجهين الوجه الاول انك مااعلمتني بذلك والوجه الثانى انك بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ماجاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا بطلب شيء من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيئا ولم تعلمني حتى اعطيه فقال جعفر يا أمير المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق أبائى واجدادى ماأتم بقية ليلتى الا عنده فانه رجل صالح يتردد اليه المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسى المساكين واظن ان الجميع عنده فى هذه الليلة فلا بد من الذهاب اليه لعل واحدا منهم يدعو لنا دعوة يحصل لنا بها خيرى الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع فى هذا الامر بحضوري ويفرح بذلك هو واحبابه فقال جعفر يا أمير المؤمنين ان معظم الليل قد مضي وهم فى هذه الساعة على وجه الانفضاض فقال الخليفه لا بد من الرواح عنده فسكت جعفر وتحير فى نفسه وصار لا يدرى فنهض الخليفة على قدميه وقام جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم ومشى الثلاثة متنكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشقون فى الازقه وهم فى زى التجار الى ان وصلوا الى البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأي البستان مفتوحا فتعجب وقال انظر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وماهى عادته ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان ووقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر اريد أن اتسلل عليهم قبل ان اطلع عندهم حتى انظر ماعليه المشايخ من النفحات وواردات الكرامات فان لهم شؤونا فى الخلوات والجلوات لاننا الآن لم نسمع لهم صوتا ولم نرلهم اثرا ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر اريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك وانظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع حتى وصل الى الفرع الذى يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصر فرأي صبية وصبيا كانهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ ابراهيم قاعدا وفي يده قدح وهو يقول ياسيدة الملاح الشرب بلا طرب غير فلاح الم تسمعى قول الشاعر

ادرها بالكبير وبالصغير ... وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فانى ... رأيت الخيل تشرب بالصفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر انا ماراأيت شيئا من كرامات الصالحين مثل مارأيت في هذه الليلة فاطلع انت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار متحيرا فى أمره وصعد الى اعلى الشجرة واذا به نظر فرأى على نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية وكان الشيخ ابراهيم في يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدى أمير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر

الحمد لله الذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيسات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر ان يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال ياهل ترى من أوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن ادخلهم قصري ولكن مثل هذا الصبي وهذه الصبية ما رأت عيني حسنا وجمالا وقد واعتدالا مثلهما فقال جعفر وقد استرجى رضا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا الى هذا الفرع الذي هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظراهما فسمع الشيخ ابراهيم يقول ياسيدتي قد تركت الوقار بشرب العقار ولا يلذ ذلك الا بنغمات الأوتار فقالت له انيس الجليس ياشيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شيء من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ماذا يريد ان يعمل فقال جعفر لا أدري فغاب الشيخ ابراهيم وجاء ومعه عودا فتأمله الخليفة فاذا هو عود اسحق النديم فقال الخليفة والله ان غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وان غنت واحسنت الغناء فاني اعفو عنهم واصلبك أنت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لأي شيء فقال لأجل أن تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضا فضحك الخليفة واذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضربا يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الابيات

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وتاب عن طيب دنيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتليت جوانحنا ... شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا
ما الخوف أن تقتلونا في منازلكم ... وانما خوفنا أن تأثموا فينا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمري ما سمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال اريد أن أطلع وأجلس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي فقال يا امير المؤمنين اذا اطلعت عليهم ربما تكدروا وأما الشيخ ابراهيم فانه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لا بد ان تعرفني حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الأمر من غير ان يشعروا باطلاعنا عليهم ثم ان الخليفة هو وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران في هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمى شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقا صاح على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الصوت الذي سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنع الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريما ورأى باب البستان مفتوحا فقال في نفسه هذا وقت غفلة لعلي استغنم في هذا الوقت صيدا ثم أخذ شبكته وطرحها في البحر وصار ينشد هذه الابيات

يا راكب البحر في الاهوال والهلكة ... اقصر عناك فليس الرزق بالحركة

اماترى البحر والصياد منتصب في ليلة ونجوم الليل محتبكه
قدمد أطنابه والموج يلطمه وعينه لم تزل في كلل الشبكة
حتى اذابات مسرورا بها فرحا والحوت قدحط في فخ الردى حنكه
وصاحب القصر امسى فيه ليلته منعم البال في خير من البركه
وصار مستيقظا من بعد قدرته لكن في ملكه ظبيا وقد ملكه
سبحان ربي يعطي ذا ويمنع ذا بعض يصيد وبعض يأكل السمكة

فلما فرغ من شعره واذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه سماه باسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا أمير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطاد على بختى فتقدم الصياد وقد فرح فرحا شديدا وطرح الشبكة وصبر الى أن أخذت حدها وثبتت في القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من انواع السمك مالا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذي له أذناب ومن البراغيث ما يكاد ان يسير بها على وجه الارض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وانما كان اذا رأى خرقة لفها عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندراني والبعلبكي وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذ هذه والبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت الى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وانشد هذين البيتين

أوليتني مالا لاأقوم بشكره وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنك ماحييت وان مت شكرتك مني عظمي في قبرها

فلما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرمي ثم قال يا صياد ويلك ما هذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال يا سيدي انه في هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة فانك لا تحس به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف أخلي هذه الجبة على جسدي فقال الخليفة اني أشتهي ان أقول لك كلاما ولكن أستحي من هيبة الخليفة فقال له قل ما عندك فقال له قد خطر ببالي يا أمير المؤمنين انك ان أردت أن تتعلم الصيد لاجل ان تكون في يدك صنعة تنفعك فان أردت ذلك يا أمير المؤمنين فان هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الحشيش وأتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ما جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة هنا في هذه الساعة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وانت وزيري وجئت انا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى أرجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر ودقه فقام

الشيخ ابراهيم وقال من بالباب فقال له انا ياشيخ ابراهيم قال له من أنت قال له أنا كريم الصياد وسمعت ان عندك أضيافا فجئت اليك بشيء من السمك فانه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سمعا ذكر السمك فرحا به فرحا شديدا وقالا ياسيدي افتح له ودعه يدخل لنا عندك بالسمك الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم أهلا باللص السارق المقامر تعال أرنا السمك الذي معك فاراهم اياه فلما نظروه فاذا هو حي يتحرك فقالت الجارية والله ياسيدي ان هذا السمك مليح ياليته مقلي فقال الشيخ ابراهيم والله صدقت ثم قال للخليفة ياصياد ليتك جئت بهذا السمك مقليا قم فاقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس اقليه وأجيء به فقال له عجل بقليه والاتيان به فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال ياجعفر طلبوا السمك مقليا فقال ياأمير المؤمنين هاته وانا أقليه فقال الخليفة وتربة آبائي وأجدادي مايقليه الا انا بيدي ثم ان الخليفة ذهب الى خص الخولي وفتش فيه فوجد فيه كل شيء يحتاج اليه من آلة القلي حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق الموز وأخذ من البستان ليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين أيديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم واكلوا فلما فرغوا اغسلوا أيديهم فقال نور الدين والله ياصياد انك صنعت معنا معروفا هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه واخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التي أعطاها اياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال ياصياد اعذرني فوالله لو عرفتك قبل الذي حصل لي سابقا كنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فأخذها وقبلها ووضعها في جيبه وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهي تغني فقال الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مرادي من تصدقاتك العميمة ان هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى أسمعها فقال علي نور الدين ياأنيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتي أن تغني لنا شيئا من شأن خاطر هذا الصياد لانه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سيدها أخذت العود وغمزته بعد ان حركت أذنه وأنشدت هذين البيتين

وغادة لعبت بالعود أنملها ... فعادت النفس عند الجس تختلس

قد أسمعت بالاغاني من به صمم ... وقال أحسنت مغنى من به خرس

ثم انها ضربت ضربا غريبا الى ان أذهلت العقول فقال نور الدين ياصياد هل أعجبتك الجارية وتحريكها الاوتار فقال الخليفة أي والله فقال نور الدين هي هبة مني اليك هبة كريم لا يرجع في عطائه ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو في صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت ياسيدي هل انت رائح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى أودعك وأنشدت هذين البيتين

لئن غيبتموا عني فان محلكم ... لفي مهجتي بين الجوانح والحشا

وارجو من الرحمن جمعا لشملنا ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول

ودعتني يوم الفراق وقالت وهي تبكي من لوعة وفراق
ما الذي أنت صانع بعد بعدي قلت قولي هذا لمن هو باقي

ثم ان الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت الى الصبي وقال له ياسيدي نور الدين اشرح لي أمرك فاخبره نور الدين بحاله من أوله الى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد في هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد ابن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥١) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لعلي نور الدين أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيء فقال له علي نور الدين وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شيء لا يكون ابدا فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم اني انا قرأت أنا واياه في مكتب واحد عند فقيه وكنت انا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطانا وجعلني الله صيادا ولكن لم أرسل اليه في حاجة الا قضاها ولو أدخلت اليه في كل يوم من شأن الف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى أنظر فاخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة أما بعد فان هذا الكتاب من هرون الرشيد بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبا عني في بعض مملكتي اعرفك ان الموصل اليك هذا الكتاب نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فاني قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقا فلا تخالف أمري والسلام ثم أعطى علي نور الدين ابن خاقان الكتاب فاخذه نور الدين وقبله وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافرا وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الارض قدامه ثم أخرج الورقة وأعطاه اياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفا على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الأربعة والأمراء وأراد أن يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير المعين بن ساوى قد حضر فاعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن آخرها وأخذها في فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذي حملك على هذه الفعال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما أراد فلأي شيء تعزل نفسك من السلطنة مع ان الخليفة لم يرسل اليك رسولا بخط شريف ولو كان هذا الأمر صحيحا لأرسل معه حاجبا أو وزيرا لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معي هذا الشاب وأنا آخذه واتسلمه منك وارسله صحبة حاجب إلى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا يأتينا بخط شريف وتقليد وان كان غير صحيح يرسلوه الينا مع الحاجب وانا آخذ حقي من غريمي فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله

على الغلمان فطرحوه وضربوه الى أن اغمى عليه ثم امر أن يضعوا في رجليه قيدا وصاح على السجان فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له ياقطيط أريد أن تأخذ هذا وترميه فى مطمورة من المطامير التى عندك فى السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال له السجان سمعا وطاعة ثم ان السجان ادخل نور الدين فى السجن وقفل عليه الباب ثم أمر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بسجادة أو مخدة واقعد نور الدين عليها وفك قيده واحسن اليه وكان كل يوم يرسل الى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر انه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما فلما كان اليوم الحادى والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان اعجبته فشاور الوزراء فى أمرها فقال لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين ابن ساوي لقد كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله لقد ذكرتنى به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة فقام وقال له ان قصدى ان انادى فى المدينة من أراد أن يتفرج على ضرب رقبة نور الدين على بن خاقان فليأت الى القصر فيأتى جميع الناس ليتفرجوا عليه لاشفى فؤادى وا كمد حسادى فقال له السلطان افعل ماتريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور وأقبل على الوالى وأمره ان ينادى بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادى حزنوا و بكوا جميعا حتى الصغار فى المكاتب والسوقة في دكاكينهم وتسابق الناس يأخذون لهم أماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتى معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن ثم انهم نادوا على نور الدين هذا أقل جزاء من يزور مكتوبا على الخليفة الى السلطان ولازالوا يطوفون به فى البصرة الى أن أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه فى منقع الدم وتقدم اليه السياف وقال له انا عبد مأمور فان كان لك حاجة فاخبرنى بها حتى اقضيها لك فانه ما بقى من عمرك الا قدر ما يخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا وشمالا وأنشد هذه الابيات

فهل فيكم خل شفيق يعيننى ... سألتكم بالله رد جوابى
مضى الوقت من عمرى وحانت منيتى ... فهل راحم لى كى ينال ثوابى
وينظر فى حالى ويكشف كربتى ... بشربة ماء كى يهون عذابى

فتباكت الناس عليه وقام السياف وأخذ شربة ماء يناوله اياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وأمره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عينى على نور الدين فصاح الناس على الوزير وأقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك واذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والفلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد فى القصر قال انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان اصبر انت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معه وكان السبب فى مجيئهم ان الخليفة مكث ثلاثين يوما لم يتذكر قصة على بن خاقان ولم يذكرها له احد الى ان جاء ليلة من الليالى الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكاءها وهى تنشد بصوت رقيق قول الشاعر

خيالك في التباعد والتدانى   وذكرك لا يفارقه لسانى

وتزايد بكاؤها واذا قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى انيس الجليس وهى تبكى فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم انشدت هذين البيتين

ايا من زكا اصلا وطاب ولادة   واثمر غصنا يانعا وزكا جنسا

اذكرك الوعد الذى سمت به   محاسنك الحسنا وحاشاك ان تنسى

فقال الخليفة من انت قالت انا هدية على بن خاقان اليك وأريد انجاز الوعد الذى وعدتنى به من انك ترسلنى اليه مع التشريف والآن لى هنا ثلاثون يوما لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكى وقال من منذ ثلاثين يوما لم اسمع بخبر على بن خاقان وما اظن الا أن السلطان قتله ولكن وحياة رأسى وتربة آبائى وأجدادى ان كان جرى له امر مكروه لاهلكن من كان سببا فيه ولو كان أعز الناس عندى وأريد أن تسافر انت فى هذه الساعة الى البصرة وتأتى باخبار الملك محمد بن سليمان الزينى مع على بن خاقان فامتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ماهذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر على نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم اسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلى نور الدين امر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب فى ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوى وامر باطلاق على نور الدين بن خاقان وأجلسه سلطانا فى مكان السلطان محمد بن سليمان الزينى وقعد ثلاثة أيام فى البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت على بن خاقان الى جعفر وقال انى اشتقت الى رؤية أمير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فاننا نصلى الصبح ونتوجه الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على فعله واما على نور الدين بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك اقبل الخليفة على على بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم لى المعين بن ساوى فنظر اليه وقال انا عملت بمقتضى طبيعتى فاعمل انت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين انه خدعنى وانشد قول الشاعر

فخدعته بخديعة لما اتى   والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال الخليفة اتركه أنت ثم قال لمسرور يامسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلى بن خاقان تمن على فقال له ياسيدى انا مالى حاجة بملك البصرة وما أريد الا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهما واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه وما زال مقيما عنده الى أن ادركه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر واولاده فقال الملك وكيف ذلك

حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة

قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجار له مال وله ولد كانه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمه غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالا جزيلا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٣٥) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده ان يسافر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك في زمن هرون الرشيد وودع امه وأقاربه وأهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان مسافرا صحبة جماعة من التجار فاستأجر له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وأرخى عليها الستور وانزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد واكابرها ثم أخذ بقجة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها أثمانها ونزل بها الى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه وأكرموه وتلقوه بالترحيب وانزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح في كل دينار دينارين ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيئا فشيئا ولم يزل كذلك سنة وفي أول السنة الثانية جاء الى ذلك السوق فرأى بابه مقفولا فسأل عن سبب ذلك فقيل له انه توفي واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك ان تكسب أجرا وتمشي معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم الى ان وصلوا بالجنازة الى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا الى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة واحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرؤن على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم بن ايوب وهو غالب عليه الحياء فقال في نفسه انا لم أقدر على ان أفارقهم حتى انصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلاوى فاكلوا حتى اكتفوا وغسلوا ايديهم ثم جلسوا امكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص وقال في نفسه أنا رجل غريب ومتهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلي سرق اللصوص مافيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة واستأذنهم على انه يقضي حاجة فسار يمشي ويتتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقا ولم ير أحدا غاديا ولا رائحا ولم يسمع صوتا سوى نبيح الكلاب وعوى الذئاب فقال لا حول ولا قوة الا بالله كنت خائفا على مالي وجئت من أجله فوجدت الباب مغلقا فصرت الآن خائفا على روحي ثم رجع ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة بأربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها وأراد ان ينام فلم يجئه نوم وأخذته رجفة

ووحشة وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نورا يلوح على بعد فى ناحية باب المدينة فمشى قليلا فرأى النور مقبلا فى الطريق التى توصل الى التربة التى هو فيها فخاف غانم على نفسه واسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى فى قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيئا فشيئا حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقا وواحد فى يده فاس وفانوس فلما قربوا من التربة قال احد العبدين الحاملين الصندوق ويلك ياصواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال انا كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال ها هو مغلق مترس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتا ما أعقل عقلكما اما تعرفان ان أصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسى عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب خوفا من السودان الذين هم مثلنا أن يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت ومافينا أقل عقلا منك فقال لهم انكم لم تصدقونى حتى ندخل التربة ونجد فيها أحدا وأظن انه اذا كان فيها أحد ورأى النور هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال فى نفسه ما أمكر هذا العبد فقبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما الذى يخلصنى من هذه الورطة ثم ان الاثنين الحاملين للصندوق قالا لمن معه الفاس تعلق على الحائط وافتح الباب لنا ياصواب لاننا تعبنا من الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم ونقليه لك قليا جيدا بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال صواب أنا خائف من شىء تذكرته من قلة عقلى وهو اننا نرمى الصندوق وراء الباب لانه ذخيرتنا فقالا له ان رميناه ينكسر فقال أنا خائف ان يكون فى داخل التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا أمسى عليهم الوقت يدخلون فى هذه الاماكن ويقسمون ما يكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق ياقليل العقل هل يقدرون ان يدخلوا هنا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذى هو بخيت واقف لهما بالنور والمقطف الذى فيه بعض من الجبس ثم انهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوانى نحن تعبنا من المشى والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف الليل ولم يبق فينا قوة لفتح الباب ودفن الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضى حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكى لنا سبب تطويشه وجميع ماوقع له من المبتدأ الى المنتهى لأجل فوات هذه الليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٣٥) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكى جميع ماوقع له قال الاول وهو الذى كان حامل النور أنا أحكى لكم حكايتى فقالوا له تكلم قال لهم اعلموا يا اخوانى أنى لما كنت صغيرا جاء بى الجلاب من بلدى وعمرى خمس سنين فباعنى لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلاث سنوات فتربيت معها وكانوا يضحكون على وأنا ألاعب البنت وأرقص لها وأغنى لها الى ان صار عمرى اثنتى عشرة سنة وهى بنت عشر سنين ولا يمنعوننى عنها الى ان

دخلت عليها يوما من الايام وهي جالسة في محل خلوة وكانها خرجت من الحمام الذى في البيت لانها
كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر في ليلة أربعة عشر فلاعبتني ولاعبتها فانفز أحليلي حتى صار
مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الارض فوقعت على ظهري وركبت على صدري وصارت تتمرغ على
فانكشف أحليلي فلما رأته وهو نافر أخذته بيدها وصارت تحاكه به على أشفار فرجها من فوق لباسها
فهاجت الحرارة عندي وحضنتها فشبكت يدها في عنقي وفرطت على بجهدها فما أشعر الا وأحليلي
فتق لباسها ودخل في فرجها وأزال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند أصحابي فدخلت عليها أمها
فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت أمرها وأخفت حالها عن ابيها وكتمته وصبرت عليها مدة
شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى أخذوني من المكان الذى كنت فيه ولم يذكروا
شيئا من هذا الامر لابيها لانهم كانوا يحبونني كثيرا ثم ان أمها خطبت لها شابا مزينا كان يزين أباها
وأمهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وأبوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون في تحصيل جهازها ثم
انهم امسكوني على غفلة وخصوني ولما زفوها العريس جعلوني طواشيا لها أمشي قدامها اينما راحت
سواء كان رواحها الى الحمام أو الى بيت أبيها وقد ستروا أمرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها حمامة
ومكثت عندها مدة طويلة وانا أتملى بحسنها وجمالها على قدر ما أمكنني من تقبيل وعناق الى ان ماتت
هي وزوجها وأمها وأبوها ثم اخذت بيت المال وصرت في هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب
قطع أحليلي والسلام فقال العبد الثاني اعلموا يا اخواني اني كنت في ابتداء أمري ابن ثمان سنين ولكن
كنت أكذب على الجلابة كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وانزلني في يد
الدلال وأمره ان ينادي من يشتري هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب في كل سنة كذبة
واحدة فتقدم رجل تاجر الى الدلال وقال له كم أعطوا في هذا العبد من الثمن على عيبه قال اعطوا استمائة
درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم وأوصلني الدلال الى منزل ذلك التاجر
وأخذ دلالته فكساني التاجر ما يناسبني ومكثت عنده باقي سنتي الى ان هلت السنة الجديدة بالخير
وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم الى ان
جاءت العزومة على سيدي في بستان خارج البلد فراح هو والتجار وأخذ لهم ما يحتاجون اليه من
أكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدي الى مصلحة من
البيت فقال يا عبد اركب البغلة وروح الى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع
سريعا فامتثلت أمره ورحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وأرخيت
الدموع فاجتمع أهل الحارة كبارا وصغارا وسمعت صوتي زوجة سيدي وبناته
ففتحوا الباب وسألوني عن الخبر فقلت لهم ان سيدي كان جالسا تحت حائط قديم هو
وأصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لأخبركم
فلما سمع أولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم
فأتت اليهم الجيران وأما زوجة سيدي فانها قلبت متاع البيت بعضه على بعض

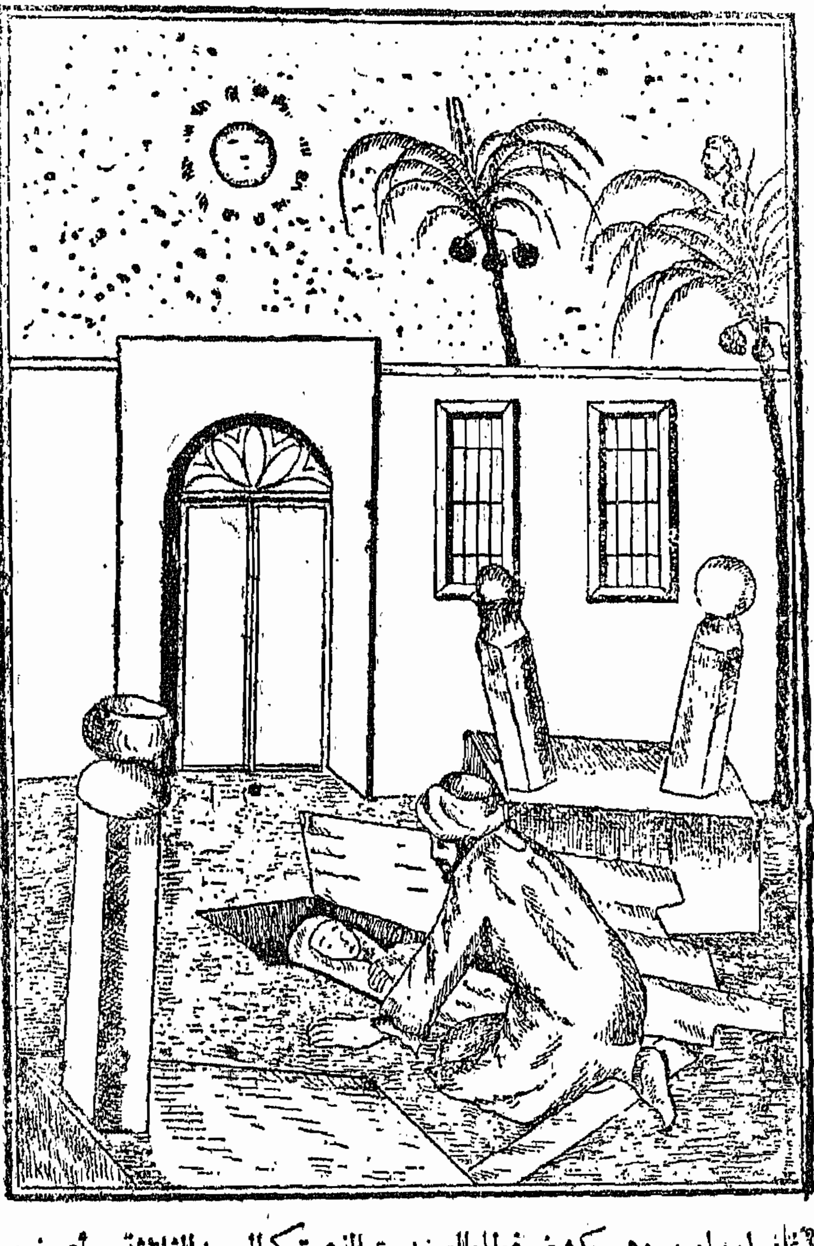
وخلعت رفوفه وكسرت طبقاته وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت ويلك يا كافور تعال ساعدني واخرب هذه الدواليب وكسر هذه الأواني والصيني فجئت اليها وأخرجت معها رفوف البيت وأتلفت ما عليها ودواليبه وأتلفت ما فيها ودرت على السقوف وعلى كل محل حتى أخرجت الجميع وأنا أصيح واسيداه ثم خرجت سيدتي مكشوفة الوجه بغطاء رأسها لا غير وخرج معها البنات والأولاد وقالوا يا كافور امشي قدامنا وأرنا مكان سيدك الذي هو ميت فيه تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به إلى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وأنا أصيح واسيداه وهم خلفي مكشوفوا الوجوه والرؤس يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلم يبق أحد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوزة إلا جاءت معنا وصاروا كلهم يلطمون وهم في شدة البكاء فمشيت بهم في المدينة فسأل الناس عن الخبر فأخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اننا نمضي للوالي ونخبره فلما وصلوا إلى الوالي أخبروه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم لما وصلوا إلى الوالي وأخبروه قام الوالي وركب وأخذ معه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين أثري ومعهم كثير من الناس وأنا قدامهم أبكي وأصيح وأحثوا التراب على رأسي وألطم على وجهي فلما دخلت عليهم ورآني سيدي وأنا ألطم وأقول واسيدتاه من يحن علي بعد سيدتي ياليتني كنت فداءها فلما رآني سيدي بهت واصفر لونه وقال مالك يا كافور وما هذا الحال وما الخبر فقلت له انك لما أرسلتني إلى البيت لأجيء لك بالذي طلبته رحت إلى البيت ودخلته فرأيت الحائط التي في القاعة وقعت فانهدمت القاعة كلها على سيدتي وأولادها فقال لي وهل سيدتك لم تسلم فقال لا ما سلم منهم أحد وأول من مات منهم سيدتي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة فقلت له لا فقال لي وما حال البغلة التي أركبها هل هي سالمة فقلت له لا ياسيدي فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والأوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا تحت الردم ولم يبق منهم أحد فقال لي ولا سيدك الكبير فقلت له لا فلم يسلم منهم أحد وفي هذه الساعة لم يبق دار ولا سكان ولم يبق من ذلك كله أثر وأما الغنم والأوز والدجاج فان الجميع أكلها القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء في وجهه ظلاما ولم يقدر أن يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر أن يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق أثوابه ونتف لحيته ولطم على وجهه ورمى عمامته من فوق رأسه وما زال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه وا أولاداه آه وازوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله وشقوا أثوابهم وخرج سيدي من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له وأكثر اللطم على وجهه وصار كأنه سكران فبينما الجماعة خارجون من باب البستان واذا هم نظروا غبرة عظيمة وصياحات بأصوات مزعجة فنظروا إلى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهو الوالي

وجماعته والخلق والعالم الذين يتفرجون وأهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم في بكاء وحزن زائد فأول من لاقى سيدي زوجته وأولادها فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم أنتم وماحصل لكم في الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك أنت ورموا أنفسهم عليه وتعلقت أولاده به وصاحوا وا أبتاه الحمد لله على سلامتك يا أبانا وقالت له زوجته الحمد لله الذي أرانا وجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته وقالت له كيف كانت سلامتك أنت وأصحابك فقال لها وكيف كان حالكم في الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما أصاب دارنا شيء من الشر غير أن عبدك كافوراً جاء إلينا مكشوف الرأس ممزق الأثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال إن سيدي جلس تحت حائط في البستان ليقضي حاجة فوقعت عليه فمات فقال لهم سيده والله إنه أتاني في هذه الساعة وهو يصيح واسيدتاه وأولاد سيدتاه وقال إن سيدتي وأولادها ماتوا جميعاً ثم نظر إلى جانبه فرآني وعمامتي ساقطة في رأسي وأنا أصيح وأبكي بكاء شديداً وأحثو التراب على رأسي فصرخ علي فأقبلت عليه فقال لي ويلك يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التي عملتها ولكن والله لأسلخن جلدك عن لحمك وأقطعن لحمك عن عظمك فقلت له والله ما تقدر أن تعمل معي شيئاً لأنك قد اشتريتني على عيبي بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتني على عيبي وأنت عالم به وهو أني أكذب في كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة فإذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح علي يا ألعن العبيد هل هذا كله نصف كذبة وإنما هو داهية كبيرة اذهب عني فأنت حر فقلت والله إن أعتقتني أنت ما أعتقك أنا حتى تكمل السنة وأكذب نصف الكذبة الباقي وبعد أن أتمها فانزل بي السوق وبعني بما اشتريتني به على عيبي ولا تعتقني فإنني ما لي صنعة أقتات منها وهذه المسألة التي ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء في باب العتق فبينما نحن في الكلام وإذا بالخلائق والناس وأهل الحارة نساء ورجالاً قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالي وجماعته فراح سيدي والتجار إلى الوالي وأعلموه بالقضية وإن هذه نصف كذبة فلما سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنوني وشتموني فبقيت واقفاً أضحك وأقول كيف يقتلني سيدي وقد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي إلى البيت وجده خراباً وأنا الذي أخربت معظمه وكسرت فيه شيئاً يساوي جملة من المال فقالت له زوجته إن كافوراً هو الذي كسر الأواني والصيني فازداد غيظه وقال والله ما رأيت عمري ولد زنا مثل هذا العبد ولأنه يقول إنها نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان أخرب مدينة أو مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه إلى الوالي فضربني علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشي علي فأتاني بالمزين في حال غشيتي فخصاني وكواني فلما أفقت وجدت نفسي خصياً وقال لي سيدي مثل ما أحرقت قلبي على أعز الشيء عندي أحرقت قلبك على أعز الشيء عندك ثم أخذني فباعني بأغلى ثمن لأني صرت طواشياً وما زلت ألقي الفتن في الأماكن التي أباع فيها وهنا أدرك شهرزاد

الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٥٥) قالت بلغني ان العبد قال ومازلت القى الفتن في الاماكن التى أباع فيها وانتقل من أمير الى أمير ومن كبير الى كبير بالبيع والشراء حتى دخلت قصر أمير المؤمنين وقد انكسرت نفسي وضعفت قوتي وأعدمت خصيتي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خبيث بن خبيث قد كذبت كذبا شنيعا . ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم ياأولاد عمي كل ما حكى هذا بطال فانا أحكي لكم سبب قطع خصيتي وقد كنت استحق أكثر من ذلك لأني كنت نكحت سيدتي وابن سيدتي والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح ياأولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فننفضح بين الناس وتروح أرواحنا فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ودخلنا محلنا قلت لكم على سبب قطع خصيتي ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة على قدر الصندوق بين أربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى ان حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن أيوب فلما خلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سره بما في الصندوق وقال في نفسه ياترى اي شيء في الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وازال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم أخذ حجرا وضرب القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فرأى صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع ونازل الا انها ذات حسن وجمال وعليها حلي ومصاغ من الذهب وقلائد من الجوهر تساوي ملك السلطان ما يفي بثمنها مال فلما رآها غانم بن أيوب عرف انهم تغامزوا عليها فلما تحقق ذلك الأمر عالج فيها حتى أخرجها من الصندوق وأرقدها على قفاها فلما استنشقت الارياح ودخل الهواء في مناخرها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شمه الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وأدارت طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك ياريح ما فيك ري للعطشان ولا انس للريان اين زهر البستان فلم يجاوبها أحد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة الدر نور الهدى نجمة الصبح أنت في شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها أحد فجالت بطرفها وقالت ويلي عند انزالي في القبور يامن يعلم ما في الصدور ويجازي يوم البعث والنشور من جاء بي من بين الستور والخدور ووضعني بين أربعة قبور هذا كله وغانم واقف على قدميه فقال لها ياسيدتي لا خدور ولا قصور ولا قبور ما هذا الا عبدك غانم بن أيوب ساقه اليك الملك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله والتفتت الى غانم وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب أيها الشاب المبارك من جاء بي الى هذا المكان فها انا قد أفقت فقال ياسيدتي ثلاثة عبيد خصيون أتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ما جرى وكيف امسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت له أيها الشاب الحمد لله الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في



غانم ابن ايوب وهو يكشف غطاء الصندوق الذي تركه العبيد الثلاثة ورأى فيه الصبية وهي مبنجة

الصندوق وأخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا أو بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق وأوصلني الى بيتك فاذا صرت في دارك يكون خيرا وأحكي لك حكايتي واخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي ففرح وخرج الى البرية وقد شعشع النهار وطلعت الشمس بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل واتى به الى التربة فحمل الصندوق بعدما حط فيه الصبيه ووقعت محبتها في قلبه وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوي عشرة آلاف دينار وعليها حلي وحلل يساوي مالا جزيلا وما صدق ان يصل الى داره وأنزل الصندوق وفتحه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٥٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غانم بن أيوب وصل الى داره بالصندوق وفتحه وأخرج الصبية منه و نظرت فرأت هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط الملونة والالوان المفرحة وغير ذلك و رات قماشا محزوما وأحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب أموال ثم انها كشفت لها وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته أحبته وقالت له هات لنا شيئا نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة وأخذ معه نقلا وشمعا واخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر من آلة المشموم وأتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم أكلا وشربا الى ان أقبل الليل وقد أحب بعضهما بعضا لانهما كانا في سن واحد وحسن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن ايوب وأوقد الشموع والقناديل فاضاء المكان وأحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وكان يملأ و يسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان و يضحكان وينشدان الاشعار و زادبهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل منهما في موضعه الى ان أصبح الصباح فقام غانم بن ايوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من خضرة ولحم وخمر وغيره وأتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فأكلا حتى اكتفيا و بعد ذلك أحضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت أعينهما واستاقت نفس غانم بن أيوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها ياسيدتي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت يا غانم اصبر حتى أسكر وأغيب واسمح لك سرا بحيث لم أشعر انك قبلتني ثم انها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال ياسيدتي أما تسمحين لي بما طلبته منك فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن أيوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فانشد هذه الابيات

سألت من أمرضني في قبلة تشفي السقم فقال لا لا أبدا
قلت له نعم نعم فقال خذها بالرضا من الحلال وابتسم
فقلت غصبا قال لا الا على رأس علم فلا تسل عما جرى
واستغفر الله ونم فظن ماشئت بنا فالحب يحلوا بالتهم
ولا أبالي بعد ذا ان باح يوما أوكتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تتمنع منه وتقول مالك وصول الي ولم يزالا في عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق في بحر الهيام وأما هي فانها قد ازدادت قسوة وامتناعا الى ان دخل الليل بالظلام وأرخى عليهما ذيل المنام فقام غانم وأشعل القناديل واوقد الشموع وزاد بهجة المقام وأخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطري فمرغ وجهه عليهما وقال ياسيدتي ارحمي أسير هواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلا فقالت له والله ياسيدي

ونور عيني انا والله لك عاشقة وبك متعلقة ولكن أنا أعرف انك لا تصل الى فقال لها وما المانع فقالت له ساحكي لك في هذه الليلة قصتي حتى تقبل عذري ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيديها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما في كل ليلة ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدة شهر كامل وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الآخر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما الى ان كانت ليلة من الليالي وهو راقد معها والاثنان سكرانا فمد يده على جسدها وملس ثم مر بيده على بطنها ونزل الى سرتها فانتبهت وقعدت وتعهدت اللباس فوجدته مربوطا فنامت ثانيا فلمس عليها بيده ونزل بها الى سراويلها وتكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم بجانبها فقالت له ما الذي تريد قال أريد ان أنام معك وأتصافى انا وأنت فعند ذلك قالت له انا الآن أوضح لك أمري حتى تعرف قدري وينكشف لك سري ويظهر لك عذري قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت ياسيدي اقرأ الذي على هذا الطرف فاخذ طرف التكة في يده ونظره فوجده مرقوما عليه بالذهب انا لك وأنت لي يا ابن عم النبي فلما قرأه نتر يده وقال لها اكشفي لي عن خبرك قالت نعم اعلم انني محظية أمير المؤمنين واسمي قوت القلوب وان أمير المؤمنين لما رباني في قصره وكبرت نظر الى صفاتي وما أعطاني ربي من الحسن والجمال فاحبني محبة زائدة وأخذني واسكنني في مقصورة وأمر لي بعشر جوار يخدمنني ثم انه أعطاني ذلك المصاغ الذي تراه معي ثم ان الخليفة سافر يوما من الايام الى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة الى بعض الجواري التي في خدمتي وقالت اذا نامت سيدتك قوت القلوب فحطي هذه القطعة البنج في انفها أو في شرابها ولك علي من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية أخذت البنج منها وهي فرحانة لاجل المال ولكونها كانت في الأصل جاريتها فجاءت الي ووضعت البنج في جوفي فوقعت على الأرض وصارت رأسي عند رجلي ورأيت نفسي في دنيا أخرى ولما تمت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق وأحضرت العبيد سرا وأنعمت عليهم وعلى البوابين وارسلتني مع العبيد في الليلة التي كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معي ما رأيت وكانت نجاتي على يديك وأنت أتيت بي الى هذا المكان وأحسنت الي غاية الاحسان وهذه قصتي وما أعرف الذي جرى للخليفة في غيبتي فاعرف قدري ولا تشهر أمري فلما سمع غانم بن أيوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده في ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر في أمره وصار متحيرا في عشق التي ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان وماله من العدوان فسبحان من شغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الانذال منها وزن حبة وأنشد هذين البيتين

قلب المحب على الاحباب متعوب ... وعقله مع بديع الحسن منهوب
وقائل قال لي ما الحب قلت له ... الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه فى قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يتمنع عنها خوفا من الخليفة ثم تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان فى بحر محبة بعضهما الى أن طلع النهار فقام غانم ولبس أثوابه وخرج الى السوق على عادته وأخذ ما يحتاج اليه الأمر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكي فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت له أوحشتني يا محبوب قلبي والله ان هذه الساعة التي غبتها عني كسنة فاني لا أقدر على فراقك وها أنا قد بينت لك حالي من شدة ولعي بك فقم الآن ودع ما كان واقض أربك مني قال أعوذ بالله أن هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب فى موضع السبع والذى لمولاي يحرم على أن أقرب به ثم جذب نفسه منها وجلس فى ناحية وزادت هي محبة بامتناعه عنها ثم جلست الى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الابيات

قلب المتيم كاد أن يتفتتا فالى متى هذا الصدود إلى متى
يا معرضا عني بغير جناية فعوائد الغزلان أن تتلفتا
صد وهجر زائد وصبابة ما كل هذا الامر يحمله الفتى

فبكى غانم بن ايوب وبكت هي لبكائه ولم يزالا يشربان إلى الليل ثم قام غانم وفرش فرشين كل فرش فى مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثاني فقال لها هذا لي والآخر لك ومن الليلة لا ننام إلا على هذا النمط وكل شيء للسيد حرام على العبد فقالت يا سيدي دعنا من هذا وكل شيء يجري بقضاء وقدر فأبى فانطلقت النار فى قلبها وزاد غرامها فيه وقالت والله ما ننام إلا سواء فقال معاذ الله وغلب عليها ونام وحده إلى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر طوال وهي كلما تقرب منه يمتنع عنها ويقول كل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم بن أيوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب أنشدت هذه الابيات

بديع الحسن كم هذا التجني ومن أغراك بالاعراض عني
حويت من الرشاقة كل معنى وحزت من الملاحة كل فن
وأجريت الغرام لكل قلب وكلت السهاد بكل جفن
وأعرف قبلك الاغصان تجنى فياغصن الأراك أراك تجني
وعهدي بالظبا صيد فمالي أراك تصيد أرباب المجن
وأعجب ما أحدث عنك أني فتنت وأنت لم تعلم بأني
فلا تسمح بوصلك لي فاني أغار عليك منك فكيف مني
ولست بقائل ما دمت حيا بديع الحسن كم هذا التجني

وأقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب غانم بن

أيوب (وأما) ما كان من أمر زبيدة فانها في غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الامر ثم صارت متحيرة تقول في نفسها ما أقول للخليفة إذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابي له فدعت بعجوز كانت عندها وأطلعتها على سرها وقالت لها كيف أفعل وقوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمي ياسيدتي أنه قرب مجيء الخليفة ولكن أرسلي إلى نجار وأمريه أن يعمل صورة ميت من خشب ويحفروا له قبرا وتوقد حوله الشموع والقناديل وأمري كل من في القصر أن يلبسوا الاسود وأمري جواريك والخدام إذا علموا أن الخليفة أتى من سفره أن يشيعوا الحزن في الدهليز فاذا دخل وسأل عن الخبر يقولون إن قوت القلوب ماتت ويعظم الله أجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها في قصرها فاذا سمع ذلك يبكي ويعز عليه ثم يسهر القراء على قبرها القراءة الختمات فان قال في نفسه إن بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاك قوت القلوب أو غلب عليه الهيام فامر باخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلك ولو حفروا على تلك الصورة التي على هيئة ابن آدم وأخرجوها وهي مكفنة بالاكفان الفاخرة فان أراد الخليفة إزالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه أنت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ أنها ماتت ويردها إلى مكانها ويشكرك على فعلك وتخلصين ان شاء الله تعالى من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها ورأت أنه صواب خلعت عليها خلعة وأمرتها أن تفعل ذلك بعد ما أعطتها جملة من المال فشرعت العجوز في ذلك الامر حالا وأمرت النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها إلى السيدة زبيدة فكفنتها وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وأمرت الجواري أن يلبسن السواد واشتهر الامر في القصر أن قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة أقبل الخليفة من غيبته وطلع إلى قصره ولكن ماله شغل إلا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجواري كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رآها لابسة الاسود فسأل عن ذلك فاخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما أفاق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم ياأمير المؤمنين أنني من معزتها عندي دفنتها في قصري فدخل الخليفة بثياب السفر إلى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقودة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم انه صار حائرا في امره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس أمر بحفر القبر واخراجها منه فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها إلى مكانها ثم إن الخليفة أمر في الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وقرأوا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكي إلى أن غشي عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٥٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق أن الخليفة دخل الحريم بعد انفضاض الامراء والوزراء من بين يديه إلى بيوتهم

ونام ساعة فجلست عند رأسه جارية وعند رجليه جارية وبعد أن غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التي عند رأسه تقول للتي عند رجليه ويلك يا خيزران قالت لأي شيء يا قضيب قالت لها إن سيدنا ليس عنده علم بما جرى حتى إنه يسهر على قبر لم يكن فيه إلا خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الأخرى وقوت القلوب أي شيء أصابها فقالت اعلمي أن السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجا وبنجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها في صندوق وأرسلتها مع صواب وكافور وأمرتهما أن يرمياها في التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب هل السيدة قوت القلوب لم تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن أنا سمعت السيدة زبيدة تقول إن قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقي وأن لها عنده الى هذا اليوم أربعة أشهر وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيه الميت وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور وان قوت القلوب عند غانم بن أيوب مدة أربعة أشهر غضب غضبا شديدا وقام وأحضر أمراء دولته فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الأرض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل يا جعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن أيوب واهجموا على داره وائتوني بجاريتي قوت القلوب ولا بد لي أن أعذبه فأجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو وأتباعه والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دار غانم وكان غانم خرج في ذلك الوقت وجاء بقدر لحم وأراد أن يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منه التفاتة فوجد البلاء أحاط بالدار والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيوف مجردة ودار وابه كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت أن خبرها وصل إلى الخليفة سيدها فأيقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم انها نظرت إلى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيف أعمل وإلى أين أذهب ومالي ورزقي في هذه الدار فقالت له لا تمكث لئلا تهلك ويذهب مالك فقال لها يا حبيبتي ونور عيني كيف أصنع في الخروج وقد أحاطوا بالدار فقالت له لا تخف ثم إنها نزعت ما عليه من الثياب وألبسته خلقانا بالية وأخذت القدر التي كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبدية طعام وقالت له أخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فأنا أعرف أي شيء في يدي من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما أشارت عليه به خرج من بينهم وهو حامل القدر وستر عليه الستار ونجا من المكايد والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر إلى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر إلى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقا من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله يا سيدتي انه ما أوصاني إلا بقبض غانم بن أيوب فقالت اعلم أنه حزم تجارات وذهب إلى دمشق ولا علم لي بغير ذلك وأريد أن تحفظ لي الصندوق وتحمله الى قصر أمير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم أخذ الصندوق وأمر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة

معرزد وكان هذا بعد أن نهبوا دار غانم ثم توجهوا إلى الخليفة فحكى له جعفر جميع ما جرى فامر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم وأسكنها فيه وألزم بها عجوزا لقضاء حاجتها لأنه ظن أن غانما فحش بها ثم كتب مكتوبا للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب الى يديك تقبض على غانم بن أيوب وترسله الى فلما وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى فى الاسواق من أراد أن ينهب فعليه بدار غانم بن أيوب فجاؤا إلى الدار فوجدوا أم غانم وأخته قد صنعتا لهما قبرا وقعدتا عنده تبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلما ما الخبر فلما أحضرهما عند السلطان سألهما عن غانم بن أيوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما إلى مكانهما هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر غانم بن أيوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته تحير فى أمره وصار يبكى على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائرا الى آخر النهار وقد ازداد به الجوع وأضر به المشى حتى وصل إلى بلد فدخل المسجد وجلس على برش وأسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو فى غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده القمل وصارت رائحته منتنة وتغيرت أحواله فاتى أهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما أقبلوا عليه وجدوه بردان جائعا فالبسوه ثوبا عتيقا قد بليت أكمامه وقالوا له من أين أنت ياغريب وماسبب ضعفك ففتح عينه ونظر اليهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا ثم ان بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاء له بكرجة عسل ورغيفين فاكل وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا لاشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهرا وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم فى أمره ثم اتفقوا على أن يوصلوه الى المارستان الذى ببغداد فبينما هم كذلك واذا بامرأتين سائلتين قد دخلتا عليه وهما أمه وأخته فلما رآهما أعطاهما الخبز الذى عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثانى يوم أتاه أهل القرية وأحضروا جملا وقالوا لصاحبه احمل هذا الضعيف فوق الجمل فاذا وصلت إلى بغداد فانزله على باب المارستان لعله يتعافى فيحصل لك الأجر فقال لهم السمع والطاعة ثم انهم أخرجوا غانم بن أيوب من المسجد وحملوه بالبرش الذى هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت أمه وأخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم يعلما به ثم نظرتا اليه وتأملتاه وقالتا انه يشبه غانما ابننا فياترى هل هو هذا الضعيف أولا وأما غانم فانه لم يفق الا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكى وينوح وأهل القرية ينظرون وأمه وأخته يبكيان عليه ولم يعرفانه ثم سافرت أمه وأخته الى أن وصلتا الى بغداد وأما الجمال فانه لم يزل سائرا به حتى انزله على باب المارستان وأخذ جمله ورجع فمكث غانم راقدا هناك الى الصباح فلما درجت الناس فى الطريق نظروا اليه وقد صار رق الخلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس عنه وقال أنا أكتسب الجنة بهذا المسكين لانهم متى أدخلوه المارستان

فقتلوه في يوم واحد ثم أمر صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته اخدميه بنصح فقالت على الراس ثم تشمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه والبسته ثوبا من لبس جواريها وسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فأفاق وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٥٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة واسكنها في مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق أن الخليفه مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من انشادها قالت ياحبيبي ياغانم ما أحسنك وما أعف نفسك قد أحسنت لمن أساءك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبي أهلك ولا بد أن تقف أنت وأمير المؤمنين بين يدي حاكم عادل وتنتصف عليه في يوم يكون القاضي هو الله والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم أنها مظلومة فدخل قصره وأرسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه أطرقت وهي باكية العين حزينة القلب فقال ياقوت القلوب أراك تتظلمين مني وتنسبينني إلى الظلم وتزعمين أني أسأت إلى من أحسن الي فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته وستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له غانم بن أيوب فانه لم يقربني بفاحشة وحق نعمتك ياأمير المؤمنين فقال الخليفة لاحول ولاقوة إلا بالله ياقوت القلوب تمني علي فأنا أبلغك مرادك قالت تمنيت عليك محبوبي غانم بن أيوب فلما سمع كلامها قال أحضره ان شاء الله مكرما فقالت ياأمير المؤمنين ان أحضرته أتهبني له فقال ان أحضرته وهبتك هبة كريم لا يرجع في عطائه فقالت ياأمير المؤمنين ائذن لي أن أدور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي مايدالك ففرحت وخرجت ومعها الف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثاني يوم الى التجار وأعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء ثم طلعت ثاني جمعة ومعها الف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجواهرجية وطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له الف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك أن تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ماأظرفه وما أكمله وكان هو غانم بن أيوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن أنه رجل مسكين مديون سلبت نعمته أو عاشق فارق أحبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به أحشاؤها فقالت له أرسل معي من يوصلني الى دارك فأرسل معها صبيا صغيرا فاوصلها إلى الدار التي فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف وقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب أين الضعيف الذي عندكم فبكت وقالت هاهو ياسيدتي الا انه

ابن ناس وعليه أثر النعمة فالتفتت إلى الفرش الذي هو راقد عليه وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق إلى أن صار كالخلال وانبهم عليها أمره فلم تتحقق أنه هو ولكن أخذها الشفقة عليه فصارت تبكي وتقول ان الغرباء مساكين وان كانوا أمراء في بلادهم ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة وركبت وطلعت إلى قصرها وصارت تطلع في كل سوق لاجل التفتيش على غانم ثم ان العريف أتى بامه وأخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال ياسيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنت وهما من وجوه الناس وعليهما أثر النعمة لائح لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وهاأنا أتيت بهما اليك لتأويهما وتصونيهما عن ذل السؤال لانهما ليستا أهلا لسؤال اللئام وان شاء الله ندخل بسببهما الجنة فقالت والله ياسيدي لقد شوقتني اليهما وأين هم فامرها بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة وأمها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما أولاد نعمة ويلوح عليهما أثر الغنى فقال العريف يا سيدتي اننا نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم الظلمة وسلبوا نعمتهم وأخربوا ديارهم ثم ان المرأتين بكيتا بكاء شديدا وتفكرتا غانم بن أيوب المتيم المسلوب فزاد نحيبهما فلما بكيتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم أن أمه قالت نسأل الله أن يجمعنا بمن نريده وهو ولدي غانم بن أيوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت أن هذه المرأة أم معشوقها وان الاخرى أخته فبكت هي حتى غشي عليها فلما أفاقت أقبلت عليهما وقالت لهما لا بأس عليكما فهذا اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٥٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم أمرت العريف أن يأخذهما إلى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتتوصى بهما وتكرمهما غاية الاكرام وأعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت أم غانم وأخته وقد أدخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ماعليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سالت زوجة العريف عن المريض الذي عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعود فقامت هي وزوجة العريف وأم غانم واخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن ايوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع راسه من فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم ياحبيبي فقال لها اقربي مني فقالت له لعلك غانم بن أيوب المتيم المسلوب فقال لها نعم انا هو

فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت أخته وأمه كلامهما صاحتا بقولهما وافر حتاه وغبتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذى جمع شملنا بك وبأمك وأختك وتقدمت اليه وحكت له جميع ماجرى لها من الخليفة وقالت انى قلت له قد أظهرت لك الحق يا أمير المؤمنين فصدق كلامى ورضى عنك وهو اليوم يتمنى أن يراك ثم قالت لغانم ان الخليفة وهبنى لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا تبرحوا حتى أحضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذى أخذته من داره وأخرجت منه دنانير وأعطت العريف اياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وأمرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد أن خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب وأقامت عندهم ثلاثة أيام وهى تطعمهم لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر وبعد ثلاثة أيام ردت لهم أرواحهم وأدخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم فى بيت العريف وذهبت الى الخليفة وقبلت الارض بين يديه وأعلمته بالقصة وانه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب وان أمه وأخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام على بغانم فنزل جعفر اليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له ان الخليفة قد أرسل اليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام وألبسته حلة فاخرة وأعطته دنانير بكثرة وقالت له أكثر البذل الى حاشية الخليفة وأنت داخل عليه واذا بجعفر أقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه وقبل الارض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع طالع مجده فأخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على أمير المؤمنين فلما حضرا بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة وكان غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة أنيق الاشارة فاطرق برأسه الى الارض ثم نظر الى الخليفة وأنشد هذه الابيات

افديك من ملك عظيم الشان … متتابع الحسنات والاحسان
متوقد العزمات فياض الندي … حدث عن الطوفان والنيران
لا يلجون بغيره من قيصر … فى ذا المقام وصاحب الايوان
تضع الملوك على ثرى اعتابه … عند السلام جواهر التيجان
حتى اذا شخصت له ابصارهم … خروا لهيبته على الاذقان
ويفيدهم ذاك المقام مع الرضا … رتب العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافى والفلا … فاضرب خيامك فى ذرى كيوان
واقرى الكواكب بالمواكب محسنا … لشريف ذاك العالم الروحانى
وملكت شامخة الصياصى عنوة … من حسن تدبير وثبت جنان

ونشرت عدلك فى البسيطة كلها حتى استوى القاصى بها والدانى

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه واعجبه فصاحة لسانه وعذوبة منطقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٤٠) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان غانم بن ايوب لما اعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن منى فدنا منه ثم قال له اشرح لى قصتك واطلعنى على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدا الى المنتهى فلما علم الخليفة أنه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال ابرىء ذمتى فابرأذمته وقال له ياامير المؤمنين ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم امر ان يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات شيئا كثيرا فنقل امه واخته اليه وسمع الخليفة بان اخته فتنة فى الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم انها جاريتك وانا مملوكك فشكره واعطاه مائة الف دينار واتى بالقاضى والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم فى نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم بن ايوب على قوت القلوب فلما اصبح الصباح امر الخليفة ان يؤرخ جميع ماجرى لغانم من اوله الى آخره وان يدون فى السجلات لاجل ان يطلع عليه من ياتى بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار وليس هذا باعجب من حكاية عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم

حكاية الملك عمر النعمان و ولديه شركان وضوء المكان

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه أحد فى مضمار واذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الاقطار ونفذ حكمه فى سائر القرى والامصار وأطاع له جميع العباد ووصلت عساكره الى أقصى البلاد ودخل فى حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكر وجزائر البحار وما فى الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وأرسل رسله الى أقصى العمار ليأتوه بحقيقة الاخبار فرجعوا واخبروه بان سائر الناس اذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والامان لانه كان عظيم الشأن وحملت اليه الهدايا من كل مكان وجبى اليه خراج الارض فى طولها والعرض وكان له ولد وقد سماه شركان لانه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان واباد الاقران فاحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد واوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرون سنة أطاع له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له اربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من احداهن والباقيات عواقر لم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد أيام

السنة القبطية وتلك السراري من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن القصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور السنة وجعل فى كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستون مقصورة واسكن تلك الجوارى فى هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيتها عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد واتفق بالامر المقدر ان جارية من جوارى النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ذريتي ونسلي تكون كلها ذكورا فارخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٦١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان لما علم ان جارية أبيه قد حملت اغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءني من ينازعني فى المملكة فاضمر فى نفسه ان هذه الجارية ان ولدت ولدا ذكرا قتله وكتم ذلك فى نفسه هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وأرسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت أحسن الجواري وأجملهن وجها واصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له أيها الملك كنت اشتهى من اله السماء ان يرزقك مني ولدا ذكرا حتى أحسن تربيته لك وابالغ فى أدبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فما زالت كذلك حتى كملت اشهرها فجلست على كرسي الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلي وتدعو الله أن يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر أو انثى وكذلك ولده شركان أرسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدنه بنتا بوجه أبهى من القمر فأعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك واخبره بذلك وكذلك رسول شركان أخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل امهلوا على ساعة فانى أحس بأن احشائى فيها شيء آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها فوضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين أزهر وخد أحمر مورد ففرحت به الجارية والخدام والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد اطلقوا الزغاريد فى القصر فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر الى المولود ثم انحنى عليه وقبله وضربت الجوارى بالدفوف ولعبت بالآلات وامر الملك أن يسموا المولود ضوء المكان واخته نزهة الزمان فامتثلوا أمره واجابوا بالسمع والطاعة ورتب لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدم والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت أهل دمشق بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة واظهر والفرح والسرور وأقبلت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وهنؤا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان و بنته نزهة

الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد فى أكرامهم من الانعام وأحسن الى الحاضرين من الخاص والعام ومازال على تلك الحالة الى أن مضى أربعة أعوام وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية واولادها وبعد الاربعة أعوام أمر أن ينقل اليها من المصاغ والحلي واصل والاموال شيء كثير وأوصاهم بتربيتهما وحسن أدبهما كل هذا وابن الملك شركان لا يعلم ان والده عمر النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم انه رزق سوى نزهة الزمان واخفوا عليه حبر ضوء المكان الى أن مضت أيام وأعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان جالس يوما من الايام اذ دخل عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك قد وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فاذن لهم الملك بذلك ندخلهم والافلامرد لامره فعند ذلك أمرهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم وأقبل عليهم وسألهم عن حالهم وماسبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم ان الذى أرسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم فى حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب فى ذلك أن بعض ملوك العرب اتفق أنه وجد فى بعض الفتوحات كنزا من قديم الزمان من عهد الاسكندر فنقل منه أموالا لا تعد ولا تحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وتلك الخرزات من أغلى الجوهر الابيض الخالص الذى لا يوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليوناني أمور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن خواصهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه ألم مادامت الخرزة معلقة عليه ولا يحم ولا يسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ما فيها من الاسرار ارسل الى الملك أفريدون هدية من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهز مركبين واحدة فيها مال والاخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر وكان يعرف من نفسه انه لا أحد يقدر ان يتعدى عليه لكونه ملك العرب لاسيما وطريق المراكب التي فيها الهدايا في البحر الذى فى مراكبه مملكة القسطنطينية وهي متوجهة اليه وليس فى سواحل ذلك البحر الا رعاياه فلما جهز المركبين سافرا الى أن قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فاخذوا جميع ما فى المركبين من التحف والاموال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فأرسل اليهم عسكرا فهزموه فارسل اليهم عسكرا أقوى من الاول فهزموه أيضا فعند ذلك اغتاظ الملك وأقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه فى جميع عسكره وانه لا يرجع عنهم حتى يخرب قيسارية ويترك أرضها وجميع البلاد التى يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد أرسل اليك ملكنا معنا شيئا من أنواع الهدايا ويرجو من أنعامك قبولها والتفضل عليه بالانجاز ثم ان الرسل

قبلوا الأرض بين يدى الملك عمر النعمان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٦٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان رسل ملك القسطنطينية قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان بعد ان حكوا له ثم اعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك فى أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوى الف مثقال من الذهب والجوارى كذلك وعليهم من القماش ما يساوى مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر باكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الأرض بين يدى الملك عمر النعمان وقال ايها الملك ما فى الأمر أحسن من أنك تجهز عسكرا جرارا وتجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأى أحسن لوجهين الاول ان ملك الروم قد استجار بك وأرسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثانى ان العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك فى سائر الاقطار والبلاد ولا سيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع بذلك أهل المغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا الكلام من وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغى ان تكون أنت فى مقدم العسكر وولدى شركان فى ساقة العسكر ثم ان الملك أمر باحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة واخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه باخذ الاهبة والتجهيز للسفر وانه لا يخالف الوزير دندان فيما يشور به عليه وأمره أن ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الشدة فامتثل شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام فى الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وأخرج مالا جزيلا وانفق عليهم المال وقال لهم قد أمهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الأرض بين يديه مطيعين لأمره ثم خرجوا من عنده وأخذوا فى الاهبة واصلاح الشان ثم ان شركان دخل خزائن السلاح وأخذ ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسالمة وأخذ غير ذلك وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر الى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع ولده شركان فقبل الأرض بين يديه واهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الأرض بين يديه وأجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده شركان وأوصاه بمشاورة الوزير دندان فى سائر الامور فقبل ذلك ورجع والده الى ان دخل المدينة ثم ان شركان امر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى ان ولى النهار وأقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم أشرفوا فى اليوم الحادى والعشرين على واد واسع الجهات كثير الاشجار والنبات وكان وصولهم الى ذلك الوادى ليلا فامرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا

الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل أفريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك الوادي وأما الملك شركان فانه كان في وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا في جوانب الوادي ثم انه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده اياه فانهم في أول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد ان أمر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه لم يزل سائرا على ظهر جواده في جوانب الوادي الى أن مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر ان يركض الجواد وكان له عادة انه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام ولم يزل الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به في بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره في الأرض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار وقد طلع عليه القمر واضاء في الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهي لا حول ولا قوة الا بالله فبينما هو كذلك خائف من الوحوش متحير لا يدري أين يتوجه فلما رأى القمر أشرف على مرج كأنه من مروج الجنة سمع كلاما مليحا وصوتا عاليا وضحكا يسبي عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده في الاشجار ومشى حتى أشرف على نهر فرأى فيه الماء يجري وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربية وهي تقول وحق المسيح ان هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان ثم نظر فاذا بنهر مسيح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها لمعاني الحظ تنشرح وذلك المكان مزركش بانواع النبات كما قيل في اوصاف مثله هذان البيتان

ماتحسن الأرض الا عند زهرتها والماء من فوقها يجري بارسال
صنع الاله العظيم الشان مقتدرا معطي العطايا ومعطي كل مفضال

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأي فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة في الهواء في ضوء القمر وفي وسطها نهر يجري الماء منه الى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشرة جوار كأنهن الاقمار وعليهن من أنواع الحلي والحلل ما يدهش الابصار وكلهن أبكار بديعات كما قيل فيهن هذه الابيات

يشرق المرج بما فيه من البيض العوالي زاد حسنا وجمالا
من بديعات الخلال كل هيفاء قواما ذات غنج ودلال
راخيات الشعور كعناقيد الدوالي فاتنات بعيون
راميات بالنبال مائسات قاتلات لصناديد الرجال

فنظر شركان الى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بحاجب مرجرج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة في الذات والصفات كما قال الشاعر في مثلها هذه الابيات

تزهو على بالحاظ بديعات وقدها مخجل للسمهريات
تبدو البنا وخداها موردة فيهامن الظرف أنواع الملاحات
كأن طرتها فى نور طلعتها ليل يلوح على صبح المسرات

فسمعها شركان وهى تقول للجوارى تقدموا حتى أصارعكم قبل أن يغيب القمر ويأتى الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها فى الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت اليها جارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها وهى كالمغضبة عليها يا فاجرة أتفرحين بصرعك للجوارى فها أنا عجوز وقد صرعتهن اربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتى فصارعينى فان أردت ذلك وقمت لمصارعتى أقوم لك وأجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها يا سيدتى ذات الدواهى بحق المسيح أتصارعينى حقيقة أو تمزحين معى قالت لها بل أصارعك حقيقة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٦٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لها أصارعك حقيقة قالت لها قومى للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها كأنه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك الا وانا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز أخذت منديل حرير بعد أن فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته فى وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أو حية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلى كفعلى كل هذا وشركان ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل فى تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من اعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفحلى رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله أن الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال فى شفتها ويدها اليمين فى رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبانت شعرتها فى القمر ثم ضرطت ضرطتين عفرت احداهما فى الارض ودخنت الاخرى فى السماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال فى نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهى ثم تقرب منهما ليسمع ما يجرى بينهما فاقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من حرير رفيعة والبستها ثيابها واعتذرت اليها وقالت لها يا سيدتى ذات الدواهى ما اردت الا صرعك لاجل جميع ما حصل لك ولكن انت انفلتت من بين يدى فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا وقامت

تمشي من خجلها ولم تزل ماشية الى ان غابت عن البصر وصارت الجوارى مكتفات مرميات والجارية واقفه وحدها فقال شركان فى نفسه لكل رزق سبب ماغلب على النوم وسارفى الجواد الى هذا المكان الالبختي فلعل هذه الجارية وما معها يكون غنيمة لى ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم اذا فر من القوس وبيده حسامه مجرد من غلافه ثم صاح الله اكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وقالت اذهب الى اصحابك قبل الصباح لئلا ياتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت مافيك قوة لدفع النسوان فكيف تدافع الرجال الفرسان فتحير شركان فى نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضة لقصد الدير ياسيدتى أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت اليه وهى تضحك ثم قالت له ماحاجتك فانى أجيب دعوتك فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجع بلا أكل من طعامك وقد صرت من بعض خدامك فقالت لا يأبى الكرامة الا لئيم تفضل باسم الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر على جانب النهر مقابلى فانت فى ضيافتى ففرح شركان وبادر الى جواده وركب ومازال ماشيا مقابلها وهى سائرة قبالته الى ان وصل الى جسر معمول باخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها أقفال فى كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجوارى اللاتى كن معها فى المصارعة قائمات ينظرن اليها فلما أقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومى اليه وامسكى عنان جواده ثم سيرى به الى الدير فسار شركان وهى قدامه الى ان عدى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال فى نفسه ياليت الوزير دندان كان معي فى هذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الجوارى الحسان ثم التفت الى تلك الجارية وقال لها يابديعة الجمال قد صارلى عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة سيرى الى منزلك وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفى عهدك فلوانك تنعمين على بالمسير الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل أسد ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندى ذا عقل ورأى ولكنى أطلعت الآن على مافى قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتكلم بكلمة تنسب بها الى الخداع كيف أصنع هذا وانا أعلم متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا أخلص منه لانه مافى قصوره مثلى ولوكان صاحب بغداد وخراسان وبنى له اثنى عشر قصرا فى كل قصر ثلثمائة وست وستون جارية على عدد أيام السنة والقصور عدد أشهر السنة وحصلت عنده ماتركنى لان اعتقادكم انه يحل لكم التمتع بمثلى كما فى كتبكم حيث قيل فيها أوماملكت أيمانكم فكيف تكلمنى بهذا الكلام وأما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فانى رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا وبلادنا فى هذين اليومين فلما أقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعة واما قولك تعرفين من أنا فانا لا أصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما أفعل ذلك لاجل الفخر ومثلك مايقول لمثلى ذلك ولو كنت شركان بن الملك عمر النعمان الذى ظهر فى هذا المكان فقال شركان فى نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر وعرفت عدتهم وانهم عشرة آلاف فارس وعرفت ان والدى أرسلهم معى لنصرة ملك القسطنطينية ثم قال شركان ياسيدتى أقسمت عليك بمن

تعتقدين من دينك أن تحدثيني بسبب ذلك حتى يظهر لى الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق ديني لولا اني خفت أن يشيع خبري اني من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسي وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان على من ذلك عار ولكنى قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست أصف لك نفسي بالشجاعة مع انك رأيت منى العلامة والصناعة والقوة فى الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لاذعن واعترف بالعجز واني أسأل المسيح ان يرميه بين يدى فى هذا الدير حتى أخرج له فى صفة الرجال أو أأسره وأجعله فى الاغلال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٦٤) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال وأراد أن يظهر لها نفسه و يبطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها و بديع حسنها فانشد هذا البيت

واذا المليح أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بالف شفيع

ثم صعدت وهو فى أثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالأمواج فى البحر الرجراج فانشد هذه الابيات

في وجهها شافع يمحو إساءتها من القلوب وجيه حيثما شفعا
اذا تأملتها ناديت من عجب البدر فى ليلة الاكمال قد طلعا
لوان عفريت بلقيس يصارعها مع فرط قوته فى ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتي وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبي على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيها الجوارى فى آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهن أمامها وشركان ورائها الى ان وصلوا الى الدير فوجد بداثر ذلك الدير أسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفى وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون فوارة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأي فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكى فقالت له الجارية اصعد يا مولاى على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم انها قدمت اليه من غرائب الالوان فاكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ماجرى لهم بعده وتذكر أيضا كيف نسي وصية أبيه فصار متحيرا فى أمره نادما على مافعل الى ان طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على مافعل وصار مستغرقا فى الفكر وأنشد هذه الابيات

لم أعدم الحزم ولكنني دهيت فى الامر فما حيلتي

لوكان من يكشف عنى الهوى ﴿﴾ برئت من حولى ومن قوتى
وان قلبى فى ضلال الهوى ﴿﴾ ضب وارجو الله فى شدتى

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكى وفى وسطها زنار مرصع بانواع الجواهر وقد ضم خصرها وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة ونهداها كفحلى رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأي عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن أذيالها وهي تمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح وأحيرتاه من هذا الزنار وأنشد هذه الأبيات

ثقيلة الارداف مائلة ﴿﴾ خرعوبة ناعمة النهد
تكتمت ماعندها من جوى ﴿﴾ ولست أكتم الذى عندى
خداعها يمشين من خلفها ﴿﴾ كالقيل فى حل وفى عقد

ثم ان الجارية جعلت تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان تحققته وعرفته فقالت له بعد ان أقبلت عليه قد أشرق بك المكان ياشركان كيف كانت ليلتك ياهمام بعد مامضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار ولا سيما عند أكابر الملوك وانت شركان بن عمر النعمان فلا تنكر نفسك وحسبك ولا تكتم أمرك عنى ولا تسمعنى بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فلما سمع كلامها لم يمكنه الانكار فاخبرها بالصدق وقال لها أنا شركان بن عمر النعمان الذى عذبنى الزمان وأوقعنى في هذا المكان فمهما شئت فافعليه الآن فاطرقت برأسها الى الارض زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح وحديث ومؤانسة فانت فى ذمتي وفى عهدى فكن آمنا وحق المسيح لو أراد اهل الارض أن يؤذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحى من أجلك ولو كان خاطرى فى قتلك لقتلتك فى هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة وأكلت من كل لون لقمة فعند ذلك أكل شركان ففرحت الجارية وأكلت معه الى ان اكتفيا وبعد ان غسلا أيديهما قامت وأمرت جارية أن تأتى بالرياحين وآلات الشراب من أوانى الذهب والفضة والبلور وأن يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والانواع النفيسة فأتتها بجميع ماطلبته ثم ان الجارية ملأت أولا القدح وشربته قبله كما فعلت فى الطعام ثم ملأت ثانيا وأعطته اياه فشرب فقالت له يامسلم انظر كيف أنت فى ألذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه الى ان غاب عن رشده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٦٥) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية مازالت تشرب وتسقى شركان الى ان غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت الجارية يامرجانة هات لنا شيئا من آلات

الطرب فقالت سمعا وطاعة ثم غابت لحظة واتت بعود دجلقي وجنك عجمي وناي تترى وقانون مصري فاخذت الجارية العود وأصلحته وشدت أوتاره وغنت عليه بصوت رخيم أرق من النسيم وأعذب من ماء التسنيم وأنشدت مطربة بهذه الابيات

غفا الله عن عينيك كم سفكت دما ... وكم فوقت منك اللواحظ اسهما
أجل حبيبا جائرا فى حبيبه ... حرام عليه أن يرق ويرحما
هنيئا لطرف فيك مسهدا ... وطوبي لقلب ظل فيك متيما
تحكمت في قتلي فانك مالكى ... بروحى أفدى الحاكم المتحكما

ثم قامت واحدة من الجوارى ومعها آلتها وأنشدت تقول عليها أبيات بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن أيضا وقالت يا مسلم أما فهمت ما أقول قال لا ولكن ما طربت الا على حسن أناملك فضحكت وقالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت أتمالك عقلى فأخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وانشدت هذه الابيات

طعم التفريق مر ... فهل لذلك صبر
تعرضت لى بثلاث ... صد وبين وهجر
أهوى ظريفا مباني ... بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم أفاق وتذكر الغناء فمال طربا ثم ان الجارية هى وشركان على الشراب ولم يزالا فى لعب ولهو الى ان ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت مرقدها فقال فى رعاية الله وحفظه فلما أصبح أقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتى تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجوارى بالدفوف والمغانى الى ان وصل الى باب كبير من العاج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجد دارا كبيرة أيضا وفى صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير وبدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على أشجار وأنهار وفي البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك فى جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه وأخذت يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له أتعرف شيئا مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم أعرف شيئا من الاشعار فقالت اسمعني فأنشد هذه الابيات

لالا أبوح بحب عزة انها ... أخذت على مواثقا وعهودا
رهبان مدين والذين عهدتهم ... يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها ... خروا لعزة ركعا وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهرا فى الفصاحة بارع البلاغة لانه بالغ فى وصفه العزة حيث قال وأنشد هذين البيتين

لو ان عزة حاكمت شمس الضحى ... فى الحسن عند موفق لقضي لها
وسعت الى بعيب عزة نسوة ... جعل الاله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل ان عزة كانت فى نهاية الحسن والجمال ثم قالت له ياابن الملك ان كنت تعرف شيئاً من كلام جميل فانشدنا منه ثم قال انى أعرف به من كل واحد ثم أنشد من شعر جميل هذا البيت

تريدين قتلي لاتريدين غيره ولست أري قصداً سواك أريد

فلما سمعت ذلك قالت له أحسنت ياابن الملك ما الذى أرادته عزة بجميل حتى قال هذا الشطر أنى تريدين قتلي لاتريدين غيره . فقال لها شركان ياسيدتي لقد أرادت به ما تريدين منى ولا يرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت مرقدها ونامت ونام شركان فى مرقده إلى أن أصبح الصباح فلما أفاق أقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له تفضل فان سيدتنا تدعوك إلى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجوارى حوله يضربن بالدفوف والآلات إلى أن خرج من تلك الدار ودخل داراً غيرها أعظم من الأولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فانشد هذه الابيات

أجنى رقيبي من ثمار قلائد در النحور منضداً بالعسجد
وعيون ماء من سبائك فضة وخدود ورد فى وجوه زبرجد
فكأنما لون البنفسج قد حكى زرق العيون وكحلت بالاثمد

فلما رأت الجارية شركان قامت له وأخذت يده وأجلسته إلى جانبها وقالت له أنت ابن الملك عمر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لاتكونى كما قال الشاعر

أقول والوجد يطوينى وينشرنى ونهلة من رضاب الحب ترويني
حضرت شطرنج من أهوى فلاعبنى بالبيض والسود ولكن ليس يرضيني
كأنما الشاة عند الرخ موضعه وقد تفقد دستا بالفرازين
فان نظرت إلى معنى لواحظها فان ألحاظها يا قوم ترديني

ثم قدم له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما أراد أن ينظر إلى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت إن كان لعبك هكذا فانت لا تعرف شيئاً فقال هذا أول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً ثم التفتت اليه وقالت له أنت فى كل شيء مغلوب فقال ياسيدتي مع مثلك يحسن أن أكون مغلوباً ثم أمرت باحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهما وأمرت باحضار الشراب فشربا وبعد ذلك أخذت القانون وكان لها بضرب القانون معرفة جيدة فانشدت هذه الابيات

الدهر ما بين مطوى ومبسوط ومثله مثل مجرور ومخروط
فاشرب على حسنه ان كنت مقتدراً أن لا تفارقنى فى وجه التفريط

ثم انهما لم يزالا على ذلك إلى أن دخل الليل فكان ذلك اليوم أحسن من اليوم الذى قبله فلما أقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها وانصرف شركان الى موضعه فنام الى الصباح ثم أقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب وأخذوا على العادة الى أن وصلوا إلى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وأمسكته من يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم أخذت العود وأنشدت هذين البيتين

لا تركنن الى الفراق فانه مر المذاق
الشمس عند غروبها تصفر من ألم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة وإذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالا وشبانا مقبلين وغالبهم بطارقة وبأيديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فأيقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال فى نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتنى وأمهلتنى إلى أن جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتنى بهم ولكن أنا الذى جنيت على نفسى والقيتها فى الهلاك ثم التفت إلى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهى تقول لهم من أنتم فقال لها البطريق المقدم عليهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين الذى عندك من هو قالت له لا أعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان بن الملك عمر النعمان هذا الذى فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهى وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلا عن العجوز وها أنت قد نصرت عسكر الروم بأخذ هذا الاسود المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمى ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشردة بطريق البطارقة قالت له كيف دخلت على بغير اذنى فقال لها يا مولاتى انى لما وصلت إلى الباب مامنعنى حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين أيدينا كما جرت به العادة انه إذا جاء أحد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذى هو شرارة جمرة عسكر الاسلام لاجل أن يقتله ويرحل عسكره إلى المواضع الذى جاؤا منه من غير أن يحصل لنا تعب فى قتالهم فلما سمعت الجارية هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهى فانها قد تكلمت بكلام باطل لا تعلم حقيقته وحق المسيح ان الذى عندى ماهو شركان ولا أسرته ولكن رجل أتى الينا وقدم علينا فطلب الضيافة فأضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروءتى أنى أمكنكم منه لانه دخل تحت عهدى وذمتى فلا تخونونى فى ضيفى ولا تفضحونى بين الانام بل ارجع أنت الى الملك أبى وقبل الارض بين يديه واخبره بان الامر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهى فقال البطريق ماسورة يا ابريزة أنا ما اقدر أن أعود الى الملك الا بغريمه فلما سمعت هذا الكلام قالت لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند

الملك من هو البطل منكم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٦٦) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة ابريزة لما قالت للبطريق ذلك قال وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن مايخرج له أولا غيري فقالت الجارية اصبر حتى اذهب اليه وأعرفه بحقيقة الامر وأنظر ماعنده من الجواب فان أجاب الامر كذلك وان أبى فلا سبيل لكم اليه وأكون أنا ومن فى الدير وجوارى فداءه ثم أقبلت على شركان واخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر احدا بأمره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحى فى بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان برزوهم لى واحد بعد واحد حجاف بهم فهلا يبرزون لى عشرة بعد عشرة و بعد ذلك وثب على قدميه وسار الى أن أقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه فلما رآه البطريق وثب اليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الاسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت أنها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية أقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له أخو المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون أن ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت ياعباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزوا اليه واحدا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب فى قلوب من بقى منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البراز اليه بل حملوا عليه حملة واحدة باجمعهم وحمل عليهم بقلب أقوى من الحجر إلى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقى فى الدير فقلن لها لم يبق أحد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته وأخذته بالاحضان وطلع شركان معها إلى القصر بعد فراغه من الحرب وكان قد بقى منهم قليل كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية إلى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت اليه وعليها زردية ضيقة العيون و بيدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لا أبخل بنفسى على ضيفى و لا أتخلى عنه ولم أبق بسبب ذلك معيرة فى بلاد الروم ثم انها تأملت البطارقة فوجدتهم قد قتل منهم ثمانون وانهزم منهم عشرون فلما نظرت الى ماصنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك ياشركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى و ينشد هذه الابيات

وكم من فرقة فى الحرب جاءت ... تركت كماتهم طعم السباع
سلوا عنى ان شئتم نزالى ... جميع الخلق في يوم القراع
تركت ليوثهم فى الحرب صرعى ... على الرمضاء . فى تلك البقاع

فلما فرغ من شعره أقبلت عليه الجارية متبسمة و قبلت يده وقلعت الدرع الذى كان عليها فقال لها ياسيدتى لاى شىء لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من

هؤلاء اللئام ثم ان الجار يةدعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم اصحاب الملك يدخلون منزلى بغير اذنى فقالوا لها أيتها الملكة ماجرت العادة أننا نحتاج الى استئذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم أظنكم ماأردتم الا هتكى وقتل ضيفى ثم أمرت شركان أن يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقى خدامها انهم يستحقون أكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا فها أنا أعلمك بقصتى اعلم أنى بنت ملك الروم حردوب واسمى أبريزة والعجوز التى تسمى ذات الدواهى جدتى أم أبى وهى التى أعلمت أبى بك ولا بد أنها تدبر حيلة فى هلاكى خصوصا وقد قتلت بطارقة أبى وشاع أنى قد تحزبت مع المسلمين فالرأى السديد أننى أترك الاقامة هنا مادامت ذات الدواهى خلفى ولكن أريد منك أن تفعل معى مثل مافعلت معك من الجميل فان العداوة قد وقعت بينى وبين أبى فلا تترك من كلامى شيئا فان هذا كله ما وقع إلا من أجلك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل اليك أحد ما دامت روحى فى جسدى ولكن هل لك صبر على فراق والدك وأهلك قالت نعم فحلفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبى ولكن بقى عليك شرط اخر فقال وماهو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها ياسيدتى ان أبى عمر النعمان أرسلنى الى قتال والدك بسبب المال الذى أخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فها أنا أحدثك بحديثها وأخبرك بسبب معاداتنا لملك القسطنطينية وذلك أن لنا عيدا يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ويقعدون فيه سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعنى أبى من حضور ذلك العيد مدة سبعة سنين فاتفق فى سنة من السنين أن بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من أماكنها الى الدير فى ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فاقاموا فى الدير ستة أيام وفى اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية أنا ما أرجع الى القسطنطينية الا فى البحر فجهزوا لها مركبا فنزلت فيها هى وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا فبينما هم سائرون واذا بريح قد خرج عليهم فاخرج المركب عن طريقها وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة أفرنجى ومعهم العدة والسلاح وكان لهم مدة فى البحر فلما لاح لهم قلع المركب التى فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم الى شعب بعد أن مزق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأيناهم غنيمة قد ساقت الينا فأخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الاموال والتحف وكان فى مركبهم أربعون جارية ومن جملتهم صفية بنت الملك فأخذنا الجوارى وقدمناها الى أبى ونحن لا نعرف أن من جملتهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار أبى منهن عشر

جواري وفيهن ابنة الملك وفرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جواري وأرسل تلك الخمسة هدية الى والدك عمر النعمان مع شيء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومي فقبل الهدية أبوك واختار من الخمس الجواري صفية بنت الملك افريدون فلما كان أول هذا العام أرسل أبوها الى والدي مكتوبا فيه كلام لا ينبغي ذكره وصار يهدده في ذلك المكتوب ويوبخه ويقول له انكم أخذتم مركبنا من منذ سنتين وكانت في يد جماعة لصوص من الافرنج ومن جملة ما فيها بنتي صفية ومعها من الجواري نحو ستين جارية ولم ترسلوا الى أحدا يخبرني بذلك وأنا لا أقدر أن اظهر خبرها خوفا ان يكون في حقي عارا عند الملوك من أجل هتك ابنتي فكتمت أمري الى هذا العام والذي بين لي ذلك اني كاتبت هؤلاء اللصوص وسألتهم عن خبر ابنتي وأكدت عليهم ان يفتشوا عليها ويخبروني عند أي ملك هي من ملوك الجزائر فقالوا والله ما أخرجناها من بلادك ثم قال في المكتوب الذي كتبه لوالدي ان لم يكن مرادكم معاداتي ولا فضيحتي ولا هتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا الى ابنتي من عندكم وان أهملتم كتابي وعصيتم أمري فلا بد أن أكافئكم على قبيح أفعالكم وسوء أعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة الى أبي وقرأها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لا يعرف ان صفية بنت الملك في تلك الجواري ليردها الى والدها فصار متحيرا في أمره ولم يمكنه بعد هذه المدة المستطيلة ان يرسل الى الملك عمر النعمان ويطلبها منه ولا سيما وقد سمعنا من مدة يسيرة انه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك أفريدون أولادا فلما تحققنا ذلك علمنا ان هذه الورطة هي المصيبة العظمى ولم يكن لأبي حيلة غير انه كتب جوابا للملك أفريدون يتعذر اليه فيه ويحلف له بالاقسام انه لا يعلم ان ابنته من جملة الجواري التي كانت في تلك المركب ثم أظهر له على انه أرسلها الى الملك عمر النعمان وانه رزق منها أولادا فلما وصلت رسالة أبي الى أفريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وأرغى وأزبد وقال كيف تكون ابنتي مسبية بصفة الجواري وتتداولها أيدي الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح انه لا يمكنني أن أتقاعد مع هذا الأمر دون أن آخذ الثار وأكشف العار فلا بد أن أفعل فعلا يتحدث به الناس من بعدي ومازال صابرا الى ان عمل الحيلة ونصب مكايدة عظيمة وأرسل رسلا الى والدك عمر النعمان وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التي معك من أجلها وسيرك اليه حتى يقبض عليك أنت ومن معك من عساكرك وأما الثلاث خرزات التي أخبر والدك بها في مكتوبه فليس لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته وأخذها أبي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها ثم وهبها لي وهي الآن عندي فاذهب انت الى عسكرك وردهم قبل أن يتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليكم الطرق ولا يكن لكم خلاص من أيديهم الى يوم الجزاء والقصاص وأنا أعرف ان الجيوش مقيمون في مكانهم لأنك أمرتهم بالاقامة ثلاثة أيام مع انهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالاوهام ثم انه قبل يد الملكة

أبريزة وقال الحمد لله الذي من على بك وجعلك سببا لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز على فراقك ولا أعلم مايجرى عليك بعدي فقالت له اذهب أنت الآن الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وأنتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلاثة أيام أنا ألحقكم وما تدخلون بغداد الا وانا معكم فندخل كلنا سواء فلما أراد الانصراف قالت له لا تنس العهد الذي بيني وبينك ثم انها نهضت قائمة معه لأجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وبكت بكاء يذيب الأحجار وأرسلت الدموع كالامطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع ونزع في الوداع دمع العين وأنشد هذين البيتين

ودعتها ويدى اليمين لادمعي ويدى اليسار لضمة وعناق
قالت أما تخشى الفضيحة قلت لا يوم الوداع فضيحة العشاق

ثم فارقها شركان ونزلا من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجها الى الجسر فلما وصل اليه مر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من الاشجار ومشى في ذلك المرج واذا هو بثلاثة فوارس فأخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه وعرفهم ووجد أحدهم الوزير دندان ومعه أميران وعند ماعرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ماجرى له من الملكة أبريزة من أوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لأن الرسل الذين جاؤا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما أسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين في السير حتى وصلوا الى سطح الوادي وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم وأخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من أمر الرسل وملكهم (وأما) ما كان من أمر شركان فانه سافر بعسكره مدة خمسة وعشرين يوما حتى أشرفوا على أوائل بلادهم فلما وصلوا هناك أمنوا على أنفسهم ونزلوا لأخذ الراحة فخرج اليهم أهل تلك البلاد بالضيافات والعليق البهائم ثم أقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم في مائة فارس وجعل الوزير دندان أميرا على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثم بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا أمامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفي الحديد والزرد غواطس فلما ان قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم وقالوا وحق يوحنا ومريم اننا قد بلغنا ما أملناه ونحن خلفكم مجدون السير ليلا ونهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم واعطونا أسلحتكم وسلموا لنا أنفسكم حتى نجود عليكم بأرواحكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاحت عيناه واحمرت وجنتاه وقال لهم يا كلاب النصارى كيف تجاسرتم علينا وجئتم بلادنا

ومشيتم فى أرضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب أظننتم أنكم تخلصون من أيدينا وتعودون الى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلاب فانهم فى عددكم ثم سل سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب أقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال بالابطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال وقد بطل القيل والقال ولم يزالوا فى الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم واجتمع شركان باصحابه فلم يجد أحدا منهم مجروحا غير أربعة أنفس حصل لهم جراحات سليمة فقال لهم شركان أنا عمري أخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم من السيوف بالامواج وأقاتل الرجال فوالله مالقيت أصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم أيها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غير ان كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فوالله لو أراد قتلنا لقتلنا باجمعنا فتحير شركان لما سمع ذلك المقال وقال فى غد نصطف ونبارزهم فما نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق وأما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم وقالوا له اننا ما بلغنا اليوم في هؤلاء أربا فقال لهم فى غد نصطف ونبارزهم واحدا بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق أيضا فلما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح وسلمت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركب معه المائة فارس وأتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لاصحابه ان أعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة اليهم فنادى مناد من الافرنج لا يكون قتالنا في هذا اليوم الا مناوبة بان يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من أصحاب شركان وسار بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتي برز اليه فارس من الافرنج غريق فى سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب على جواد أشهب وذلك الافرنجي لا نبات بعارضيه فسار جواده حتي وقف فى وسط الميدان وصادمه بالضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتي طعنه الافرنجي بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه اسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه أن يخرج الى الميدان وأخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهو أخو الاسير ووقف معه فى الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الافرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيرا وما زال يخرج اليهم من المسلمين واحدا بعد واحد والافرنج يأسرونهم الي ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد اسروا من المسلمين عشرون فارسا فلما رأى شركان ذلك عظم عليه الأمر فجمع أصحابه وقال لهم ما هذا الأمر الذي حل بنا أنا أخرج فى غد الي الميدان واطلب براز الافرنجي المقدم عليهم وانظر ما الذى حمله على أن يدخل بلادنا وأحذره من قتالنا فان أبي قاتلناه وان صالحنا صالحناه وباتوا

على هذا الحال الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ثم ركب الطائفتان واصطف الفرقان فلما خرج شركان الى الميدان رأى الافرنج قد ترجل منهم أكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه الي ان صاروا فى وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء من أطلس أزرق وجهه فيه كالبدر اذا أشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون و بيده سيف مهند وهو راكب على جواد أدهم فى وجهه غرة كالدرهم وذلك الافرنجي لا نبات بعارضيه ثم انه لكز جواده حتي صار فى وسط الميدان وأشار الي المسلمين وهو يقول بلسان عربى فصيح ياشركان ياابن عمر النعمان الذى ملك الحصون والبلدان دونك والحرب والطعان وابرز الى من قد ناصفك فى الميدان فأنت سيد قومك وأنا سيد قومى فمن غلب منا صاحبه أخذه هو وقومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الافرنجي فى الميدان فكر عليه الافرنجي كالاسد الغضبان وصدمه صدمة الفرسان وأخذا فى الطعن والضرب وصارا الى حومة الميدان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ولم يزالا فى قتال وحرب ونزال من أول النهار الى ان أقبل الليل بالاعتكار ثم انفصل كل منهما من صاحبه وعاد الي الى قومه فلما اجتمع شركان باصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس قط الا انى رأيت منه خصلة لم أرها من احد غيره وهو انه اذا لاح له فى خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح ويضرب بعقبه ولكن ماأدرى ماذا يكون منى ومنه ومرادى أن يكون فى عسكرنا مثله ومثل أصحابه وبات شركان فلما أصبح الصباح خرج له الافرنجي ونزل فى وسط الميدان وأقبل عليه شركان ثم أخذا فى القتال وأوسعا فى الحرب والمجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا فى حرب وكفاح وطعن بالرماح الي أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهم وصار كل منهما يحكى لأصحابه مالاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجي قال لأصحابه فى غد يكون الانفصال و باتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا فى الحرب الي نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجي حيلة ولكز جواده ثم جذبه باللجام فعثر به فرماه فانكب عليه شركان وأراد أن يضربه بالسيف خوفا أن يطول به المطال فصاح به الافرنجي وقال ياشركان ماهكذا تكون الفرسان انما هو فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه وأمعن النظر فيه فوجده الملكة أبريزة التى وقع له معها ماوقع فى الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الأرض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال فقالت له أردت أن أختبرك فى الميدان وانظر ثباتك فى الحرب والطعان وهؤلاء الذين معى كلهم جواري وكلهن بنات أبكار وقد قهرن فرسانك فى حومة الميدان ولولا ان جوادى قد عثر فى لكنت ترى قوتى وجلادى فتبسم شركان من قولها وقال الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بك ياملكة الزمان ثم ان الملكة أبريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد أن يطلقن

العشرين أسير الذين كن أسرتهن من قوم شركان فامتثلت الجوارى أمرها ثم قبلن الأرض بين يديها فقال لهن مثلكن من يكون عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه اشار الى أصحابه أن يسلموا عليها فترجلوا جميعا وقبلوا الأرض بين يدى الملكة ابريزة ثم ركب المائتا فارس وساروا فى الليل والنهار مدة ستة أيام و بعد ذلك اقبلوا على الديار فأمر شركان الملكة أبريزة وجواريها ان ينزعن ماعليهن من لباس الافرنج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٦٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان أمر الملكة أبريزة وجواريها أن ينزعن ماعليهن من الثياب وأن يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم إنه أرسل جماعة من أصحابه إلى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه ويخبره أن الملكة أبريزة بنت ملك الروم جاءت صحبته لاجل أن يرسل موكبا لملاقاتهم ثم انهم نزلوا من وقتهم وساعتهم فى المكان الذى وصلوا اليه و باتوا فيه الى الصباح فلما أصبح الصباح ركب شركان هو ومن معه وركبت أيضا الملكة أبريزة هى ومن معها واستقبلوا المدينة واذا بالوزير دندان قد أقبل فى الف فارس من أجل ملاقاة الملكة ابريزة هى وشركان وكان خروجه باشارة الملك عمر النعمان كما أرسل اليه ولده شركان فلما قربوا منهما توجهوا اليهما وقبلوا الارض بين أيديهما ثم ركبا وركبوا معهما وصاروا فى خدمتهما حتى وصلا إلى المدينة وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام اليه واعتنقه وسأله عن الخبر فاخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت أباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وان ملك القسطنطينية أراد أن يعمل لنا حيلة من أجل صفية بنته لان ملك الروم قد أخبره بحكايتها و بسبب أهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان أهداها اليك بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ومايخلصنا من هذه الحيل والمكايد الا ابريزة بنت ملك القسطنطينية ومارأينا أشجع منها ثم انه شرع يحكى لابيه ماوقع له معها من أوله الى اخره من أمر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى أنه يراها ثم انه طلبها لاجل أن يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها ان الملك يدعوك فاجابت بالسمع والطاعة فاخذها شركان وأتى بها الى والده وكان والده قاعدا على كرسيه وأخرج من كان عنده ولم يبق عنده غير الخدم فلما دخلت الملكة ابريزة على الملك عمر النعمان قبلت الارض بين يديه وتكلمت باحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على مافعلت مع ولده شركان وأمرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآها الملك خبل بينه و بين عقله ثم انه قربها اليه وأدناها منه وأفرد لها قصرا مختصا بها و بجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم أخذ يسألها عن تلك الخرزات الثلاث التى تقدم ذكرها سابقا فقالت له ان تلك الخرزات معى ياملك الزمان ثم انها قامت ومضت إلى محلها

وفتحت صندوقا وأخرجت منه علبة وأخرجت من العلبة حقا من الذهب وفتحته وأخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها و ناولتها للملك وانصرفت فاخذت قلبه معها و بعد انصرافها أرسل الى ولده شركان فحضر فاعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الاثنين الاخريين فقال ياولدي قد أعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والثانية لاختك نزهة الزمان فلما سمع شركان ان له أخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف الا أخته نزهة الزمان التفت الى والده الملك النعمان وقال له ياوالدي ألك ولد غيرى قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم أعلمه أن اسمه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ثم رمى الخرزة من يده و نفض أثوابه فقال له الملك مالى أراك قد تغيرت أحوالك لما سمعت هذا الخبر مع أنك صاحب المملكة من بعدى وقد عاهدت أمراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من الثلاث خرزات فاطرق شركان برأسه الى الارض واستحى أن يكافح والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة الغيظ ومازال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما أقبل عليها نهضت اليه قائمة وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست وأجلسته في جانبها فلما استقر به الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته عن حاله وما سبب غيظه فاخبرها أن والده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكرا وأنثى وسمى الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال لها انه أعطاهما خرزتين وأعطانى واحدة فتركتها وأنا الى الآن لم أعلم بذلك الا في هذا الوقت فخنقنى الغيظ وقد أخبرتك بسبب غيظى ولم أخف عنك شيأ وأخشى عليك أن يتزوجك فانى رأيت منه علامة الطمع فى أنه يتزوج بك فما تقولين أنت فى ذلك فقالت اعلم ياشركان ان أباك ماله حكم على ولا يقدر أن ياخذنى بغير رضاى وان كان ياخذنى غصبا قتلت روحى واما الثلاث خرزات فما كان على بالى انه ينعم على احد من أولاده بشيء منها وما ظننت الا انه يجعلها في خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهى من احسانك أن تهب لى الخرزة التى اعطاها لك والدك ان قبلتها منه فقال سمعا وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له انى اخاف ان يسمع ابى انى عندكم فيسعى فى طلبى ويتفق هو والملك افريدون من اجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يامولاتى اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكرى فيهم فلو اجتمع علينا كل من فى البر والبحر لغلبناهم فقالت مايكون الا الخير وها انتم ان احسنتم الى قعدت عندكم وان أسأتمونى رحلت من عندكم ثم انها امرت الجوارى باحضار شيء من الاكل فقدمن المائدة فاكل شركان شيأ يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من امر شركان (واما) ما كان من امر ابيه عمر النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى ان جلس فاقبل عليه ولداه ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا

بالخرزتين وقبلا يديه واقبلا على امهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك ياصفية حيث انك ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية لاى شيء لم تعلميني لاجل ان ازيد في اكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت ايها الملك وماذا اريد اكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التي انا فيها فها انا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقني الله منك بولدين ذكر وانثى فاعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة الفاظها ودقة فهمها وظرف ادابها ومعرفتها ثم انه مضى من عندها وافردها ولاولادها قصرا عجيبا ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية والاطباء والجرائحية واوصاهم بهم وزاد في رواتبهم وأحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان من أمره مع صفية وأولادها (وأما) ما كان من أمره مع الملكة ابريزة فانه اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارا مشغوفا بها وفي كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول ياملك الزمان أنا في هذا الوقت مالي غرض في الرجال فلما رأي تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما أعياه ذلك أحضر وزيره دندان وأطلعه على ما في قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب وأخبره أنها لا تدخل في طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيأ فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشرب معها شيئا من الخمر فاذا كان وقت الفراغ من الشرب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقها اياه فانها ما تصل الى مرقدها الا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ غرضك منها وهذا ما عندي من الرأي فقال له الملك نعم ما أشرت به علي ثم انه عمد الى خزائنه وأخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة ثم انه وضعها في جيبه وصبر الى أن مضى قليل من الليل ودخل على الملكة ابريزة في قصرها فلما رأته نهضت اليه قائمة فاذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها في أمر الشراب فقدمت سفرة الشراب وصفت له الاواني وأوقدت الشموع وأمرت باحضار النقل والفاكهة وكل ما يحتاجان اليه وصار يشرب معها وينادمها إلى أن دب السكر في رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك عمر النعمان ذلك أخرج القطعة البنج من يده وجعلها بين أصابعه وملأ كأسا بيده وشربه وملأ ثانيا وأسقط القطعة البنج من جيبه فيه وهي لا تشعر بذلك ثم قال لها خذي اشربي هذا فاخذته الملكة ابريزة وشربته فما كان الا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك ورآها على تلك الحاله ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضيء على ما بين فخذيها خبل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وأزال بكارتها وقام من فوقها ودخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها ادخلي على سيدتك وكلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجري على

صيقانها وهي ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها وأصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما أصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة وتقايأت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة اعلميني بما كان من أمري فاخبرتها انها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخذيها فعرفت ان الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من أراد أن يدخل علي وقولوا له انها ضعيفة حتى انظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر النعمان بان الملكة أبريزة ضعيفة فصار يرسل اليها الاشربة والسكر والمعاجين وأقامت على ذلك شهورا وهي محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه اليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها أشهر وظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي أن القوم ما ظلموني وانما أنا الجانية على نفسي حيث أبي وأمي ومملكتي وأنا قد كرهت الحياة وضعفت همتي ولم يبق عندي من الهمة ولا من القوة شيء وكنت اذا ركبت جوادي اقدر عليه وأنا الآن لا اقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند الجواري وكل من في القصر يعلم أنه ازال بكارتي سفاحا واذا رجعت لابي باي وجه القاه وباي وجه ارجع اليه وما احسن قول الشاعر

التعلل من أهلي ولا وطني ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الامر امرك وانا في طوعك فقالت وانا اليوم اريد اخرج سرا بحيث لا يعلم بي احد غيرك واسافر الى ابي وامي فان اللحم اذا انتن ماله الا اهله والله يفعل بي ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلين ايتها الملكة ثم انها جهزت احوالها وكتمت سرها وصبرت اياما حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فاقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها اريد ان اسافر في هذه الليلة ولكن كيف اصنع في المقادير وقد قرب اوان الطلق والولادة وان قعدت خمسة ايام أو اربعة وضعت هنا ولم اقدر ان اروح بلادي وهذا ما كان مكتوبا على جبيني ومقدرا علي في الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة انظري لنا رجلا يسافر معنا ويخدمنا في الطريق فانه ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله يا سيدتي ما اعرف غير عبدا اسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فان الملك أمره ان يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها انا اخرج اليه واكلمه في شأن هذا الامر واعده بشيء من المال واقول له اذا اردت المقام عندنا ازوجك بمن شئت وكان قد ذكر لي قبل اليوم انه كان يقطع الطريق فان هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا الى بلادنا فقالت لها هاتيه عندي حتى احدثه

فخرجت له مرجانة وقالت له ياغضبان قد اسعدك الله ان قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم اخذت بيده واقبلت به على سيدتها فلما رآها قبل الأرض بين يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت فى نفسها ان الضرورة لها احكام واقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له ياغضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان واذا أظهرتك على امرى تكون كاتما له فلما نظر العبد اليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها ياسيدتى ان امرتينى بشىء لا اخرج عنه فقالت له اريد منك فى هذه الساعة ان تأخذنى وتأخذ جاريتى هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيأ من الزاد وترحل معنا إلى بلادنا وان أقمت عندنا زوجناك من تختارها من جواري وان طلبت الرجوع الى بلادك أعطيناك ما تحب ثم ترجع الى بلادك بعد أن تأخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال ياسيدتي انى أخدمكما بعيوني وأمضى معكما وأشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال فى نفسه قد بلغت ما أريد منهما وان لم يطاوعاني قتلتهما وأخذت ما معهما من المال وأضمر ذلك فى سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب احداهن وأقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبتها وهى متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرسا ثم سافر بهما ليلا ونهارا حتى وصلوا بين الجبال و بقى بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت أن تمسك نفسها على الفرس فقالت للغضبان أنزلني فقد لحقنى الطلق وقالت لمرجانة انزلى واقعدى تحتى وولدينى فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق فرسها وهي غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان فى وجهه فشهر حسامه فى وجهها وقال ياسيدتي ارحميني بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقي الا العبيد السود بعد ما كنت لا أرضى بالملوك الصناديد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٦٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة ابريزة لما قالت للعبد العبد هو الغضبان ما بقي الا العبيد السود ثم صارت تبكته وأظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ماهذا الكلام الذي تقوله لى فلا تتكلم بشىء من هذا في حضرتى واعلم أننى لا أرضى بشىء مما قلته ولو سقيت كأس الردى ولكن اصبر حتى أصلح الجنين وأصلح شأني وأرمي الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت على فافعل بى ما تريد وان لم تترك فاحش الكلام فى هذا الوقت فانى أقتل نفسي بيدى وأرتاح من هذا كله ثم أنشدت هذه الابيات

أياغضبان دعنى قد كفانى مكايدة الحوادث والزمان
عن الفحشاء ربى قد نهانى وقال النار مثوي من عصانى
وانى لا أميل بفعل سوء بعين النقص دعنى لا ترانى

ولم نترك الفحشاء عني وترعى حرمتي فيمن رعاني
لاصرح طاقتي لرجال قومي وأجلب كل قاصيها ودانى
ولو قطعت بالسيف اليمانى لما خليت فحاشا يرانى
من الاحرار والكبراء طرا فكيف العبد من نسل الزوانى

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا واحمرت مقلته واغبرت سحنته وانتفخت مناخره وامتدت مشافره وزادت به النفرات وأنشد هذه الابيات

أيا ابريزة لا تتركيني قتيل هواك باللحظ اليمانى
فقلبي قد تقطع من جفاكى وجسمي ناحل والصبر فانى
والفظك قدسبي الالباب سحرا فعقلي نازح والشوق دانى
ولو أجلبت ملء الارض جيشا لابلغ مآربي في ذا الزمان

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا وقالت ويلك ياغضبان وهل بلغ من قدرك أن تخاطبني بهذا الخطاب ياولد الزنا وتربية الخنا أتحسب أن الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النجس هذا الكلام غضب منها غضبا شديدا وتقدم اليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جوادها قدامه بعد أن أخذ المال وفر بنفسه هاربا في الجبال هذا ما كان من أمر الغضبان (وأما) ما كان من أمر الملكة ابريزة فانها صارت طريحة على الارض وكان الولد الذى ولدته ذكرا فحملته مرجانة فى حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشقت أثوابها وصارت تحثو التراب على رأسها وتلطم على خدها حتي طلع الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيف قتل سيدتى عبد اسود لاقيمة له بعد فروسيتها فبينما هي تبكي وإذا هي بغبار قد ثار حتي سد الاقطار ولما انكشف ذلك الغبار بان من تحته عسكر جرار وكانت العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع أن ابنته هربت هي وجواريها الى بغداد وانها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتنسم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من أين أتوا لعله يعلم بخبر ابنته وكان على بعد هؤلاء الثلاثة ابنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانة فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه بسبب قتلها فنجا بنفسه فلما أقبلوا عليها رآها ابوها رمية على الارض وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع فى الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وضربوا الخيام فى الجبال ونصبوا قبة للملك حردوب ووقف ارباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت فى البكاء والنحيب فلما أفاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذى قتل ابنتك عبد اسود من عبيد الملك النعمان واخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك الكلام اسودت الدنيا فى وجهه وبكى بكاء شديدا ثم امر باحضار محفة وحمل بنته فيها ومضى الى قيسارية وأدخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على أمه ذات الدواهي وقال

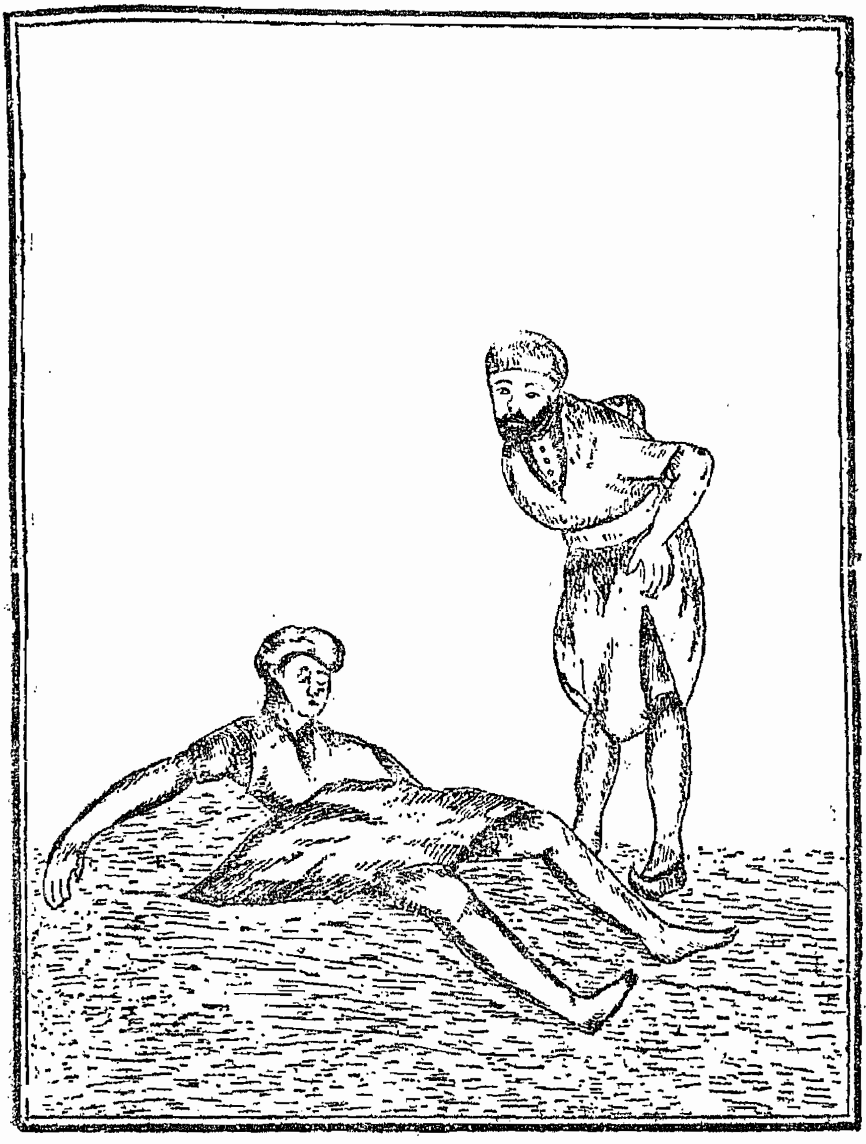
لها أهكذا يفعلون المسلمون ببنتي فان الملك عمر النعمان أزال بكارتها قهرا وبعد ذلك قتلها عبدا اسود من عبيده فوحق المسيح لابد من أخذ ثار بنتي وكشف العار عن عرضي والا قتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديدا فقالت له أمه ذات الدواهي ماقتلها بنتك الا مرجانة لانها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من أخذ ثارها فوحق المسيح لا أرجع عن الملك عمر النعمان حتى أقتله وأقتل أولاده ولأعملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدث عنه المتحدثون في جميع الاقطار ولكن ينبغي لك أن تمتثل أمري في كل ماأقوله وأنت تبلغ ماتريد فقال وحق المسيح لا أخالفك ابدا فيما تقولينه قالت له ائتني بجوار نهد أبكار وائتني بحكماء الزمان واجزل لهم العطايا وأمرهم ان يعلموا الجواري الحكمة والادب وخطاب الملوك ومنادمتهم والاشعار وأن يتعلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لاجل أن يعلموهن أخبار العرب وتواريخ الخلفاء وأخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو أقمنا على ذلك عشرة أعوام وطول روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان أخذ الثار بعد أربعين عاما مدته قليلة ونحن اذا علمنا تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لانه ممحن بحب الجواري وعنده ثلثمائة وست وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة فاذا تعلم الجواري ماأخبرتك من العلوم فاني آخذهم بعد ذلك وأسافر بهم فلما سمع الملك حردوب كلام أمه ذات الدواهي فرح فرحا شديدا وقبل رأسها ثم أرسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد الى أطراف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا أمره وسافروا الى بلاد بعيدة وأتوا بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه أكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا فعلوا ما أمرهم به ثم أحضر لهم الجواري وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٦٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب أكرمهم اكراما زائدا وأحضر الجواري بين أيديهم وأوصاهم أن يعلموهن الحكمة والادب فامتثلوا أمره هذا ما كان من أمر الملك حردوب وأما ما كان من أمر الملك عمر النعمان فانه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره أحد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم يعلم بها أحد فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما بقيت أخرج الى الصيد والقنص حتى أرسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما هو كذلك واذا بولده شركان قد أتى من سفره فاعلمه والده بذلك وأخبره أنها هربت وهو في الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد أولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد أحضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك الامر غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى أن ظهر أثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضا حتى هذا الامر فقال له

والده يوما من الايام مالى أراك تزداد ضعفا في جسمك واصفرار في لونك فقال له شركان ياوالدي كلما رأيتك تقرب اخواتي وتحسن اليهم يحصل عندي حسد وأخاف أن يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني أنت بسببهم اذا أناقتلتهم فرض جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن أنا أشتهي من احسانك أن تعطيني قلعة من القلاع حتى أقيم بها بقية عمري فإن صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي أجمل لي واحسن عين لا تنظر وقلب لا يحزن ثم أطرق برأسه الى الارض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ماهو فيه من التغير فاخذ بخاطره وقال له ياولدي اني أجيبك الى ماتريد وليس في ملكي أكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها من هذا الوقت ثم أحضر الموقعين في الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه وأخذ الوزير دندان معه وأوصاه بالمملكة والسياسة وقلده أموره ثم ودعه والده وودعته الامراء وأكابر الدولة وصار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له أهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه أهل الميمنة ميمنة وأهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر والده عمر النعمان فانه بعد سفر ولده شركان أقبل عليه الحكماء وقالوا له يامولانا ان أولادك تعلموا الحكمة والادب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحا شديدا وأنعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر أربع عشرة سنة وطلع مشتغلا بالدين والعبادة محبا للفقراء وأهل العلم والقرآن وصار أهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى أن طاف ببغداد محمل العراق من أهل الحج وزيارة قبر النبي ﷺ فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده وقال له اني اتيت اليك لأستأذنك في أن احج فمنعه من ذلك وقال له اصبر الى العام القابل وانا اتوجه الى الحج وآخذك معي فلما رأى الامر يطول عليه دخل على اخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلي فلما قضت الصلاة قال لها اني قد قتلني الشوق الى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدي فمنعني من ذلك فالمقصود ان آخذ شيئا من المال واخرج الى الحج سرا ولا اعلم ابي بذلك فقالت له أخته بالله عليك ان تأخذني معك ولا تحرمني من زيارة النبي ﷺ فقال لها اذا جن الظلام فاخرجي من هذا المكان ولا تعلمي احدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان واخذت شيئا من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة الى باب القصر فوجدت اخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب وأركبها وسارا ليلا واختلطا بالحجيج ومشيا الى ان صارا في وسط الحجاج العراقيين وماز الا سائرين وكتب الله لهما السلامة حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها الى زيارة النبي ﷺ فزاراه وبعد ذلك أراد الرجوع مع الحجاج الى بلادهما فقال ضوء المكان لأخته يا أختي أريد أن أزور بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وأنا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرجا واكترى له ولها مع المقادسة وجهزا

أخذاهما وتوجها مع الركب فحصل لأخته في تلك الليلة حمى باردة فتشوشت ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه ولم يزالا سائرين الى ان أدخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا في خان هناك واكتريا لهما فيه حجرة واستقرا فيها ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى أنحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان وقالت لاحول ولا قوة الا بالله هذا حكم الله ثم انها قعدت هي واخوها في ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهي تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معها من المال وافتقرت ولم يبق معها دينار ولا درهم فارسلت صبي الخان الى السوق بشيء من قماشها فباعه وأنفقته على أخيها ثم باعت شيئاً آخر ولم تزل تبيع من متاعها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها غير حصير مقطعة فبكت وقالت لله الامر من قبل ومن بعد ثم قال لها أخوها يا أختي اني قد أحسست بالعافية وفي خاطري شيء من اللحم المشوي فقالت له أخته والله يا أخي اني مالي وجه للسؤال ولكن غدا أدخل بيت أحد الاكابر وأخدم وأعمل بشيء نقتات به أنا وأنت ثم تفكرت ساعة وقالت اني لا يهون علي فراقك وأنت في هذه الحالة ولكن لا بد من طلب المعاش قهراً عني فقال لها أخوها بعد العز تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا أخي نحن غرباء وقد أقمنا هنا سنة كاملة ما دق علينا الباب أحد فهل نموت من الجوع فليس عندي من الرأي الا اني أخرج وأخدم وآتيك بشيء نقتات به الى ان تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا ومكثت تبكي ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها نسيها عندهما وقبلت رأس اخيها وغطته وخرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم أين تمضي وما زال أخوها ينتظرها الى ان قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو ينتظرها الى ان طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذه الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبي الخان وقال له اريد أن تحملني الى السوق فحمله والقاه في السوق فاجتمع عليه أهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة وأشار اليهم بطلب شيء يأكله فجاؤا له من التجار الذين في السوق ببعض دراهم واشتروا له شيئاً وأطعموه إياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه أبريقا فلما أقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر أخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام أهل السوق وأخذوا له من التجار ثلاثين درهما واكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا واوصله الى دمشق وادخله المارستان لعله ان يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال في نفسه كيف أمضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت ثم خرج به الى مكان واختفى به الى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى الى حال سبيله فلما أصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال في نفسه لأي شيء ما يرمون هذا الميت الا هنا ورفسه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي نفسه في أي موضع كان ثم نظر الى وجهه فرآه لا نبات بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فأخذته الرأفة عليه وعرف انه مريض وغريب فقال

لاحول ولا قوة الا بالله انى دخلت فى خطيئة هذا الصبي وقد أوصانى النبي صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب
لاسيما اذا كان الغريب مريضا ثم حمله وأتي به الى منزله ودخل به على زوجته وأمرها أن تخدمه وتفرش
له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له يديه ورجليه ووجهه
وخرج الوقاد الي السوق وأتى له بشيء من ماء الورد والسكر ورش على وجهه وسقاه السكر وأخرج له
قميصا نظيفا والبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك
وقال الحمد لله على عافية هذا الصبي اللهم إني اسألك بسرك المكنون ان تجعل سلامة هذا الشاب على
يدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح



الوقاد عند ما عثر على ضوء المكان وهو ملقى فى المزبلة

(وفي ليلة ٧٠) قالت بلغني ايها الملك السعيد وما زال الوقاد يتعهده ثلاثة ايام وهو يسقيه السكر و١٠٩ الحلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى عادت الصحة في جسمه وفتح عينه فاتفق ان الوقاد دخل عليه فرآه جالسا وعليه آثار العافية فقال له ما حالك ياولدي في هذا الوقت فقال ضوء المكان بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض الى السوق واشترى له عشرة دجاجات واتى الى زوجته وقال لها اذبحي له في كل يوم اثنتين واحدة في أول النهار وواحدة في آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها وأتت بها اليه واطعمته اياها وسقته مرقتها فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء مسخنا فغسل يديه واتكأ على الوسادة وغطته بملاءة فنام الى العصر ثم قامت وسلقت دجاجة اخرى وأتته بها وفسختها وقالت له كل ياولدي فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه فجلس عند رأسه وقال له ما حالك ياولدي في هذا الوقت فقال الحمد لله على العافية جزاك الله عني خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج وأتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل في الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشتري كل يوم بدرهم سكرا وماء ورد وشراب بنفسج ويشتري له بدرهم فراريج وما زال يلاطفه الى ان مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وتوجهت اليه العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال ياولدي هل لك ان تدخل معي الحمام قال نعم فمضى الى السوق وأتى له بمكاري وأركبه حمارا وجعل يسنده الى ان وصل الى الحمام ثم دخل معه الحمام وأجلسه في داخله ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء المكان ياسيدي بسم الله أغسل لك جسدك وأخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وشرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق واذا ببلان قد أرسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا نقص في حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم غمرنا باحسانه فشرع البلان يحلق راس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد الى منزله وألبسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وأعطاه حزاما وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد وأذاب له السكر في ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج و... مه ويسقيه من المسلوقة الى ان اكتفي وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية ثم قال للوقاد أنت الذي من الله علي بك وجعل سلامتي على يديك فقال الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة ومن اين أنت فاني أرى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لي أنت كيف وقعت بي حتى اخبرك بحديثي فقال الوقاد أما أنا فاني وجدتك مرميا على القمامة في المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت الى اشغالي ولم أعرف من رماك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوقاد قال لم أعرف من رماك فاخذتك عندي وهذه حكايتي فقال ضوء المكان سبحان من يحيي العظام وهي رميم انك يا أخي ما فعلت الجميل الا مع أهله وسوف تجني ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وانا الآن في أي البلاد فقال له الوقاد أنت في مدينة

القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق أخته وبكى حيث باح بسره الى الوقاد وحكى له حكايته ثم انشد هذه الابيات

لقد حملوني في الهوى غير طاقتي　　ومن أجلهم قامت على قيامتي
ألا فارفقوا ياهاجرين بمهجتي　　فقد رق لي من بعدكم كل شامت
ولا تمنعوا أن تسمحوا لي بنظرة　　تخفف أحوالي وفرط صبابتي
سألت فؤادي الصبر عنكم فقال لي　　اليك فلا الصبر من غير عادتي

ثم زاد بكائه فقال له الوقاد لا تبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة أيام فقال ضوء المكان هل لك ان ترسلني اليها فقال له الوقاد ياسيدي كيف أدعك تروح وحدك وأنت شاب صغير فان شئت السفر الى دمشق فانا الذي أروح معك وان أطاعتني زوجتي وسافرت معي أقمت هناك فانه لا يهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك أن تسافري معي الى دمشق الشام أو تكوني مقيمة هنا حتى أوصل سيدي هذا الى دمشق الشام وأعود اليك فانه يطلب السفر اليها فاني والله لا يهون على فراقه وأخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته أسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة ثم ان الوقاد قام وباع أمتعته وأمتعة زوجته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى انهماء ضيا زمعه الى دمشق ثم ان الوقاد باع أمتعته وأمتعة زوجته ثم اكترى حمارا وأركب ضوء المكان اياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة أيام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيئا من الاكل والشرب على العادة ومازالوا على ذلك الحال خمسة أيام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد اياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لا تحزن فاننا كلنا داخلون في هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا ياولدي فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك ياولدي ان تخرج بنا ونتفرج في دمشق لننشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان وسارا الى ان أتيا تحت اصطبل والى دمشق فوجدا جمالا محملة صناديق وفرشا وقماشا من الديباج وغيره وجنائب مسرجة وبخاتي وعبيدا ومماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان ياترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسئول هذه هدية من أمير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد يقول

ان شكونا البعاد ماذا تقول　　أوتلفنا شوقا فكيف السبيل
أو رأينا رسلا تترجم عنا　　مايودي شكوى لمحب رسول

أوصبرنا فما من الصبر عندي بعدفقد الاحباب الا قليل

وقال أيضا

رحلوا غائبين عن جفن عيني وهم فى الفؤاد منى حلول
غاب عنى جمالهم لخيالى ليس تحلوا والاشتياق يحول
ان قضى الله باجتماعى عليكم أذكر الوجد فى حديث يطول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد ياولدى نحن ماصدقنا انك جاءتك العافية فطب نفسا ولا تبك فانى أخاف عليك من النكسة ومازال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لأخته ومملكته ويرسل العبرات ثم أنشد هذه الابيات

تزود من الدنيا فانك راحل وايقن بان الموت لاشك نازل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة وعيشك فى الدنيا محال وباطل
الا انما الدنيا كمنزل راكب اناخ عشيا وهو فى الصبح راحل

ثم ان ضوء المكان جعل يبكى وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكى على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان الى أن اصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كانك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا استطيع ان اقيم هنا واستودعتك الله فانى مسافر مع هؤلاء القوم وامشى معهم قليلا قليلا حتى اصل الى بلادى فقال له الوقاد وانا معك فأنى لا اقدر ان افارقك فانى عملت معك حسنة واريد ان اتممها بخدمتى لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عنى خيرا وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى حمارا وهيأ زادا وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار فى السفر فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش فقال له ضوء المكان بارك الله فيك واعانني على مكافأتك فانك فعلت معى من الخير مالا يفعله احد مع اخيه ثم صبرا الى ان جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوقاد (واما) ما كان من أمر اخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذى كانا فيه فى القدس بعد ان التفت بالعباءة لأجل ان تخدم أحدا وتشترى لأخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي وصارت تبكي في الطريق وهي لا تعرف اين تتوجه وصار خاطرها مشغولا باخيها وقلبها مفتكر فى الأهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى فى دفع هذه البليات وانشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم والشوق حرك ماعندي من الألم
ولوعة البين فى الاحشاء قدسكنت والوجد صيرنى في حالة العدم
والحزن أقلقنى والشوق أحرقنى والدمع باح بحب أى مكتتم
وليس لى حيلة فى الوصل أعرفها حتى تزحزح ماعندى من الغمم
فنار قلبي بالاشواق موقدة ومن لظاها يظل الصب فى نقم
يامن يلوم على ماحل بى وجرى انى صبرت على ماخط بالقلم

أقسمت بالحب مالي سلوة أبدا يمين أهل الهوى مبرورة القسم
ياليل بلغ رواة الحب عن خبري واشهد بعلمك انى فيك لم أنم

ثم ان نزهة الزمان أخت ضوء المكان صارت تمشي وتلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة أنفار من العرب قد التفت الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال فى نفسه ان هذه جميلة ولكنها ذات قشف فان كانت من أهل هذه المدينة أو كانت غريبة فلابد لى منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها فى الطريق فى مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يابنية هل أنت حرة أم مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تجدد على الاحزان فقال لها انى رزقت ست بنات مات لى منهن خمسة وبقيت واحدة وهي أصغرهن وأتيت اليك لا سألك هل أنت من أهل هذه المدينة أو غريبة لاجل ان آخذك واجعلك عندها لتؤانسها فتشتغل بك عن الحزن على اخواتها فان لم يكن لك أحد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل أولادى فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت فى سرها عسى ان آمن على نفسى عند هذا الشيخ ثم أطرقت برأسها من الحياء وقالت ياعم أنا بنت غريبة ولى أخ ضعيف فانا أمضى معك الى بيتك بشرط ان اكون عندها بالنهار وبالليل أمضى الى أخي فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لانى غريبة وكنت عزيزة فاصبحت ذليلة حقيرة وجئت انا واخي من بلاد الحجاز واخاف ان أخي لا يعرف لى مكانا فلما سمع البدوى كلامها قال فى نفسه والله انى فزت بمطلوبي ثم قال لها ما أريد الا لتؤانسى بنتى نهارا وتمضى الى اخيك ليلا وان شئت فانقليه الى مكاننا ولم يزل البدوى يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى ان وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائرا الى جماعته وكان قد هيؤ الجمال ووضعوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوى قاطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وانما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المسكينة لامر قدره الله ثم أن البدوى سار يحدثها فى الطريق الى أن خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجدهم قد رحلوا الجمال فركب البدوى جملا واردفها خلفه وسار وامعظم الليل فعرفت نزهة الزمان ان كلام البدوى كان حيلة عليها وانه مكر بها فصارت تبكى وتصرخ وهم فى الطريق قاصدين الجبال خوفا ان يراهم أحد فلما صار واقريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوى الى نزهة الزمان وقال لها يامدنية ماهذا البكاء والله ان لم تتركى البكاء ضربتك الى ان تهلكى ياقطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له ياشيخ السوء ياشيبة جهنم كيف استأمنتك وانت تخوننى وتمكر بي فلما سمع البدوى كلامها قال لها ياقطعة حضرية ألك لسان تجاوبينني به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت أخاها وماهو فيه من الامراض فبكت سرا وفي ثانى يوم التفتت الى البدوى وقالت له كيف تعمل على هذه الحيلة حتى اتيت بي الى هذه الجبال القفرة وماقصدك منى فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها ياقطعة حضرية ألك لسان تجاوبينني

ابيه ثم أخذ السوط ونزل به على ظهرها الى أن غشى عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطوري ان سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسته في فرجك يا قطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها في طوقها وصارت تتفكر في حالها وفي حال أخيها وفي ذلها بعد العز وفي مرض أخيها ووحدته واغترابهما وأرسلت دموعها على الوجنات وأنشدت هذه الابيات

من عادة الدهر ادبار واقبال ... فما يدوم له بين الورى حال
وكل شيء من الدنيا له أجل ... وتنقضي لجميع الناس آجال
كم احمل الضيم والاهوال يا أسفي ... من عيشة كلها ضيم وأهوال
لا أسعد الله أياما عززت بها ... دهرا وفي طي ذاك العز اذلال
قد خاب قصدي وآمالي بها انصرمت ... وقد تقطع بالتغريب أوصال
يا من يمر على دار فيها سكني ... بلغه عني ان الدمع هطال

فلما سمع البدوي شعرها اعطف عليها ورثى لها ورحمها وقام اليها ومسح دموعها وأعطاها قرصا من شعير وقال لها انا لا أحب من يجاوبني في وقت الغيظ وأنت بعد ذلك لا تجاوبيني بشيء من هذا الكلام الفاحش وأنا ابيعك لرجل جيد مثلي يفعل معك الخير مثل مافعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل واحرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيئا يسيرا فلما انتصف الليل أمر البدوي جماعته أن يسافروا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي لما أعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها أن يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل واحرقها الجوع اكلت من القرص الشعير شيئا يسيرا ثم أن البدوي أمر جماعته أن يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملا واردف نزهة الزمان خلفه وساروا وما زالوا سائرين مدة ثلاثة أيام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب الملك وقد تغير لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من أجل ذلك فاقبل عليها البدوي وقال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا أبيعك الا ليهودي ثم انه قام وأخذ بيدها وأدخلها في مكان وتمشى الى السوق ومر على التجار الذين يتجرون في الجواري وصار يكلمهم ثم قال لهم عندي جارية اتيت بها معي واخوها ضعيف فأرسلته الى أهلي في مدينة القدس لاجل أن يداووه حتى يبرأ وقصدي أن أبيعها ومن يوم ضعف أخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه وأريد ان الذي يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها أن أخاك عندي في القدس ضعيف وأنا أرخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وأدب وفطنة وحسن وجمال ومن حين أرسلت أخاها الى القدس اشتغل قلبها وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم يا شيخ العرب اني أروح معك واشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر عقلها وأدبها وحسنها وجمالها وأعطيك ثمنها واشرط عليك شروطا ان

قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوى إن شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط على ماشئت من الشروط فانك إذا أوصلتها إلى الملك شركان بن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وانا لى عند السلطان حاجة وهو ان يكتب الى والده عمر النعمان بالوصية على فان قبل الجارية منى وزنت لك ثمنها فقال له البدوى قبلت منك هذا الشرط ثم مشى الاثنان الى أن أقبلا على المكان الذى فيه نزهة الزمان ووقف البدوى على باب الحجرة وناداها يا ناحية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوى إلى التاجر وقال هاهى قاعدة دونك فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما أوصيتك فتقدم التاجر اليها فرآها بديعة فى الحسن والجمال لاسيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر ان كانت كما وصفت لى فانى ابلغ بها عند السلطان ما اريد ثم ان التاجر قال لها السلام عليك يا بنيه كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل ذو وقار ووجه حسن فقالت فى نفسها اظن أن هذا جاء يشترينى ثم قالت أن امتنعت عنه صرت عند هذا الظالم فيهلكنى من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو ارجى للخير من هذا البدوى الجلف ولعله ماجاء الا ليسمع منطقى فانا اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الأرض ثم رفعت بصرها اليه وقالت بكلام عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياسيدى بهذا أمر النبى ﷺ وأما سؤالك عن حالى فان شئت أن تعرفه فلا تتمنه الا لاعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت الى البدوى وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوى وقال له افسدت على الجارية بهذا الكلام لاى شىء تقول انها جليلة مع انها من رعاع الناس فأنا لا أبيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل العقل فقال له طب نفسا وقر عينا فأنا أشتريها على هذا العيب الذى ذكرته فقال البدوى وكم تدفع لى فيها فقال له التاجر ما يسمى الولد الا أبوه فاطلب فيها مقصودك فقال له البدوى ما يتكلم إلا أنت فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى جلف يابس الرأس وأنا لا أعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبى بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوى لا يعرف لها قيمة ثم التفت إلى البدوى وقال له ياشيخ العرب ادفع لك فيها مائتى دينار سالمة ليدك غير الضمان وقانون السلطان فلما سمع ذلك البدوى اغتاظ غيظا شديدا وصرخ فى ذلك التاجر وقال له قم الى حال سبيلك لو اعطيتنى مائة دينار فى هذه القطعة العباءة التى عليها ما بعتها لك فأنا لا أبيعها بل أخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يا منتنة انا لا أبيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت أحسبك أهل معرفة وحق طرطورى إذ لم تذهب عنى لاسمعتك ما لا يرضيك فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى مجنون ولا يعرف قيمتها ولا أقول له شيئا في ثمنها فى هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطورى والله انها تساوى خزنة من الجواهر وأنا ما معي ثمنها ولكن ان طلب منى ما يريد أعطيته اياه ولو أخذ جميع مالى ثم التفت إلى البدوى وقال له ياشيخ العرب طول بالك وقل لى مالها من القماش عندك فقال

البدوى وما تعمل قطاعة الجوارى هذه القماش والله ان هذه العباءة التى هى ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك أكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجوارى لاجل الاشتراء فقال له البدوى دونك وما ترى يدالله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا فأن شئت فعرها الثياب ثم انظرها وهى عريانة فقال التاجر معاذ الله أنا ماأنظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٤) قالت بلغنى الملك أيها السعيد أن التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتي ما اسمك فقالت له تسألنى عن اسمى فى هذا الزمان أو عن اسمي القديم فقال لها هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمي القديم نزهة الزمان واسمي الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك أخ ضعيف فقالت أى والله ياسيدي ولكن فرق الزمان بيني وبينه وهو مريض فى بيت المقدس فتحير عقل التاجر من عذوبة منطقها وقال فى نفسه لقد صدق البدوى فى مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت أخاها ومرضه وغربته وفراقها عنه وهو ضعيف ولا تعلم ماوقع له وتذكرت ماجرى لها من هذا الامر مع البدوى ومن بعدها عن أمها وأبيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وأرسلت العبرات وأنشدت هذه الابيات

حيثما قد وفاك إلهى أيها الراحل المقيم بقلبي
ولك الله حيث أمسيت جار حافظ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لقربك عيني واستهلت مدامعي أى سكب
ليت شعرى باي ربع وأرض أنت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شاربا لماء حياة حضر الورد فالمدامع شربى
أو شهدت الرقاد يوما فجمر من مهاد بين الفراش وجنبي
كل شيء إلا فراقك سهل عند قلبي وغيره غير صعب

فلما سمع التاجر ماقالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدي ثم أن البدوى قعد ينظر اليها وهى تغطى وجهها من التاجر حيث أراد أن يمسح دمعها عن خدها فاعتقد أنها تمنعه من التقليب فقام اليها يجرى وكان معه مقود جمل فرفعه فى يده وضربها به على أكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض فى حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لا بد أن أشترى هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا واريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوى وهى فى غشيتها فلما أفاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وأنشدت هذين البيتين

وارحمة لعزيزة . بالضيم قد صارت ذليلة . تبكي بدمع هاطل . وتقول مافى الوعد حيلة

فلما فرغت من شعرها التفتت الي التاجر وقالت له بصوت خفى بالله لا تدعنى عند هذا الظالم الذى لا يعرف الله تعالى فان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدى فخلصنى منه يخلصك الله مما تخاف فى الدنيا والاخرة فقام التاجر وقال للبدوى ياشيخ العرب هذه ليست غرضك بعنى اياها بما تريد فقال البدوى خذها وادفع ثمنها والا اروح بها الي النجع واتركها تلم البعر وترعى الجماله فقال التاجر أعطيك خمسين الف دينار فقال البدوى يفتح الله فقال التاجر سبعين الف دينار فقال البدوى يفتح الله هذا ماهو رأس مالها لانها أكلت عندى أقراصا من الشعير بتسعين الف دينار فقال التاجر أنت وأهلك وقبيلتك فى طول عمركم ما أكلتم بالف دينار شعيرا ولكن أقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها غمزت عليك والى دمشق فيأخذها منك قهرا فقال البدوى تكلم فقال بالف دينار فقال البدوى بعتك اياها بهذا الثمن وأقدر اننى اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله وأتى له بالمال واقبضه اياه فاخذه البدوى وقال فى نفسه لا بد أن أذهب الى القدس لعلى أجد أخاها فاجيء به وأبيعه ثم ركب وسافر إلى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن أخيها فلم يجده هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر التاجر ونزهة الزمان فانه لما أخذها ألقى عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم الجارية من البدوى وضع عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله والبسها أفخر الملبوس ثم أخذها ونزل بها الى السوق وأخذ لها مصاغا ووضعه فى بقجة من الاطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من أجلك ولا أريد منك الا اذا طلعت بك الى السلطان والى دمشق أن تعلميه بالثمن الذى اشتريتك به وان كان قليلا فى ظفرك واذا اشتراك منى فاذكرى له مافعلت معك واطلبي لى منه مرقوما سلطانيا بالوصية على لاذهب به الى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لاجل أن يمنع من يأخذ منى مكسا على القماش أو غيره من جميع ما أتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر ياسيدتي انى أراك كلما ذكرت لك بغداد تدمع عيناك ألك فيها أحد تحبينه فان كان تاجرا أو غيره فاخبريني فانى أعرف جميع مافيها من التجار وغيرهم وان أردت رسالة أنا أوصلها اليه فقالت والله مالى معرفة بتاجر ولا غيره وانما لى معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحا شديدا وقال فى نفسه والله انى وصلت الي ما أريد ثم قال لها أنت عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت انا و بنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فان كان غرضك أن الملك عمر النعمان يبلغك ماتريد فائتنى بدواة وقرطاس فانى أكتب لك كتابا فاذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر النعمان وقل له إن جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالى والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهى تقرئك السلام واذا سألك عنى فاخبره أني عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما أظن الا أن الرجال لعبوا

بعقلك و باعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم وأعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحته ايضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات بن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وجللت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت في الهندسة وأتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرات الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت في سائر العلوم والفت في علم المنطق والبيان والحساب والجدل واعرف الروحاني والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت ائتني بدواة وقرطاس حتى اكتب كتابا يسليك في الاسفار ويغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فياسعد من تكونين في قصره ثم أتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضر التاجر ذلك بين يديها وقبل الارض تعظيما فأخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت في الدرج هذه الابيات

ما بال نومي من عيني قد نفرا … أأنت علمت طرفي بعدك السهرا
ومالذكرك يذكي النار في كبدي … أهكذا كل صب للهوى ذكرا
سقا الايام ما كان أطيبها … مضت ولم أقض من لذاتها وطرا
أستعطف الريح ان الريح حاملة … الى المتيم من أكتافكم خبرا
يشكو اليك محب قل ناصره … وللفراق خطوب تصدع الحجرا

ثم انها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعده هذا الكلام وهي تقول ممن استوى عليها الفكر وأنحلها السهر فظلمتها لاتجد لها من أنوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الارق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد أذابها الفكر والنحول وشرح حالها يطول لامساعد لها غير العبرات وأنشدت هذه الابيات

ما غردت سحرا ورقاء في فنن … الا تحرك عندي قاتل الشجن
ولا تأثر مشتاق به طرب … الى الاحبة الا ازددت في حزني
أشكو الغرام الى من ليس يرحمني … كم فرق الوجد بين الروح والبدن

ثم أفاضت دموع العين وكتبت أيضا هذين البيتين

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني … وفرق الهجر بين الجفن والوسن
كفى بجسمي نحولا انني دنف … لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وبعد ذلك كتبت في أسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فاخذه وقبله وعرف مافيه ففرح وقال سبحان من صورك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فاخذه وقرأه وعلم مافيه فقال سبحان من صورك وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما أقبل الليل خرج الى السوق وأتى بشيء فأطعمها اياه ثم أدخلها الحمام وأتى لها ببلانة وقال لها اذا

فرغت من غسل رأسها فالبسيها ثيابها ثم ارسلي أعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم أحضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبة الحمام وجدت المائدة حاضرة فأكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة وتركت الباقي لحارسة الحمام ثم باتت الى الصباح و بات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه أيقظ نزهة الزمان وأحضر لها قميصا رفيعا وكوفية بالف دينار و بدلة تركية مزركشة بالذهب وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر وجعل في أذنيها حلقا من اللؤلؤ بالف دينار ووضع في رقبتها طوقا من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها وفوق سرتها وتلك القلادة فيها عشر أكر وتسعة أهلة كل هلال في وسطه فص من الياقوت وكل أكرة فيها فص البلخش وثمن تلك القلادة ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التي كساها اياها بجملة بليغة من المال ثم أمرها التاجر أن تتزين باحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها وقالوا تبارك الله أحسن الخالقين هنيأ لمن كانت هذه عنده ومازال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه حتى دخل على الملك شركان فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه وقال أيها الملك السعيد أتيت لك بهدية غريبة الاوصاف عديمة النظير في هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والاحسان فقال له الملك قصدي أن أراها عيانا فخرج التاجر وأتى بها حتى أوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهي صغيرة ولم ينظرها لانه بعد مضي مدة من ولادتها سمع أن له أختا تسمي نزهة الزمان وأخا يسمي ضوء المكان فاغتاظ من أبيه غيظا شديدا غيرة على المملكة كما تقدم ولما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه الي حال سبيلك فقال له التاجر سمعا وطاعة ولكن أكتب لي مرقوما اني لا أدفع عشرا أبدا على تجارتي فقال الملك اني أفعل لك ذلك ولكن اخبرني كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها الف دينار وكسوتها بمائة الف دينار فلما سمع ذلك قال أنا أعطيك في ثمنها اكثر من ذلك ثم دعا بخازندارة وقال له اعط هذا التاجر ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار ثم ان شركان احضر القضاة الاربعة وقال لهم اشهدكم اني اعتقت جاريتي هذه واريد ان اتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم اكتبوا كتابي عليها ونثر المسك على رؤس الحاضرين ذهبا كثيرا وصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من الذهب ثم ان الملك أمر بكتابة منشور الى التاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له احد بسوء في سائر مملكته و بعد ذلك امر له بخلعة سنية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٧) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك صرف جميع من عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة اريد ان تسمعوا من ألفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وادبها من كل

ما ادعاه التاجر لنتحقق صدق كلامه فقالوا لا بأس من ذلك فامر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع الناس اللاتى مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا أنها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقمن يخدمنها وخففن ماعليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها وجمالها وسمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية لا مثيل لها في الجمال والعلم والادب وانها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها وأحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن أسئلتهم فطلب النساء الاذن من أزواجهن ومضين الى القصر الذى فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفا بين يديها وحين رأت نساء الامراء والوزراء داخلة عليها قامت اليهن وقابلتهن وقامت الجوارى خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم فى وجوههن فاخذت قلوبهن وانزلتهن فى مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وقلن لبعضهن ماهذه جارية بل هي ملكة بنت ملك وصرن يعظمن قدرها وقلن لها ياسيدتنا أضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جواريك فبالله لا تخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الاربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها أيتها الجارية العزيزة فى زمانها ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والادب وادعى انك تعرفين فى جميع العلوم حتى علم النحو فاسمعينا من كل باب طرفا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة أيها الملك الباب الاول فى السياسات الملكية وما ينبغي لولاة الامور الشرعية ومايلزمهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم ايها الملك ان مقاصد الخلق منتهية الى الدين والدنيا لانه لا يتوصل أحد الى الدين الا بالدنيا فان الدنيا نعم الطريق الى الآخرة وليس ينتظم أمر الدنيا باعمال أهلها وأعمال الناس تنقسم الى أربعة أقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغي لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمارة الدنيا التى هي طريق الى الآخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغي لكل انسان ان يتناول منها بقدر ما يوصله الى الله ولا يتبع فى ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى فتسبب عن انهما كهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى سلطان لاجل ان ينصف بينهم ويضبط أمورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم وقد قال أزدشير ان الدين والملك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على الناس أن يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوي ويكف باس العاتى والباغي واعلم ايها الملك انه على قدر حسن أخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيآن فى الناس اذا صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك الثلاثة ملك ودين وملك محافظة على

الحرمات وملك هوي فاما ملك الدين فانه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغي ان يكون أدينهم لانه هو الذي يقتدى به في امور الدين و يلزم الناس طاعته فيما أمر به موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل السخط منزلة الراضي بسبب التسليم الي الاقدار وأما ملك المحافظة علي الحرمات فانه يقوم بامور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة علي المروءة ويكون جامعا بين العلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم اعوجاجه بحد الحسام وينشر العدل في جميع الانام وأما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذي ولاه فمآل ملكه الي الدمار ونهاية عتوه الي دار البوار وقالت الحكماء الملك يحتاج الي كثير من الناس وهم محتاجون الي واحد ولاجل ذلك وجب ان يكون عارفا باختلافهم ليرد اختلافهم الى أوفاقهم ويعمهم بعدله ويغمرهم بفضله واعلم أيها الملك ان ازدشير وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعا وقسمها على أربعة أقسام وجعل له من أجل ذلك أربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والمحامات وكتب عليه بالنيابات الثانى خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل واستمرت هذه الرسوم فى الفرس الي أن ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه وهو فى جيشه لاتوسعن على جيشك فيستغنوا عنك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد انها قالت ان كسرى كتب لابنه وهو فى جيشه لاتوسعن علي جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء مقتصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروي ان اعرابيا جاء الى المنصور وقال له أرجع كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابى لما سمع منه هذا الكلام فقال له أبو العباس الطوسى أخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم انها كلمة لا تخطيء وأمر للاعرابى بعطية واعلم أيها الملك أنه كتب عبد الملك ابن مروان لاخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه الى مصر تفقد كتابك وحجابك فان الثابت يخبرك عنه كتابك والترسيم تعرفك به حجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب اذا استخدم خادما شرط عليه أربعة شروط ان لا يركب البراذين وان لا يلبس الثياب النفيسه وان لا يأكل من الفيء وان لا يؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لا مال أجود من العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كالفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلا وقال على رضى الله عنه اتقوا أشرار الناس وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن فى أمر ولا تضيقوا عليهن فى معروف حتى لا يطمعن فى المنكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضى الله عنه النساء ثلاثة امرأة مسلمة نقية ودود تعين بعلها على الدهر

ولا تعين الدهر على بعلها وأخرى ترادللولد لا تزيد على ذلك وأخرى يجعلها الله غلا في عنق من يشاء والرجال أيضا ثلاثة رجل عاقل اذا أقبل على رأيه وآخر أعقل منه وهو من اذا نزل به أمر لا يعرف عاقبته فيأتي ذوي الرأي فينزل عن ارائهم وآخر حائر لا يعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لا بد منه في كل الأشياء حتى ان الجواري يحتجن الى العدل وضربوا الذلك مثلا قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الأخلاق الكرام وحسن الخلق وما أحسن قول الشاعر

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير

وقال آخر

ففي الحلم اتقان وفي العفو هيبة وفي الصدق منجاة لمن كان صادقا
ومن يلتمس حسن الثناء بماله يكن بالندى في حلبة المجد سابقا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا أحدا تكلم في باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيئا من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت وأما باب الادب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق ان بني تميم وفدوا على معاوية ومعهم الاحنف بن قيس فدخل حاجب معاوية عليه ليستأذنه لهم في الدخول فقال يا أمير المؤمنين ان أهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية انظر من بالباب فقال بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معاوية اقرب مني يا أبا بحر بحيث أسمع كلامك ثم قال يا أبا بحر كيف رأيك لي قال يا أمير المؤمنين فرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة وأدم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد انها قالت ان الاحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وأدم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قال اوطيء قدمي على الأرض وانقلهم على تمهل واراعيها بعيني قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال اطرق حياء وابدأ بالسلام وادع مالا يعنيني واقل الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال استمع لهم اذا قالوا ولا أجول عليهم اذا جالوا قال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال اسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة فان قربوني قربت وان بعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفني من هذا يا أمير المؤمنين قال اقسمت عليك ان تخبرني قال أحسن الخلق وأظهر العشرة وأوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع أعوج قال فما رأيك اذا أردت ان تجامعها قال أكلمها حتى تطيب نفسها والثمها حتى تطرب فان كان الذي تعلم طرحتها على ظهرها وان استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها أحسن تصوير ثم أقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء علي يدي ثم أصبه على جسدي ثم أحمد الله على

ما أعطانى من النعم فقال معاوية أحسنت فى الجواب فقل حاجتك فقال حاجتي ان تتق الله فى الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لولم يكن بالعراق الا هذا لكفى ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا علي بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٠) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر يوما فأعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان أعطيته الدرهم انصرفت الى بيتى فبينما أنا جالس واذا برسول عمر جاءنى فذهبت معه وتوجهت اليه فاذا الدرهم فى يده وقال لى ويحك يامعيقب انى قد وجدت فى نفسك شيأ قلت وماذلك ياأمير المؤمنين قال انك تخاصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى أبى موسى الاشعرى كتابا مضمونه اذا جاءك كتابى هذا فاعط الناس الذى لهم واحمل مابقى ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب الى موسى ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدى عثمان جاء ولد فاخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان مايبكيك قال اتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فاخذ ابنه درهما فامر بنزعه من يده وابنك أخذ فلم أرأحدا ينزعه منه أويقول له شيئا فقال عثمان واين نلقى مثل عمر وروى زيد بن أسلم عن أبيه انه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تضرم فقال يا أسلم انى أحسب هؤلاء ركبا اضربهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى أتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون فقال عمر السلام عليكم أصحاب الضوء وكره ان يقول أصحاب النار مابالكم قالت اضر بنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء يضاغون قالت من الجوع فقال فما هذه القدر قالت ماء أسكتهم به وان عمر بن الخطاب ليسأله الله يوم القيامة قال ومايدرى عمر بحالهم قالت كيف يتولى أمور الناس ويغفل عنهم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨١) قالت بلغنى أيها الملك السعيد قال اسلم فاقبل عمر على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الصرف فاخرج عدلا فيه دقيق وأناء فيه شحم ثم قال حملنى هذا فقلت أنا أحمله عنك ياأمير المؤمنين فقال أتحمل عن وزرى يوم القيامة فحملته اياه وخرجنا نهرول حتى ألقينا ذلك العدل عندها ثم أخرج من الدقيق شيئا وجعل يقول للمرأة زردى الى وكان ينفخ تحت القدر وكانت ذا لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ وأخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم وأنا ابردلهم ولم يزالوا كذلك حتى أكلوا وشبعوا وترك الباقى عندها ثم أقبل على وقال يا أسلم انى رأيت الجوع أبكاهم فاحببت ان لا أنصرف حتى يتبين لى سبب الضوء الذى رأيته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٢) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل أن عمر مر براع مملوك فابتاع منه شاة فقال له انها ليست لى فقال أنت القصد فاشتراه ثم اعتقه وقال اللهم كما رزقتنى العتق الاصغر

أرزقني العتق الاكبر وقيل أن عمر بن الخطاب يطعم الحليب للخدم ويأكل اللبن ويكسوهم الغليظ ويلبس الخشن ويعطي الناس حقوقهم ويزيد في عطائهم واعطى رجلا أربعة آلاف درهم وزده الفافقيل أما تزيد ابنك كما زدت هذا قال أثبت والده يوم أحد وقال الحسن اتى عمر بمال كثير فاتته حفصة وقالت له ياأمير المؤمنين حق قرابتك فقال ياحفصة انما أوصى الله بحق قرابتي من مالي وأما مال المسلمين فلا ياحفصة قد أرضيت قومك واغضبت اباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الى ربي سنة من السنين أن يريني أبي حتى رأيته يمسح العرق عن جنبيه فقلت له ماحالك ياوالدي فقال لولا رحمة ربي لهلك أبوك قالت نزهة الزمان اسمع أيها الملك السعيد الفصل الثاني من الباب الثاني وهو باب الأدب والفضائل وماذكر فيه من أخبار التابعين والصالحين قال الحسن البصري لاتخرج نفس آدم عن الدنيا إلا وهو يتأسف على ثلاثة أشياء عدم تمتعه بما سمع وعدم ادراكه لما أمل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان متى ابتلى صبر ومتى أعطي شكر وقيل لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة أحضر ولده محمدا فأوصاه وقال له يابني اني لا أرى داعي الموت قد دعاني فاتق ربك في السر والعلانية واشكر الله على ماأنعم وأصدق في الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد في الميعاد . وادرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله بن شداد صار يوصي ولده بأن التقوى خير زاد في الميعاد كما قال بعضهم

ولست أري السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد حقا وعند الله تلقى ماتريد

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الاول قيل لها وماهي قالت لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأرسلت اليه قائلة أنه لا بد من لقائك ثم أتته ليلا فأنزلها عن دابتها فلما أخذت مجلسها قال لها ياعمة أنت أولى بالكلام لان الحاجة لك فأخبريني عن مرادك فقالت ياأمير المؤمنين انت أولى بالكلام ورأيك يستكشف مايخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا لقوم آخرين ثم اختار له ماعنده فقبضه اليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز أن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا لقوم آخرين ثم اختار له ماعنده فقبضه اليه وترك للناس نهرا يروي عطاشهم ثم قال ابو بكر خليفة بعده فأجرى النهر مجراه وعمل ما يرضي الله ثم قام عمر بعد أبي بكر فعمل خير أعمال الابرار واجتهد اجتهادا مايقدر احد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولي معاوية فاشتق منه يزيد و بنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الامر الي

فأحببت أن أرد النهر الى ما كان عليه فقالت قد أردت كلامك ومذ كراتك فقط فان كنت هذه مقالتك فلست بذا كرة لك شيئاً ورجعت الى بني امية فقالت لهم ذوقوا عاقبة أمركم بتزويجكم الى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع أولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين كيف تترك أولادك فقراء وأنت راعيهم فما يمنعك أحد في حياتك من أن تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا أولى من أن ترجعه الى الوالي بعدك فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم أيام حياتي فكيف أشقى بهم في مماتي ان أولادي ما بين رجلين أما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنه وأما عاص فما كنت لا عينه على معصيته يا مسلمة اني حضرت واياك حين دفن بعض بني مروان فحملتني عيني فرأيته في المنام أفضى الى أمر من أمور الله عز وجل فهالني وراعني فعاهدت الله أن لا اعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حياتي وارجو أن أفضي الى عفو ربي قال مسلمة بقي رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة فيها أنهار جارية وعليه ثياب بيض فاقبل علي وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقات كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع فرأيت مع غنمه ذئباً أو ذئاباً فظننت انها كلاب ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلاباً بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرها فقال اذا اصلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من طين فحمد الله وأثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال أيها الناس أصلحوا اسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا أمر دنياكم واعلموا أن الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي في الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا أمير المؤمنين لو علمنا لك متكئاً لتقعد عليه قليلاً فقال أخاف أن يكون في عنقي منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشياً فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان انظروا هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى افاق من غشيته فرآها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فتذكرت مصرعك بين يدي الله عز وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي ابكانا فقال حسبك يا فاطمة فلقد ابلغت ثم أراد القيام فنهض فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك كلنا ثم أن نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٥٨) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهي لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الاول اتفق انه كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم أما بعد فاني أشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر اني ابرأ في ظلمكم وعدوان من اعتدي عليكم أن أكون أمرت بذلك أو تعمدته أو يكون أمر من أموره بلغني أو أحاط به علمي وأرجو أن يكون لذلك موضع من الغفران إلا أنه لا اذن مني بظلم أحد فاني مسئول

عن كل مظلوم الا وأي عامل من عمالي زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا له طاعة عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضي الله تعالى عنه ما احب أن يخفف عني الموت لانه آخر يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثنى عشر درهما فأمر بوضعهما في بيت المال قلت يا أمير المؤمنين انك افقرت أولادك وجعلتهم عيالا لا شيء عندهم فلو أوصيت اليهم بشيء والى من هو فقير من أهل بيتك فقال ادن مني فدنوت منه فقال أما قولك أفقرت أولادك فأوص اليهم أوالي من هو فقير من أهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي على أولادي وعلى من هو فقير من أهل بيتي وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا واما رجل معتكف على المعاصي فاني لم أكن لاقويه على معصية الله ثم بعث اليهم وأحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكرا فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال ان أباكم مابين أمرين اما أن تستغنوا فيدخل أبوكم النار وأما ان تفتقروا فيدخل أبوكم الجنة ودخول أبيكم الجنة أحب اليه من أن تستغنوا اقدموا فقد وكلت أمركم الي الله وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل في أرض وضرب له خياما فلما أخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت عيني في عينه قلت له تمم الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالطه سرور كدر اذى يا أمير المؤمنين اني أجد لك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك في عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما انا فيه وهل أعطي أحد مثل ما أعطيته وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه فقال ايها الملك انك سألت عن أمر عظيم أتأذن لي في الجواب عنه قال نعم قال رأيت الذي انت فيه لم يزل زائلا فقال هو شيء زائل قال فمالي أراك قد اعجبت بشيء تكون فيه قليلا وتسئل عنه طويلا وتكون عنه حسابه مرتهنا قال فأين المهرب وأين المطلب قال أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى أو تلبس أطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فاذا كان السحر فاني قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بل لحيته وامر بنزع ما عليه ولزم قصره فأتت الموالي والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا اهكذا فعلت بأمير المؤمنين افسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح واني لا اعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٦٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح واني لا اعجز عن الاتيان لك بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خيرا فقالت القضاة أيها الملك ان هذه الجارية أعجوبة الزمان ويتيمة

العصر والاوان فاننا ما رأيناه ولا سمعنا بمثلها فى زمن من الازمان ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدمه وقال لهم اشرعوا فى عمل العرس وهيؤا الطعام من جميع الالوان فامتثلوا أمره فى الحال وهيؤا جميع الاطعمة وأمر نساء الامراء والوزراء وأرباب الدولة لم ينصرفوا حتى يحضر واجلاء العروس فما جاء وقت العصر حتى مدوا السفرة مما تشتهى الانفس وتلذ الاعين واكل جميع الناس حتى اكتفوا وأمر الملك ان تحضر كل مغنية فى دمشق فحضرن وكذلك جوارى الملك اللاتى يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما اتى المساء واظلم الظلام اوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان واخذت المواشط الصبية ليزينها ويلبسنها فرأينها لا تحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها وأوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان واخذ وجهها وعلقت منه فى تلك الليلة واعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وأمر الحكماء ان يكتبوا تاريخ الحمل فلما أصبح جلس على الكرسى وطلع له أرباب دولته وهنؤه واحضر كاتب سره وأمره أن يكتب كتابا لوالده عمر النعمان بانه اشترى جارية ذات علم وأدب قد حوت فنون الحكمة وانه لابد من ارسالها الى بغداد لتزور اخاه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانه اعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وأرسله الى أبيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع اليه بالجواب وناوله فاخذه وقراه فاذا فيه البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذى فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر النعمان الى ولده شركان اعلم انه بعد مسيرك من عندى ضاق على المكان حتى لا استطيع صبرا ولا اقدر أن اكتم سرا وسبب ذلك انى ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب منى الذهاب الى الحجاز فخفت عليه من نوائب الزمان ومنعته من السفر الى العام الثانى أو الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما أتيت وجدت أخاك واختك أخذا شيئا من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك ضاق بى الفضاء وقد انتظرت مجىء الحجاج لعلهما يجيآن فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبرنى أحد بخبرهما فلبست لاجلهما ثياب الحزن وانا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم أنشد هذين البيتين

خيالهما عندى ليس بغائب ❊ جعلت له القلب أشرف موضع

ولولا رجاء العود ماعشت ساعة ❊ ولولا خيال الطيف لم اتهجع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك اعرفك انك لا تتهاون فى كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على حزن أبيه وفرح لفقد أخته وأخيه وأخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها أخته وهى لا تعلم انه أخوها مع انه يتردد عليها الليل

ونهارا الى أن كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهل الله عليها الولادة وولدت بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمها ما تريد فان عادة الناس أن يسموا أولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التي جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه في الخرزة حتى عرفها حق المعرفة ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من أين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له انا سيدتك وسيدة كل من في قصرك أما تستحي وانت تقول ياجارية وأنا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان انا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الأرض وعرف انها أخته من أبيه فغاب عن الدنيا فلما أفاق صار يتعجب ولكنه لم يعرفها بنفسه وقال لها ياسيدتي هل أنت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وما سبب فراقك لابيك وبيعك فحكت له جميع ما وقع لها من الأول الى الآخر واخبرته انها تركت أخاها مريضاً في بيت المقدس واخبرته باختطاف البدوي لها وبيعه اياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها أخته من أبيه وقال في نفسه كيف أتزوج بأختي لكن انا ازوجها لواحد من حجابي واذا ظهر أمر ادعي انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يانزهة الزمان أنت أختي حقيقة وأستغفر الله من هذا الذنب الذي وقعنا فيه فانني أنا شركان ابن الملك عمر النعمان فنظرت اليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما اقول لابي وأمي اذا قالا لي من أين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأي عندي أن أزوجك بالحاجب وأدعك تربي بنتي في بيته بحيث لا يعلم أحد بانك أختي وهذا الذي قدره الله علينا الامر اراده فلم يسترنا إلا زواجك بهذا الحاجب قبل أن يدري أحد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل راسها فقالت له وما تسمي البنت قال اسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها إلى بيته هي وبنتها فربوها على اكتاف الجواري وواظبوا عليها بالاشربة وانواع السفوف هذا كله وأخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق انه أقبل في يوم من الايام من عند الملك عمر النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب فأخذه وقراه فرأى فيه بعد البسملة اعلم أيها الملك العزيز اني حزين حزنا شديدا على فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد أرسلت هذا الكتاب اليك حال حصوله بين يديك ترسل الينا الخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فاني أحببت أن أراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد أبكار وقد حازوا من العلم والأدب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن أنواع العلم والفضيلة

والحكمة فلما رأيتهن احببتهن وقد اشتهيت أن يكن فى قصرى وفى ملك يدى لانه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا أبيعهن الا بخراج دمشق وانا والله أرى خراج دمشق قليلا فى ثمنهن فان الواحدة منهن تساوى أكثر من هذا المبلغ فاجبتها إلى ذلك ودخلت بهن قصرى وبقين فى حوزتى فعجل لنا بالخراج لاجل أن تسافر المرأة بلادها وأرسل لنا الجارية لاجل أن تناظرهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه وأرسل لنا الجارية لاجل أن تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن أرسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان أقبل على صهره وقال له هات الجارية التى زوجتك إياها فلما حضرت أوقفها على الكتاب وقال لها يا أختى ما عندك من الرأي فى رد الجواب قالت له الرأى رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت إلى أهلها ووطنها أرسلنى صحبة زوجي الحاجب لاجل أن أحكى لابي حكايتى وأخبره بما وقع لى مع البدوى الذى باعنى للتاجر وأخبره بان التاجر باعنى لك وزوجتنى للحاجب بعد عتقى فقال لها شركان وهو كذلك ثم أخذ ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع فى تجهيز الخراج وأمر الحاجب أن يأخذ الخراج والجارية صحبته ويتوجه الى بغداد فاجابه الحاجب بالسمع والطاعة فامر بمحفة يجلس فيها وللجارية بمحفة أيضا ثم كتب كتابا وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد أخذ منها الخرزة وجعلها فى عنق ابنته فى سلسلة من خاص الذهب ثم سافر الحاجب فى تلك الليلة فاتفق أنه خرج ضوء المكان هو والوقاد فى تلك الليلة يتفرجان فرأيا جمالا وبغالا ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقيل له هذا خراج دمشق مسافر الى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذى تزوج الجارية التى تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدا وتذكر أمه وأباه وأخته ووطنه وقال للوقاد ما بقى لى قعود هنا بل أسافر مع هذه القافلة وأمشى قليلا قليلا حتى أصل إلى بلادي فقال له الوقاد أنا ما آمنت عليك فى القدس الى دمشق فكيف آمن عليك الى بغداد وأنا أكون معك حتى تصل إلى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد فى تجهيز حاله ثم شد الحمار وجعل خرجه عليه ووضع فيه شيأ من الزاد وشد وسطه وما زال على أهبة حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معى فقال لا أركب ولكن أكون فى خدمتك فقال ضوء المكان لا بد أن تركب ساعة فقال اذا تعبت أركب ساعة ثم ان ضوء المكان قال للوقاد يا أخى سوف تنظر ما أفعل بك اذا وصلت الى أهلى وما زالوا مسافرين الى أن طلعت الشمس فلما اشتد عليهم الحر أمرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم أمرهم بالمسير وبعد خمسة أيام وصلوا الى مدينة حماة ونزلوا بها وأقاموا بها ثلاثة أيام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنهم أقاموا فى مدينة حماة ثلاثة أيام ثم سافروا

وماز الوامسافرين حتى وصلوا مدينة أخرى فاقاموا بها ثلاثة أيام ثم سافروا حتى وصلوا الى ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان أخته نزهة الزمان وأباه وأمه ووطنه وكيف يرجع الى أبيه بغير أخته فبكى وأن واشتكى واشتدت به الحسرات فانشد هذه الابيات

خليلي كم هذا التأني واصبر ولم ياتني منكم رسول يخبر
الا أن أيام الوصال قصيرة فياليت أيام التفرق تقصر
خذوا بيدى ثم ارحموا لصبابتي تلاشي بها جسمي وان كنت أصبر
فان تطلبوا مني سلوا أقل لكم فوالله ما أسلوا الى حين أحشر

فقال له الوقاد أترك هذا البكاء والانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادي شيأ من الشعر لعل نار قلبي تنطفىء فقال له الوقاد بالله عليك أن تترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ماشئت وأنا معك حيثما كنت فقال ضوء المكان والله لا أفتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيئا وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لانها تذكرت أخاها ضوء المكان فقلقت وصارت تبكى فبينما هى تبكى اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكى وينشد هذه الابيات

لمع البرق اليماني * فشجاني ماشجاني * من حبيب كان عندى
ساقيا كأس التهاني * وميض البرق هل تر * جع أيام التداني
ياعذولى لا تلمني * ان ربي قد بلاني * بحبيب غاب عني
وزمان قد دهاني * قد نأت نزهة قلبي * عند ما ولى زماني
وحوى لى الهم صرفا * وبكأس قد سقاني * وأراني يا خليلي
مت من قبل التداني * يازمانا للتصابي * عد قريبا بالاماني
فى سرور مع أمان * من زمان قد رماني * من لمسكين غريب
بات مرعوب الجنان * صارفى الحزن فريدا * بعد نزهات الزمان
حكمت فينا برغم * كف. أولاد الزواني

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة فى تلك الليلة لانها تذكرت أخاها فى ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقال لها ماحاجتك فقالت له قم وائتني بالذي ينشد الاشعار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩١) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من أخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها انى لم أسمعه ولم أعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار ففتش فلم يجد مستيقظا سوى الرجل الوقاد وأما ضوء المكان فانه كان فى غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على

رأسه خاف منه فقال له الخادم هل أنت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد أن السيدة اغتاظت من الانشاد فخاف وقال والله ما هو أنا فقال له الخادم ومن الذي كان ينشد الشعر فدلني عليه فانك تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال فى نفسه ربما يضره الخادم بشيء فقال له لم أعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فانه ما هنا قاعد الا أنت فأنت تعرفه فقال له الوقاد أنا أقول لك الحق ان الذى كان ينشد الاشعار رجل عابر طريق وهو الذى أزعجنى وأقلقنى فالله يجازيه فقال له الخادم فاذا كنت تعرفه فدلنى عليه وأنا أمسكه وآخذه الى باب المحفة التى فيها سيدتنا وامسكه أنت بيدك فقال له اذهب أنت حتى آتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل وأعلم سيدته بذلك وقال ما أحد يعرفه لانه عابر سبيل فسكتت ثم ان ضوء المكان لما أفاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم الاسحار فهيج فى قلبه البلابل والاشجان فحسن صوته وأراد أن ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد أن تصنع فقال اريد أن أنشد شيأ من الشعر لاطفىء به لهيب قلبي قال له أما علمت بما جرى لى وما سلمت من القتل الا بأخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وماذا جرى فاخبرنى بما وقع فقال يا سيدى قد أتاني الخادم وأنت مغشي عليك ومعه عصا طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الاشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيري فسألنى فقلت له انه عابر سبيل فانصرف وسلمنى الله منه والا كان قتلنى فقال لى اذا سمعته ثانيا فائت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكي وقال من يمنعني من الانشاد فأنا انشد ويجرى على ما يجرى فاني قريب من بلادي ولا أبالى بأحد فقال له الوقاد أنت ما مرادك الا اهلاك نفسك فقال له ضوء المكان لا بد من انشاد فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني وبينك من هنا وكان مرادى أن لا أفارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بابيك وأمك وقد مضى لك عندى سنة ونصف وما حصل لك منى ما يضرك فما سبب انشادك الشعر ونحن فى غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا يستريحون من التعب ومحتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا ارجع عما أنا فيه ثم هزته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات

قف بالديار وحى الاربع الدرسا ... ونادها فعساها ان تجيب عسى
فان أجنك ليل من توحشها ... أوقد من الشوق فى ظلماتها قبسا
ان صل صل عذاريه فلا عجب ... ان يجن لسعا وان اجتني لعسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة ... لولا التأسى بدار الخلد مت أسى

وانشد ايضا هذين البيتين

كنا وكانت لنا الايام خادمة ... والشمل مجتمع فى أبهج الوطن
من لى بدار أحبابى وكان بها ... ضوء المكان وفيها نزهة الزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت

نزهة الزمان ما أنشده من الاشعار المتضمنة لذكر اسمها واسم اخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت ويلك ان الذى انشد أولا انشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تاتيني به لانبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه الالف دينار واعطيه اياها وائتني به برفق فان أبى فادفع له هذا الكيس الذى فيه الف دينار فان أبى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن أى البلاد هو وارجع الى بسرعة ولا تغب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان أرسلت الخادم يفتش عليه وقالت له اذا وجدته فلاطفه وائتنى به برفق ولا تغب فخرج الخادم يتأمل فى الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد أحدا مستيقظا فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له أنت الذى كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يامقدم القوم ماهو أنا فقال الخادم لا أتركك حتى تدلنى على من كان ينشد الشعر لانى لا أقدر على الرجوع الي سيدتى من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدا وقال للخادم والله ماهو أنا وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل فى خطيئتى فاني غريب وجئت من بلاد القدس فقال الخادم للوقاد قم أنت معي الى سيدتي واخبرها بفمك فاني مارأيت أحدا مستيقظا غيرك فقال الوقاد أما جئتُ ورأيتنى فى الموضع الذي أنا قاعد فيه وعرفت مكاني وما أحد يقدر أن ينفك عن موضعه الا أمسكته الحرس فامض أنت الى مكانك فان بقيت تسمع أحدا في هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا أو قريبا لا تعرفه الا مني ثم باس رأس الخادم وأخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف أن يرجع الي سيدته بلا فائدة فاستتر فى مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد الى ضوء المكان ونبهه وقال له قم اقعد حتى أحكي لك ماجري وحكى له ماوقع فقال له دعنى فانى لا أبالي بأحد فان بلادى قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاي شيء أنت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف من أحد وأنا خائف على روحي وروحك بالله عليك انك لا تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك وأنا ما كنت أظنك على هذه الحالة أما علمت أن زوجة الحاجب تريد زجرك لانك أقلقتها وكأنها ضعيفة أو تعبانة من السفر وكم مرة وهى ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وانشد هذه الابيات

تركت كل لائم	ملامه أقلقنى
يعذلنى وما دري	بانه حرضنى
قال الوشاة قد سلا	قلت لحب الوطن
قالوا فما أحسنه	قلت فما أعشقني
قالوا فما أعزه	قلت فما أذلنى
هيهات أن أتركه	لوذقت كاس الشجن

وما أطعت لائما لى فى الهوى يعذلني

وكان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر ووقف بعيدا ينظر مايقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم ياسيدى فقال ضوء المكان عليكم السلام

ور حمة الله و بركاته فقال الخادم ياسيدى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفى ليلة ٩٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الخادم قال لضوء المكان ياسيدى انى اتيت اليك فى هذه الليلة ثلاث مرات لان سيدتى تطلبك عندها قال ومن أين هذه الكلبة حتى تطلبنى مقتها الله ومقت زوجها معها ونزل فى الخادم شتما فما قدر الخادم أن يرد عليه جوابا لان سيدته أوصته أنه لا يأتى به الا عن اراده هو فان لم يأت معه يعطيه الالف دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له ياولد أنا ما أخطأت معك ولا جرنا عليك فالقصد أن تصل بخطواتك الكريمة الى سيدتنا وترجع فى خير وسلامة ولك عندنا بشارة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس والوقاد ماشى خلفه وناظر اليه ويقول فى نفسه ياخسارة شبابه فى غد يشنقونه ومازال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وقال ما أخسه ان كان يقول على هو الذى قال لى انشد الاشعار هذا ما كان من أمر الوقاد (وأما) ما كان من أمر ضوء المكان فانه ما زال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه أثر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له أؤمره ان ينشد شيئا من الشعر حتى أسمعه من قرب و بعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن أى البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له انشد شيئا من الشعر حتى تسمعه سيدتى فانها حاضرة بالقرب منك واخبرنى عن اسمك و بلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن حيث سألتنى عن اسمى فانه محى ورسمى فنى وجسمى بلى ولى حكاية تكتب بالابر على آماق البصر وها أنا فى منزلة السكران الذى اكثر من الشراب وحلت به الاوصاب فتاه عن نفسه واحتار فى أمره وغرق فى بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت فى البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت أحدا ممن تحب مثل أمك وأبيك فسأله الخادم كما أمرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع وأعزهم عندى أختى التى فرق الدهر بينى و بينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شمله بمن يحب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له اسمعنا شيئا من الاشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما أمرته سيدته فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

ليت شعرى لودروا ... أى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى ... أى شعب سلكوا
اتراهم سلموا ... أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى ... فى الهوى وارتبكوا

وأنشد أيضا هذه الابيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب دنيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا ... بان نغص فقال الدهر آمينا

ان الزمان الذي مازال يضحكنا   أنسا بقربكم قد عاد يبكينا
ياجنة الخلد بدلنا بسلسلها   والكوز العذب زقوما وغسلينا

ثم سكب العبرات وأنشد هذه الابيات

لله نذران أزر مكانى   وفيه أختى نزهة الزمانى
لاقضين بالصفا زمانى   مابين غيدى خرد حسانى
وصوت عود مطرب الالحان   مع ارتضاع كأس بنت الحان
ورشف اللمى فاتر الاجفان   بشط نهر سال فى بستانى

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت زيل الستارة عن المحفة ونظرت اليه فلما وقع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة يا أخي ياضوء المكان فرفع بصره اليها فعرفها وصاح قائلا يا اختي يا نزهة الزمان فالقت نفسها عليه فتلقاها في حضنه ووقع الاثنان مغشيا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب في أمرهما والقى عليهما شيئا سترهما به وصبر عليهما حتى أفاقا فلما أفاقا من غشيتهما وفرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وأنشدت هذه الابيات

الدهر أقسم لا يزال مكدرى   حنثت يمينك يازمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدى   فانهض الى داعى السرور وشمر
ما كنت أعتقد السوالف جنة   حتى ظفرت من اللمى بالكوثر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم أخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من أجفانه العبرات وأنشد هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا   ندما أفاض الدمع من أجفانى
ونذرت ان عاد الزمان يلمنا   لاعدت أذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى انه   من فرط ماقد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة   تبكين من فرح ومن أحزان

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم ادخل المحفة واحك لي ماوقع لك وأنا احكى لك ماوقع لى فقال ضوء المكان احكي لى أنت أولا فحكت له جميع ماوقع لها منذ فارقته من الخان وماوقع لها من البدوى والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف أخذها التاجر الى اخيها شركان وباعها له وان شركان أعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وان الملك أباها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذى من على بك ومثل ماخرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له ان أخي شركان زوجني بهذا الحاجب لأجل ان يوصلني الى والدى وهذا ماوقع لى من الاول الى الآخر فاحك لى أنت ماوقع لك بعد ذهابي من عندك فحكى لها جميع ماوقع له من الاول الى الآخر وكيف من الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وانفق عليه ماله وانه كان يخدمه في الليل والنهار فشكرته على

ذلك ثم قال لها يا أختي ان هذا الوقاد فعل معي من الاحسان فعلا لا يفعله أحد في أحد من احبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع و يطعمني و يمشي و يركبني وكانت حياتي على يديه فقالت نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان فقالت له نزهة الزمان خذ بشارتك يا وجه الخير لانه جمع شملي باخي على يديك فالكيس الذي معك وما فيه لك فاذهب وائتني بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه و دعاه الى سيدته فاتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها أخاها فسأل عنه فحكت له ما وقع لهما من أوله الى آخره ثم قالت اعلم أيها الحاجب انك ما أخذت جارية وانما أخذت بنت الملك عمر النعمان فانا نزهة الزمان وهذا أخي ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ما قالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر الملك عمر النعمان فقال في نفسه مصيري ان آخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم أقبل على ضوء المكان و هنأه بسلامته وجمع شمله باخته ثم امر خدمه في الحال ان يهيئوا لضوء المكان خيمة وركوبة من أحسن الخيول فقالت له زوجته انا قد قربنا من بلادنا فانا أختلي باخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل ان نصل الى بلادنا فان لنا زمانا طويلا ونحن متفرقون فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم ارسل اليهما الشموع وأنواع الحلاوة وخرج من عندهما وأرسل الى ضوء المكان ثلاث بدلات من أفخر الثياب وتمشى الى ان جاء الى المحفة وعرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الى الخادم وامره ان يأتي بالوقاد و يهيىء له حصانا يركبه ويرتب له سفرة طعام في الغداة والعشي و يأمره ان لا يفارقنا فعند ذلك أرسل الحاجب الى الخادم وامره ان يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم اخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد الى ان وجده في آخر الركب وهو يشد حماره و يريد ان يهرب ودموعه تجري على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول نصحته في سبيل الله فلم يسمع مني يا ترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوقاد لما أراد أن يشد حماره و يهرب وصار يكلم نفسه و يقول يا ترى كيف حاله فما تم كلامه الا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فاظن انه غمز الخادم و هؤلاء الغلمان علي وانه اشركني معه في الذنب واذا بالخادم صاح عليه وقال له من الذي كان ينشد الاشعار يا كذاب كيف تقول لي انا ما أنشد الاشعار ولا أعرف من أنشدها وهو رفيقك فانا لا أفارقك من هنا الى بغداد والذي يجري على رفيقك يجري عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال في نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم أنشد هذا البيت .

كان الذي خفت أن يكونا ✽ انا الى الله راجعونا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال لهم انزلوه عن الحمار فانزلوا الوقاد عن حماره واتوا له بحصان

فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن اكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت الى الخادم وقال له يامقدم انا مالي اخوة ولا أقارب وهذا الشاب لا يقرب لي ولا أنا أقرب له وانما انا رجل وقاد في حمام ووجدته ملقى على المزبلة مريضا وصار الوقاد يبكي ويحسب في نفسه الف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشيء بل يقول له قد أقلقت سيدتنا بانشادك الشعر أنت وهذا الصبي ولا تخف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرا واذا نزلوا أتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة فاذا أكلوا أمر الخادم الغلمان أن يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لا تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ماوقع لهما في غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لأجل خدمة ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وصارت نزهة الزمان وأخوها ضوء المكان في حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الاثلاثة أيام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين الى ان لاح الفجر فاستيقظوا وأرادوا أن يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم وأظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجي فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وسار وانحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات وأعلام وطبول وفرسان وأبطال فتعجب الحاجب من أمرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس واتوا الى الحاجب هو ومن معه وأحاطوا بهم وأحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب أي شيء الخبر ومن أين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من أنت ومن أين أتيت والى اين تتوجه فقال لهم انا حاجب أمير دمشق الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض خراسان أتيت من عنده بالخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه ارخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر النعمان قد مات وما مات الا مسموما فتوجه وما عليك باس حتى تجتمع بوزيره الأكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال واخيبتاه في هذه السفرة وصار يبكي هو ومن معه الى ان اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له الوزير دندان فاذن له وأمر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وامر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فاعلمه انه حاجب أمير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى أوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الأربعة واتفق جميع الناس على ان ما أشار به القضاة الأربعة لا يخالفهم فيه أحد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنه على مملكة أبيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله أخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى

أرض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما أحد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم ان القضية التى وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت الملك غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد فى مكان أبيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٦) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبر الملك عمر النعمان تأسف الى الوزير دندان وقال ان قصتكم من أعجب العجائب اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صادفتمونى الآن أراحكم الله من التعب وقد جاء الامر كما تشتهون على أهون سبب لأن الله رد اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الأمر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرنى بقصتهما وبما جرى لهما و بسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من أوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه أرسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا فى خدمته وقبلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل فى ذلك اليوم ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على التخت و بين أيديهما جميع الامراء والكبراء وأرباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر فى ماء الورد وشربوا ثم قعد الامراء للمشورة واعطوا بقية الجيش اذنا فى أن يركبوا مع بعضهم و يتقدموا قليلا قليلا حتى يتموا المشورة و يلحقوهم فقبلوا الأرض بين يدى الحاجب و ركبوا وقدامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم أرسل الحاجب الى الوزير دندان وقال له ان الرأى عندى ان أتقدم واسبقكم لأجل ان أهيئ للسلطان مكانا يناسبه واعلمه بقدومكم وانكم اخترتموه على أخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأى الذى رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له التقاديم واقسم عليه ان يقبلها وكذلك الامراء الكبار وأرباب المناصب قدموا له التقاديم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان فى أمرنا ليبقينا مستمرين فى مناصبنا فاجابهم لما سألوه ثم امر غلمانه بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وامر الفراشين ان ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره وركب الحاجب وهو فى غاية الفرح وقال فى نفسه ما ابرك هذه السفرة وعظمت زوجته فى عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد فى السفر الى ان وصل الى مكان بينه و بين المدينة مسافة يوم ثم امر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وامر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان فى ان يدخل عليها فاستأذنوها فى شأن ذلك فاذنت له فدخل عليها واجتمع بها و باخيها واخبرهما بموت ابيهما وان ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن ابيه عمر النعمان و هنأهما بالملك فبكيا على فقد ابيهما وسألا عن سببه

أقتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفي غد يكون هو والجيش كله في هذا المكان ومابقي في الأمر أيها الملك إلا أن تفعل ما اشاروا به لأنهم كلهم اختاروك سلطانا وإن لم تفعل سلطنوا غيرك وأنت لا تأمن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك أو يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من أيديكما فاطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلي عنه وتحقق أن الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب ياعم وكيف أعمل مع أخي شركان فقال ياولدي أخوك يكون سلطان دمشق وأنت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز أمرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وأمر الفراشين ان يختاروا موضعا عاليا وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم أمر الطباخين أن يطبخوا طعاما فاخرا ويحضروه وأمر السقايين ان ينصبوا احياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٠) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما أمر الفراشين ان ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من أشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهواء ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحوا بسلطنة ضوء المكان وقابلهم لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من في الخيام مشي في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت مماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في ايديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامر ان يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فاجابوه بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم أحسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنؤه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لا يخالفوا له أمرا ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة أخرى ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف الخبير ثم ان الحاجب خرج في تلك الساعة وامر بمد السماط وامر باحضار العسكر جميعا فحضروا وأكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أؤمر العسكر بالاقامة عشرة أيام حتى اختلي بك وتخبرني بسبب قتل أبي فامتثل الوزير قول السلطان وقال لا بد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة أيام فامتثلوا أمره ثم ان الوزير أعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولا يدخل أحد من ارباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة أيام فتضرع جميع الناس ودعوا

الضوء المكان بدوام العز ثم أقبل عليه الوزير واعلمه بالذى كان فصبر الى الليل ودخل على أخته نزهة الزمان وقال لها أعلمت بسبب قتل أبي ولم نعلم بسببه كيف كان فقالت لم اعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وامر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له أريد ان تخبرني تفصيلا بسبب قتل أبي الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر النعمان لما أتى من الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك وازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شادر ووارد فلم يخبره أحد عنكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد أبكار كانهن الاقمار وحوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز فى الدخول على الملك فاذن لها فدخلت عليه وقبلت الأرض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما رأى عليها آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده أقبلت عليه وقالت له اعلم أيها الملك ان معي خمسة جوار ما ملك أحد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهن بين يديك وواقفات فى خدمتك ياملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان فنظر المرحوم والدك الى الجوارى فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيئا مما تعرفه من أخبار الناس الماضيين و لامم السابقين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٨) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فتقدمت واحدة منهن وقبلت الأرض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغي لذى الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم أسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي ان تحسن خلقك مع الناس وان لاتعدل عن تلك السنة فان أعظم الناس خطرا أحوجهم الى التدبير والملوك أحوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض فى الامور من غير نظر فى العاقبة وان تبذل فى سبيل الله نفسك ومالك واعلم ان العدو خصم تخصمه بالحجة وتحرز منه وأما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من الاخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع الظاهر من الشرع عارفا بباطنه على حسن الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل أهل لان يهرب منه أبواه والكاذب لايكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذى يكون ناشئا عن صميم القلب فكيف به اذا أظهر الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ماتكره فانه ليس كالمرأة

يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا تصدع لا ينجبر ولله در القائل

احرص على صون القلب من الاذى فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وقالت الجارية فى آخر كلامها وهي تشير الينا ان أصحاب العقول قالوا خير الاخوان اشدهم في النصيحة وخير الاعمال أجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على أفواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد ان يغفل عن شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن أطاع الهوى ضيع الحقوق ومن أطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك ومن بالغ فى الخصومة أثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها أنا اذكر لك شيئا من آداب القضاة اعلم ايها الملك انه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبيت و ينبغي للقاضي أن يجعل الناس فى منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف فى الجور ولا ييأس ضعيف من العدل و ينبغي أيضا أن يجعل البينة على من ادعي واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أوحرم حلالا وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق فرع والرجوع الى الحق خير من التمادى على الباطل ثم اعرف الامثال وافقه المقال وسو بين الأخصام فى الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفا وفوض امرك الى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فان حضرت بينته أخذت بحقه والا فحلف المدعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى أمر الحكام ان تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضي ان يجتنب الالم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته وأصلح ما بينه و بين نفسه كفاه الله ما بينه و بين الناس وقال الزهري ثلاث إذا كن في قاض كان منعزلا اذا أكرم اللئام وأحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لم عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك أن مقالك أكبر من مقامك وحكى أن الاسكندر قال لقاضيه اني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرف فى عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدى الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلاثة لا تعرف الا فى ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس و المظلوم سليم وان ذمه الناس وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا و يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء

مانوى واعلم أيها الملك أن أعجب مافى الانسان قلبه لان به زمام أمره فان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا أمن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان أصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان أعضته فاقة أشغله الهم وان أجهده الجزع أقعده الضعف فعلى كل حالة لاصلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من أشر الناس حالا قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت فى المعالى همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما احسن ماقاله قيس

وانى لاغنى الناس عن متكلف ... يرى الناس ضلالا وما هو مهتدى
وما المال والاخلاق الا معارة ... فكل بما يخفيه فى الصدر مرتدى
اذا ماأتيت الامر من غير بابه ... ضللت وان تدخل من الباب تهتدي

ثم ان الجارية قالت واما اخبار الزهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ماحقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلا وآثر مايبقى على مايفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه فى الموتى وقيل ان اباذر كان يقول الفقر احب الى من الغنى والسقم احب الي من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله اباذر اما انا فاقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضى بالحالة التي اختارها الله له وقال بعض الثقات صلى بنا ابن ابى اوفى فى صلاة الصبح فقرأ ياايها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فخر ميتا ويروى ان ثابتا البناني بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال اعالجه بشرط ان يطاوعني قال ثابت فى اى شىء قال الطبيب فى ان لا تبكي قال ثابت فما فضل عيني ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله اوصني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٤٠٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصنى فقال أوصيك أن تكون فى الدنيا مالكا زاهدا وفى الآخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد فى الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان فى بنى اسرائيل قال أحدهما للآخر ماأخوف عمل عملته قال له انى مررت ببيت فراخ فأخذت منهم واحدة ورميتها فى ذلك البيت ولكن بيت الفراخ التى أخذتها منه فهذا أخوف عمل عملته فما أخوف ماعملته أنت قال أما انا فاخوف عمل أعمله انى اذا قمت الى الصلاة أخاف أن اكون لا أعمل ذلك الا للجزاء وكان أبوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من أفضل الاولاد وقال سعيد بن جبير صحبت فضالة بن عبيد فقلت له أوصنى فقال احفظ عنى هاتين الخصلتين أن لا تشرك بالله شيأ وأن لا تؤذى من خلق الله أحدا وأنشد هذين البيتين

كن كيف شئت فان الله ذو كرم ... وانف الهموم فما فى الامر من بأس

الا اثنتين فما تقربهما أبدا الشرك بالله والاضرار بالناس

وما أحسن قول الشاعر

اذا أنت لم يصحبك زاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان أرصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد أن تأخرت الثانية وقالت ان باب الزهد واسع جدا ولكن أذكر بعض ما يحضرني فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين أنا أستبشر بالموت ولا أتيقن فيه راحة غير اني علمت أن الموت يحول بين المرء و بين الأعمال فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيء وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد و بكى بكاء شديداً فقيل له لم ذلك فقال اني أريد أن أقبل على أمر عظيم وهو الانتصاب بين يدي الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان على زين العابدين بن الحسين يرتعد اذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال أتدرون لمن أقوم ولمن أخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثوري رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج و يصلي بالناس فيسكت و يبطيء وقال سفيان اذا كان يوم القيامة أتي باهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو أن النفس استقرت في القلب كما ينبغي لطار فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثوري أنه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها أنا أتكلم ببعض ما يحضرني من أخبار الصالحين روى أن بشر الحافي قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال أن يصلي احدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيآت وقال بعض العارفين التمست من بشر الحافي شيأ من سرائر الحقائق فقال يابني هذا العلم لا ينبغي أن نعلمه كل احد فمن كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال ابراهيم بن أدهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما انا اصلي واذا ببشر يصلي فقمت وراءه أركع الى أن يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال ياقوم احذروا الصدق الضار ولا بأس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الوجود وقال ابراهيم رأيت بشر سقط منه دانق فقمت اليه واعطيته درهما فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لي انا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروى أن أخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٠١) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان إن الجارية قالت لوالدك ان اخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل فقالت له ياامام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من أنت قالت اخت بشر الحافي فقال ياأهل بشر لا أزال أستنشق الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل

وكان مالك بن دينار اذا مر فى السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس اصبرى فلا أوافقك على ما تريدين وقال رضى الله تعالى عنه سلامة النفس فى مخالفتها و بلاؤها فى متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل و يقول الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك وما أنا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على فى قديم ازلك فاغفرلى مافرط منى فانى قدعصيتك بجهلى فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم ناراوقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة و ولدى قائم يصلى فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها أنا أذكر بعض ما يحضرنى من أخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام أتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهى بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من أيسر الناس فقال رجل اذهب عمره فى طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروى ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا اباهما شعيبا فقال لهما لعله جائع ثم قال لاحداهما ارجعى اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فكره موسى ذلك واراد أن لا يتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كونى خلفى فمشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٣٠١) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى على شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى ياموسى انى اريد ان أعطيك أجر ماسقيت لهما فقال موسى انا من اهل بيت لا نبيع شيئا من عمل الآخرة بما على الأرض من ذهب وفضة فقال شعيب يا شاب ولكن انت ضيفى واكرام الضيف عادتى وعادة آبائى باطعام الطعام فجلس موسى فاكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثمانى حجج أي سنتين وجعل اجرته على ذلك تزويجه احدى ابنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه اني أريد أن انكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن اشق عليك وقال رجل لبعض اصحابه وكان له مدة لم يره انك أوحشتنى لانى ما رأيتك منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جارى من منذ ثلاثين سنة الا أنى لم اكلمه قال له

انك نسيت الله فنسيت جارك ولو أحببت الله لاحببت جارك أما علمت أن للجار على حقا كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخي قد حج فى تلك السنة فاجتمعنا فى الطواف فقال ابراهيم لشقيق ماشأنكم في بلادكم فقال شقيق انا اذا رزقنا اكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدى ابراهيم قال له أنت استاذى وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال له ما أمرك فى التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت ان رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت نفسى به وعلمت انى لم أخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدى والدك تسع مرات وقالت قد سمعت أيها الملك ماتكلم به الجميع فى باب الزهد وانا تابعة لهن فأذكر بعض ما بلغنى عن اكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقسم الليل ثلاثة أقسام الثلث الاول للعلم والثانى للنوم والثالث للتهجد وكان الامام ابو حنيفة يحيى نصف الليل فأشار اليه انسان وهو يمشى وقال لآخر ان هذا يحيى الليل كله فلما سمع ذلك قال انى استحى من الله أن اوصف بما ليس فى فصار بعد ذلك يحيى الليل كله وقال الربيع كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك فى الصلاة وقال الشافعى رضى الله عنه ماشبعت من خبز الشعير عشر سنين لان الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروي عن عبد الله ومحمد السكرى انه قال كنت انا وعمر نتحدث فقال لى مارأيت أروع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى واتفق انى خرجت انا والحرث بن لبيب الصفار وكان الحرث تلميذ المزنى وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال أعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لى غفران ذنوبي من جودك وجملنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقات لما دخلت بغداد كان الشافعى بها فجلست على الشاطىء لاتوضأ للصلاة اذ مر بى انسان فقال لى ياغلام أحسن وضوءك يحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت اقفو أثره فالتفت الى وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله تعالى فقال اعلم أن من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردي ومن زهد في الدنيا قرت عيناه غدا أفلا ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لى هذا الامام الشافعى وكان الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب الى منه شىء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٤٠٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوالدك كان الامام الشافعي يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب الى

عنه شيء وقال ما ناظرت أحداً إلا احببت أن يوفقه الله تعالى للحق و يعينه على اظهاره وما ناظرت أحداً قط إلا لاجل اظهار الحق وما أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه وقال رضي الله تعالى عنه إذا خفت على عاملك العجب فاذكر رضا من تطلب و في أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب وقيل لابي حنيفة إن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فارضى فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاء رسول أمير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه و خاطبه لم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لي ولكنني اكره أن يقع في قلبي مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليوم وتحفظت من ودهم قال هل آمن ان الج البحر ولا تبتل ثيابي ومن كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه

الا يانفس ان ترضى بقولي ... فانت عزيزة أبداً غنيه

دعي عنك المطامع والاماني ... فكم امنية جلبت غنيه

ومن كلام سفيان الثوري فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي عليك بالصدق واياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الا ممن هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا واكثر ذكر الموت واكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن أمر دينه واياك أن تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال والخصام ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سالما وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض أحداً من المسلمين وصل من قطعك واعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن أمرك مفوضا الى الله في السر والعلانية واخش الله من خشية من قد علم انه ميت ومبعوث وسائر الى الحشر والوقوف بين يدي الجبار واذكر مصيرك الى احدى الدارين اما الى جنة عالية واما الى نار حامية ثم ان العجوز جلست إلى جانب الجواري فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن أفضل أهل زمانهن ورأى حسنهن وجمالهن وزيادة ادبهن فآواهن اليه واقبل على العجوز فأكرمها واخلى لها هي وجواريها القصر الذي كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فاقامت عنده عشرة أيام وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها في ليلها وصيامها في نهارها فوقع في قلبه محبتها وقال لي يا وزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها فلما كان اليوم الحادي عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجواري اليها فقالت له ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجواري فوق ما يتعامل الناس به فاني ما أطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك أو كثيرا فلما سمع والدك كلامها تعجب وقال ايتها السيدة وما ثمنهن قالت ما ابيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك في قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت في عينه وقال نفعنا الله بهذه

المرأة الصالحة ثم اتفق معها على أن يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وأنا اعينك بدعوات ادعو بهن لك فائتني بكوز ماء فأخذته وقرأت عليه وهممت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف شيئا ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر فى الليلة الحادية عشرة على مافى هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملؤه نورا وايمانا وفى غد اخرج الى اخوانى وهم رجال الغيب فاني اشتقت اليهم ثم اجيء اليك إذا مضت العشرة الاولى فأخذ والدك الكوز ثم نهض وأفرد له خلوة في القصر ووضع الكوز فيها وأخذ مفتاح الخلوة فى جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز إلى حال سبيلها . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٠٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها وأتم الملك صوم العشرة أيام وفى اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشربه فوجد له فى فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة أيام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة فى ورق أخضر يشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له أيها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لانى اخبرتهم عنك ففرحوا بك وأرسلوا معى هذه الحلاوة وهي من حلاوة الآخرة فافطر عليها فى آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذى جعل لى إخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها واكرمها واكرم الجوارى غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين يوما وابوك صائم وعند رأس العشرين يوما أقبلت عليه العجوز وقالت له ايها الملك اعلم انى اخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك من المحبة واعلمتهم بانى تركت الجوارى عندك ففرحوا حيث كانت الجوارى عند ملك مثلك لانهم كانوا إذا راوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فأريد أن اذهب بهن إلى رجال الغيب لتحصيل نفحاتهم لهن وربما انهن لا يرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذى يأتينك به على إغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك وقال لها لولا إني أخشى مخالفتك لك مارضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين فارجع بهن اليك فى رأس الشهر وتكون أنت قد أوفيت الصوم وحصل استبراؤهن وصرن لك وتحت أمرك والله ان كل جارية منهن ثمنها أعظم من ملكك مرات فقال لها وانا أعرف ذلك أيتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولا بد أن ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهما فقدا من مدة سنتين فخذيها معهن لاجل أن تحصل لها البركة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٠٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان لعل رجال الغيب يدعون الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملنا بهما فقالت العجوز نعم ماقلت وكان ذلك

أعظم غرضها ثم أن والدك اخذ في تمام صيامه فقالت له ياولدى انى متوجهة إلى رجال الغيب فأحضر لى صفية فدعاها فحضرت فى ساعتها فسلمها إلى العجوز فخلطتها بالجوارى ثم دخلت العجوز تخدعها وخرجت للسلطان بكاس مختوم وناولته له وقالت اذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التى فى قصرك واشرب هذا الكاس ونم فقدنلت ماتطلب والسلام منى عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى أراك أيتها السيدة الصالحة فانى أود أن لا افارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجوارى والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة أيام ثم هل الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام الى الخلوة التى فى القصر وأمر أن لا يدخل عليه أحد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن قاعدون فى انتظاره الى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثانى يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة واعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك وأخذنا الكاس فوجدنا فى غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من أساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذى نعلم به كل من وقف على هذه الورقة أن شركان لما جاء بلادنا أفسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى أخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم أرسلها مع عبد اسود فقتلها ووجدناها مقتولة فى الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وماجزاء من يفعل هذا الفعل إلا ماحل به وأنتم لا تتهموا أحدا بقتله ماقتله إلا العاهرة الشاطرة التى اسمها ذات الدواهى وها أنا أخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها إلى والدها افريدون ملك القسطنطينية ولا بد نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار الا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا أن العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيئا واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد أخاك شركان ولم نزل فى هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا وأردنا أن نمضى إلى اخيك شركان فسافرنا إلى أن وجدناك وهذا سبب موت الملك عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو وأخته نزهة الزمان وبكى الحاجب أيضا ثم قال الحاجب لضوء المكان أيها الملك ان البكاء لا يفيدك شيئا ولا يفيدك إلا انك تشد قلبك وتقوي عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك فما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وأمر بنصب السرير خارج الدهليز ثم أمر أن يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وأرباب الدولة فى مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرنى بخزائن ابى فقال سمعا وطاعة واخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه مافى خزانته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له انت فى



﴿ الملك عمر النعمان فى الحمام ﴾

مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض على الذى معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٠٥) قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن ضوء المكان أمر الحاجب أن يعرض عليه ما أتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على

العساكر ولم يبق منها شيئا أبدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما رأينا ملكا يعطي مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما أصبحوا أمرهم بالسفر فسافروا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع اشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر أبيه وجلس على السرير ووقف أمراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك امر كاتب السر ان يكتب كتابا الى اخيه شركان ويذكر فيه ماجرى من الاول الى الآخر ويذكر في آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ منهم الثار ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا انت ولكن ينبغي ان تتلطف به في الكلام وتقول له ان اردت ملك ابيك فهو لك واخوك يكون نائبا عنك في دمشق كما اخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان امر ان يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا ويفرشوه بأحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فاعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها في تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره واخبره بخبر أخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغي ان تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار اخيه وعند الصباح اقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام واسد درغام وبطل مصدام فلما اشرفت الكتائب وقدمت النجائب واقبلت العصائب وخفقت اعلام المراكب توجه ضوء المكان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان اراد أن يترجل اليه فاقسم عليه شركان ان لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدي ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وسارا وسار العسكر معهما الى أن اشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو واخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند الصباح خرج ضوء المكان وامر ان يجمعوا العساكر من كل جانب وينادون بالغزو والجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون افواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا أخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجميع ما وقع له من الاول الا الآخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شركان اما كافأته على معروفه فقال له يا أخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٠٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال لاخيه ضوء المكان اما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا أخي ما كافأته الى الآن ولكن ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة واتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما أخبرته به ثم كتم امره

وأمرها وارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له أيضا معه السلام ودعت له وسألت عن ابنتها قضى فاخبرها انها بعافية وانها فى غاية مايكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره فى أمر الرحيل فقال له ياأخى لما تتكامل العساكر وتأتى العربان من كل مكان ثم أمر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة أشهر وجعل أرباب الاقلام وأهل الحساب تحت طاعتها ورتب لها الجرايات والجوامك وسافر فى ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وسار ضوء المكان فى وسط الجيوش وعن يمينه أخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون فى مكان يستريحون فيه ثلاثة أيام لأن الخلق كثيرة ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت أهل القرى والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع أفريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهى فانها هى التى دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم أخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لابنها قر عينا فقد أخذت لك بثار ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية واظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال امهلى الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا فى جمع رجالهم وتجهيز احوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا احوالهم وجمعوا الجيوش وسارت فى أوائلهم ذات الدواهى فلما وصلوا الى القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فاخبره بما عملته امه ذات الدواهى من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين وأخذت من عنده الملكة صفية وقالوا ان المسلمين جمعوا عساكرهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٠٦) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان افريدون قال لملك الروم ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريد أن نكون جميعا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك فريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فما مر ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم أقبلت الافرنج من سائر اطرافها كالفرنسيس والنيمسا ودوبره وجورنه وبندق وجنويز وسائر عساكر بنى الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الأرض من كثرتهم أمرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا من القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم فى الرحيل عشرة أيام وساروا حتى نزلوا بواد واسع الاطراف وكان ذلك الوادى قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أرادوا أن يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام فاقاموا فيه

ثلاثة أيام اخري وفي اليوم الرابع راوا غبارطار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطارت ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدية واقبلت الفرسان كاندفاع البحار فى دروع تحسبها سحابا مزررة على أقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين في العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين الف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام فى عشرين الف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرود الحديد وقد صار وافيه كالبدور السافرة فى الليالى العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله تدبير العجوز ذات الدواهى لأن الملك أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير انى أشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٠٧) قالت بلغنى ايها الملك ان هذا كله كان تدبير العجوز لأن الملك كان قبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير انى أشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس وهو ان ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون فى المراكب ويتوجهون فى البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان فيقيمون هنالك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم أعلام الاسلام فدونكم وإياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجوا منهم أحد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك أفريدون كلام العجوز وقال نعم الرأى رأيك ياسيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان فى الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام فى ذلك الوادى لم يشعروا الا والنار تلتهب فى الخيام والسيوف تعمل فى الاجسام ثم أقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم فى مائة وعشرين الف فارس وفى أوائلهم ضوء المكان فلما راهم عسكر الكفار الذين كانوا فى البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا أثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار ياحزب النبي المختار وقاتلوا أهل الكفر والعدوان فى طاعة الرحيم الرحمن واقبل شركان بطائفة أخرى من عساكر المسلمين نحوا مائة الف وعشرين الفا وكانت عساكر الكفار نحو الف الف وستمائة الف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر وأوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج فى الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول فى الكفار ويعمل فيهم بالصارم البتار وينادى الله اكبر حتى رد القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصر دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم فى ذلك الوقت خمسة وأربعون الفا وقتل من المسلمين ثلاثة آلاف وخمسمائة ثم ان أسد

الدين الملك شركان لم ينم في تلك الليلة لا هو ولا أخوه ضوء المكان بل كانا يباشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنئانهم بالنصر والسلامة والثواب فى القيامة هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من امر الملك أفريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وامه العجوز ذات الدواهى فانهم جمعوا امراء العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذى خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهى انه لا ينفعكم الا انكم تتقربون للمسيح وتتمسكون بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك أفريدون انى قد عولت فى غد على أن أصف لهم الصفوف وأخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم أحدا وقد عولت فى هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذى أراده خره البطريق الكبير ذى الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت أكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر اقاليم بلادهم فى خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعنبر فاذا وصل خراؤه الى الملوك يأخذوا منه كل درهم بالف دينار حتى كان الملوك يرسلون فى طلبه من أجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه بخرائهم فان خره البطريق الكبير لا يكفى عشرة أقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه فى كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٠٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه لما أصبح الصباح عاد الملك أفريدون بخواص بطارقته وأرباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب فى وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذى هو خره البطريق الاكبر والكاهن الامكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذى يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ به عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما فى بلاد الروم أعظم منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا أطعن بالرمح والنزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه أصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سميته وبعد ذلك أقبل على الملك أفريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال الملك أفريدون إنى أريد أن تبرز إلى شركان ملك دمشق إبن عمر النعمان وقد إنجلى عنا هذا الشر والهوان فقال سمعا وطاعة ثم إن الملك نقش فى وجهه الصليب وزعم ان النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك أفريدون وركب الملعون لوقا جوادا أشقر وعليه ثوب أحمر وزردية من الذهب المرصع بالجواهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كانه ابليس الليل يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كأنهم يساقون الى النار وبينهم مناد ينادى بالعربى ويقول يا أمة محمد ﷺ لا يخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتم كلامه الا وضجة في الفلا سمع صوتها

جميع الملا وركضات فرقت الصفين وأذكرت يوم حنين ففزع الأنام منها ولفتوا الأعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر النعمان وكان أخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون في الميدان وسمع المنادي التفت لأخيه شركان وقال له انهم يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو أحب الي فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادي وهو يقول في الميدان لا يبرز الا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف ان يخلي الارض من المسلمين والا فهو من أخسر الخاسرين لانه هو الذي حرق الاكباد وفزعت من سره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كأنه أسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح في يده كانه أفعى من الحيات وأنشد هذه الابيات

لي أشقر سمج العنان مغاير ... يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومثقف لدى السنان كأنما ... أم المنايا ركبت في عوده
ومهند عضب اذا جردته ... خلت البروق تموج في تجريده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها واشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن أعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يديه كأنها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة منه اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التي أخذها بها من النصراني حتى كاد ان يقصفها ورماها في الجو حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيده الثانية في أقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لاجعلن هذا اللعين شهرة في الآفاق ثم رماه بالحربة فاراد لوقا ان يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده الى الحربة ليختطفها من الهواء فعاجله شركان بحربة ثانية فضربه بها فوقعت في وسط الصليب الذي في وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١١٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا أين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه واعملوا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكأن الخيل خلقت بلا قوائم ولا زال مناد الحرب ينادي الى ان كلت الايادي وذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات وصار لا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع بأخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب

ان الله قد فتح باباهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الحرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرف الانجيل وأخذك الحربة من الهواء وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان أيها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين الف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ وأسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا فى وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رأيتم عسكرنا تقهقروا الى الوراء كأنهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت أنت علما عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله أكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد فى أن لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر فى تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد أخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين الفا كما أمر الملك شركان فلما أصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومتقلون بالرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤوس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كل جانب وأنزلوا الخيل فى البر وعزموا على الكر والهرولة وسلت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت شهب الرمح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤوس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدما وتقابضوا باللحي وصاحت عساكر الاسلام بالصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانام وبالثناء على الرحمن بما أولى من الاحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخر ضوء المكان هو وشركان الى ورائهما وتقهقرت الجيوش وأظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة وتهيؤا للطعن والضرب فاستهل أهل الاسلام قراءة أول سورة البقرة وصارت القتلى تحت ارجل الخيل مندثرة وصار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فمكنوا السيوف من أقفائهم ولا ترجعوا من ورائهم والا برئتم من المسيح بن مريم الذى فى المهد تكلم وظن أفريدون ملك القسطنطينية أن عساكر الكفار منصورة ولم يعلم أن ذلك من تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا الا غائط البطريق الاكبر لما فاحت رائحته من اللحي والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب وأقسم بالمعجزات النصرانية المريمية والمياه المعمودية انى لا أترك على الارض مجاهدا بالكلية وانى مصر على سوء هذه النية

وتوجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١١١) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وصار ملك الروم ينادي بالأخذ بثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال ياعباد الملك الديان اضربوا أهل الكفر والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار وأعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادي منادى المسلمين ويقول عليكم بأعداء الدين يامحب النبي المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار ياراجي النجاة فى اليوم المخيف ان الجنة تحت ظلال السيوف واذا بشركان قد حمل هو ومعه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف واذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح بين عسكر الكفر ميدانا وجال فى الكفرة حربا وطعانا وملأ الارض رؤسا وابدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت أعناقهم لطعنه وضربه وقد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل برمحين قناة وقوام بوفرة تغنى عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لا تحسن الوفرة الا وهى منشورة الفرعين يوم النزال
على فتى معتقل صعده يعلها من كل وافي السبال

فلما رآه شركان قال أعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من أنت أيها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن حيث هزمت أهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا أنت الذى بالامس عاهدتنى فما أسرع ما نسيتنى ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفي من حسنه فاذا هو ضوء المكان ففرح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران وانطباق الشجعان وذلك لامرين أحدهما صغر سنه وصيانته عن العين والثانى ان بقاءه للمملكة أعظم الجناحين فقال له ياملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادى فاني لا آمن عليك من الاعادى والمصلحة فى ان لا تخرج من تلك العصائب لأجل ان ترمى الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان انى ارذت ان اساويك فى النزال ولا ابخل بنفسى بين يديك فى القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار وأحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك أفريدون لما رأى ماحل بالروم من الامر المذموم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب واذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفى أوائلهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو فى عشرين الف ضرغام وأحاطت بهم عساكر الاسلام من خلف ومن امام ومالت فرقة من المسلمين على من كان فى المراكب وأوقعوا فيهم المعاطب فرموا أنفسهم فى البحر وقتلوا منهم جمعا عظيما يزيد على مائة الف خنزير ولم ينج من أبطالهم صغير ولا كبير وأخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر والاثقال الا

عشرين مركبا وغنم المسلمون فى ذلك اليوم غنيمة ماغنم أحد مثلها فى سالف الزمان ولا سمعت أذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ماغنموه خمسون الفا من الخيل غير الذخائر والأسلاب مما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحا ما عليه من مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل إلى أهلها أولا بان الملك أفريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهى أنا أعلم أن ولدى ملك الروم لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلاميه ويرد أهل الارض الى ملة النصرانية ثم ان العجوز كانت أمرت الملك الاكبر أفريدون أن يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وماعلموا بالمقدور فبينما هم فى وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح وأقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربه وفيها ملك الروم فقابلهم أفريدون ملك القسطنطينيه على الساحل وأخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير وأخبروه أن لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك أفريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامه وقامت بينهم المآتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم افريدون وأخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر أن يصل من العسكر الا من وصل اليك فلما سمع الملك أفريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار أنفه تحت قدميه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١١٢) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك افريدون لما افاق من غشيته نفض خوف جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهى وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان متقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم ابخر وجفن احمر وخد أصفر بوجه اغبش وطرف أعمش وجسم اجرب وشعر اشهب وظهر احدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن ومكثت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهى آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكانت أكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجوارى الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخر عنها تكون فى انمحاق وكل جارية أعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها أحسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لا تطاوعها تتحايل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة وأترجة جوارى أبريزة وكانت الملكة أبريزة تكره العجوز وتكره أن ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت ابطيها ورائحة فسائها أنتن من الجيفة وجسدها أخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزه تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يامن تسفل للغنى مذلة ، وعلى الفقير لقد علا تياها
ويزين شنعته بجمع دراهم عطر القبيحة لا يبقى بفساها

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهي أمرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام و بعدها دخل الملك أفريدون على ملك الروم وقال له ايها الملك لنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأى أمى ذات الدواهي وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم واصلون الينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم فى قلبه فكتب من وقته وساعته الى سائر اقاليم النصارى يقول لهم ينبغى أن لا يتخلف أحد من أهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصا أهل الحصون والقلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا وركبانا ونساء وصبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا أرضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فانها طلعت خارج البلد مع أصحابها والبستهم زى تجار المسلمين وكانت قد أخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكي ما بين أطلس معدنى وديباج ملكى وغير ذلك وأخذت من الملك أفريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من أرض الشام وكانوا فى ديارنا فلا ينبغي ان يتعرض لهم أحد بسوء عشرا أو غيره حتى يصلوا الى بلادهم ومحل امنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من أهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها انى أريد أن أدبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها أيتها الملكة أؤمرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا أحبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غايرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد أثر القيد فى ساقيها ثم دهنتهما بدم الاخوين وأمرت من معها ان يضربوها ضربا عنيفا وان يضعوها فى صندوق فقالوا لها كيف نضربك وأنت سيدتنا ذات الدواهى ام الملك الباهى فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتى الكنيف ولاجل الضرورات تباح المحظورات وبعد ان تضعونى فى الصندوق خذوه فى جملة الاموال واحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيئا من الملام وان تعرض لكم أحد من المسلمين فسلموه البغال وما عليها من الاموال وانصرفوا الى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا له نحن كنا فى بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيئا بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا أحد فكيف تأخذون أنتم أموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذى مضمونه ان لا يتعرض لنا أحد بمكروه فاذا قال وما الذى ربحتموه من بلاد الروم فى تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان فى سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا اقمنا فى القسطنطينية مدة من الزمان و بعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل الى بلادنا و بتنا تلك الليلة نتحدث فى أمر

السفر فلما أصبحنا رأينا صورة مصورة فى الحائط فلما قربنا منها تأملناها فاذا هى تحركت وقالت يامسلمين هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله أنطقنى لكم ليقوى يقينكم ويلهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن و بطل الزمان الملك شركان وهو الذى يفتح القسطنطينية و يهلك اهل الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلاثة أيام تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنا وفيه صومعة فاقصدوا بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبد الله وهو من أدين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعته بعض الرهبان وسجنه فى سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفى انقاذه رضا رب العباد لان فكاكه من أفضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١١٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز لما اتفقت مع من معها على الكلام قالت فاذا التقى اليكم الملك شركان سمعه فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد من أكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة أيام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا اليه وأقمنا هناك يوما فى البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التى فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الابيات

كيدا كابده وصدري ضيق	وجرى بقلبي بحرهم مغرق
ان لم يكن فرج فموت عاجل	ان الحمام من الرزايا ارفق
يابرق ان جئت الديار وأهلها	وعلاعليك من البشائر رونق
كيف السبيل الى اللقاء و بيننا	تلك الحروب وباب رهن مغلق
بلغ أحبتنا السلام وقل لهم	اني بدير الروم قاص موثق

ثم قالت اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين وصرت عندهم أعرف أدبر حيلة فى خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها فى الصندوق بعد ان ضربوها أشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ما كان من أمر اللعينة ذات الدواهى ومن معها (وأما) ما كان من أمر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على أعدائهم وغنموا ما كان فى المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله عز وجل قد نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا فكن ياشركان ممتثلا أمرى فى طاعة الله فقال شركان حبا وكرامة ومد يده الى أخيه وقال ان جاءك ولد اعطيته ابنتي قضى فكان ففرح بذلك وصار يهنى بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنأ الوزير دندان شركان وأخاه وقال لهما اعلما ايها الملكان ان الله عز وجل نصرنا حيث وهبنا أنفسنا وهجرنا الاهل والاوطان والرأى عندى ان نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله ان يبلغنا مرادنا ونستأصل أعداءنا وان

شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن والنزال ثم ان الوزير دندان مازال يحرضهم على القتال وأنشد قول من قال

أطيب الطيبات قتل الاعادي ... واحتمالي على ظهور الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب ... وحبيب يأتي بلا ميعاد

وقال آخر

وان عمرت جعلت الحرب والدة ... والمشرفي أخا والسمهري أبا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسما ... حتى كأن له في قتله إربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من أيدنا بنصره العزيز واظفرنا بغنيمة الذهب والابريز ثم أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدوا في سيرهم حتى أشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء مدة ستة أيام فلما أشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة والاثمار اليانعة وتلك الارض كأنها جنة أخذت زخرفها وازينت وسكرت أغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التنسيم فتدهش العقل والناظر كما قال الشاعر

انظر الى الروض النضير كأنما ... نشرت عليه ملاءة خضراء
ان ماسنحت بلحظ عينك لاترى ... الا غديرا جال فيه الماء
وترى بنفسك عزة في دوحة ... اذفوق رأسك حيث سرت لواء

وما أحسن قول الآخر

النهر خد بالشعاع مورد ... قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل ... من فضة والزهر كالتيجان

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذي التفت أشجاره وزهت أزهاره وترنمت أطياره نادى أخاه شركان وقال له يا أخي ان دمشق مافيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة أيام حتى نأخذ راحة لأجل ان تنشط عساكر الاسلام وتقوي نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فاقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا أصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين في هذا المكان للراحة ولعل العساكر صادفوهم وربما أخذوا شيئا من بضائعهم التي معهم حيث كانوا في بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا أيها الملك انا كنا في بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيئا فكيف تنهب أموالنا اخواننا المسلمون ونحن في بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم أقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد أخبرناك بما حصل لنا ثم أخرجوا اله كتاب ملك القسطنطينية فاخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما أخذ منكم ولكن كان الواجب ان لا تحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يامولانا ان الله سيرنا الي بلادهم لنظفر بما لم يظفر به أحد من الغزاة ولا أنتم في

غزوتكم فقال له شركان وما الذي ظفرتم به فقالوا ما نذكر لك ذلك الا في خلوة لأن هذا الأمر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه أحد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من توجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبئوا الصندوق الذي فيه اللعينة ذات الدواهي فاخذهم ضوء المكان وأخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى أبكوهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١١٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان النصارى الذين في هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان وأخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى أبكوهما وأخبروهما كما أعلمتهم الكاهنة ذات الدواهي فرق قلب شركان للزاهد وأخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد أم هو في الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على أنفسنا ثم أسرعنا في الهرب خوفا من العطب وقد أخبرنا بعض الثقات ان في هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك أتوا بالصندوق وأخرجوا منه تلك الملعونة كأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهي مكبلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا انه رجل من خيار العباد ومن أفضل الزهاد خصوصا وجبينها يضيء من الدهان الذي دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان وأخوه بكاء شديدا ثم قاموا اليها وقبلا يديها ورجليها وصارا ينتحبان فاشارت اليهما وقالت كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامي فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما اني قد رضيت بما صنعه بي مولاي لاني أرى ان البلاء الذي نزل بي امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت أتمنى اني أعود الى بلادي لا جزعا من البلاء الذي حل بي بل لأجل أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل أحياء غير أموات ثم أنشدت هذه الابيات

الحصن طور ونار الحرب موقدة ... وانت موسى وهذا الوقت ميقات
ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا ... ولا تخف ما حبال القوم حيات
فاقرأ سطور العدا يوم الوغى سورا ... فان سيفك في الاعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان وقبل يدها وأحضر لها الطعام فامتنعت وقالت اني لم أفطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف أفطر في هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من أسر الكفار ودفع عني ما هو أشق من عذاب النار فانا أصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء أقبل شركان هو وضوء المكان وقدما اليها الأكل وقالا لها كل أيها الزاهد فقالت ما هذا وقت الأكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت في المحراب تصلي الى ان ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة أيام بلياليها وهي لا تقعد الا وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فراشا بخدمته وفي اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا

لها من الالوان ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلاة فقال شركان لضوء المكان اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته واعبد الله بخدمته حتى القاه وقد اشتهيت ان أدخل معه الخيمة وأتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وانا كذلك ولكن نحن في غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وانا الآخر اشتهي ان أرى هذا الزاهد لعله يدعو لي بقضاء نحبي في الجهاد ولقاء ربي فاني زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة لها وهي لا تلتفت اليهم إلى ان انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم أقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها أيها العابد أما سمعت بكاءنا حولك فقالت ان الذي يقف بين يدي الله لا يكون له وجود في الكون حتى يسمع صوت أحدا أو يراه ثم قالوا انا نشتهي أن تحدثنا بسبب أسرك وتدعو لنا في هذه الليلة فانها خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا أنكم أمراء المسلمين ما أحدثكم بشيء من ذلك أبدا فاني لا أشكو الا الى الله وها أنا أخبركم بسبب أسري اعلموا أنني كنت في القدس مع بعض الابدال وأرباب الاحوال وكنت لا أتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعالى أنعم علي بالتواضع والزهد فاتفق أنني توجهت الى البحر ليلة ومشيت على الماء فداخلني العجب من حيث لا أدري وقلت في نفسي من مثلي يمشي على الماء فقسا قلبي من ذلك الوقت وابتلاني الله تعالى بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت في أقطارها سنة كاملة حتى لم أترك موضعا إلا عبدت الله فيه فلما وصلت إلى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل وفيه دير راهب يقال له مطروحنا فلما رآني خرج الي وقبل يدي ورجلي وقال إني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتني إلى بلاد الاسلام ثم أخذ بيدي وأدخلني في ذلك الدير ثم دخل بي إلى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلني وأغلق علي الباب وتركني فيه أربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلي صبرا فاتفق في بعض الايام أنه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنها في الحسن ليس لها مثيل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١١٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوزة ذات الدواهي قالت ان البطريق دخل علي ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة في غاية الجمال ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير أخبرهم الراهب مطروحنا بخبري فقال البطريق اخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصبا في المحراب أصلي وأقرأ وأسبح وأتضرع الى الله تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنا ان هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا ودخلوا علي وأقبل علي دقيانوس هو وجماعته وضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت هذا جزاء من يتكبر ويعجب بما أنعم عليه ربه مما ليس في طاقته وأنت يا نفسي قد داخلك

العجب والكبر أما علمت أن الكبر يغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الانسان في النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني وكان سردابا في ذلك البيت تحت الارض وكل ثلاثة أيام يرمون الى قرصا من الشعير وشربة من ماء وكل شهر أوشهرين يأتي البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها أربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم أحسن منها وكان أبوها يخاف عليها من الملك أن يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غيرأنها تركب مع أبيها في زي الرجال الفرسان وليس لها مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها أنها جارية وقد خزن أبوها أمواله في هذا الدير لان كل من كان عنده شيء من نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من أنواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الالوان والتحف مالا يحصى عدده الا الله فانتم أولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا الدير وأنفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التي في الحائط كرامة أكرمني الله بها فجاءوا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحا بعد أن عاقبوه أشد العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعي فأخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفي ليلة غد تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها أبوها مع غلمانه لانه يخاف عليها فان شئتم أن تشاهدوا هذا الامر فخذوني بين أيديكم وأنا أسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون أواني الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغني لهم بالعربي فواحسرتاه لو كان الصوت الحسن في قراءة القرآن وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه إلى أن يصل دقيانوس وتماثيل معه فخذوها فانها لا تصلح الا لملك الزمان شركان وللملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه ما دخل كلامها في عقله وانما كان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا في كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي إني أخاف أن يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر أن يدخل الدير فأمر السلطان العسكر أن يرحلوا إلى صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان إن قصدي أن نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه إلى ذلك الجبل ونحملها المال الذي في الدير ثم ارسل من وقته وساعته إلى الحاجب الكبير فاحضره بين يديه وأحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا إلى القسطنطينية وأنت أيها الحاجب تكون عوضا عني في الرأي والتدبير وأنت يارستم تكون نائبا عن أخي في القتال ولا تعلموا أحدا أننا لسنا معكم وبعد ثلاثة أيام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو وأخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس وأخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١١٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أصبح الصباح نادى الحاجب بين

العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون أن شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا أنهم ذهبوا الى الدير هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر شركان وأخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم أقاموا إلى آخر النهار وكانت الكفار أصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد أن دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستأذنوها في الرحيل فأذنت لهم وأمرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قالت العجوز لضوء المكان هو وأصحابه قوموا معي إلى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فأطاعوها وتركوها في سفح الجبل مع خمسة فوارس بين يدي ذات الدواهي وصارت عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد أرسلت كتابا على أجنحة الطير إلى ملك القسطنطينية تخبره بما جرى وقالت في آخر الكتاب أريد أن تنفذ لى عشرة آلاف فارس من شجعان الروم يكون سيرهم في سفح الجبل خفية لاجل أن لا يراهم عسكر الاسلام ويأتون إلى الدير ويكمنون فيه حتى أحضر اليهم ومعي ملك المسلمين وأخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير وسوف أسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لا تتم الا بقتله فان تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديار ولا من ينفخ النار ويكون مطروحنا فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح أولا وآخرا فلما وصل الكتاب إلى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك أفريدون بالورقة فلما قرأها أنفذ من الجيش وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وأمرهم ان يصلوا إلى ذلك الدير هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا إلى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد أقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيوف وأسقوه كأس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة إلى موضع النذور فأخرجوا منه التحف والذخائر أكثر مما وصفته لهم وبعد أن جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال وأما تماثيل فانها لم تحضر هي ولا أبوها خوفا من المسلمين فأقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان والله ان قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا أدري ما حالهم فقال أخوه انا قد أخذنا هذا المال العظيم وما اظن ان تماثيل ولا غيرها يأتي إلى هذا الدير بعد ان جرى لعسكر الروم ما جرى فينبغي اننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما امكن ذات الدواهي ان تتعرض لهم خوفا من التفطن لخداعها ثم انهم ساروا إلى أن وصلوا إلى باب الشعب واذا بالعجوز قد اكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احتاطوا بهم من كل جانب واسرعوا نحو الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوقوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان وأخوه شركان والوزير دندان إلى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما وقالوا من اعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا أخي ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم فان

بهذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا أن هذا المكان ضيق لكانت افنيتهم ولو كانوا مائة الف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة آلاف فارس في هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وانا اعرف هذا الشعب وضيقه واعرف ان فيها مغاور كثيرة لاني قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حين حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء ابرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل ان يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولا نملك فيهم اربا فأخذوا في الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا الخوف وانتم قد بعتم انفسكم لله تعالى في سبيله والله اني مكثت مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم اعترض على الله فيما فعل بي فقاتلوا في سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت في أعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل المسلمون في طاعة الله أشد قتال واعملوا في أعدائهم الاسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمي رؤوسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى أفنى منهم عددا لا يحصى ورجالا لا يستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهي تشير بالسيف اليهم وتقويهم من كل جانب وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومىء اليهم بقتل شركان فيميلون إلى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتي بعدها فرقة أخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على أعقابها فظن أن نصره عليهم ببركة العابد وقال في نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوى عزمي على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونني ولا يستطيعون الاقدام علي بل كلما حملوا علي يولون الادبار ويركنون إلى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى اخر النهار ولما أقبل الليل نزلوا في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمي الحجارة وقتل منهم في ذلك اليوم خمسة وأربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له أثرا فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان أنا رأيته يقوي الفرسان بالاشارة الربانية ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم في الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهي قد أقبلت وفي يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين الفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه وأوصلوا الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجل الله به الى الجنة ثم أن الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق وأتت بها وألقتها بين يدي شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائما على قدميه وقال الحمد لله على رؤيتك أيها العابد المجاهد الزاهد فقالت ولدي أني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت أرمي روحي بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما انفصلتم أخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان

يعد بألف فارس فضربته حتى أطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر أحد من الكفار ان يدنو مني واتيت براسه اليكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١١٧)قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اللعينة ذات الدواهى قالت اتيت براسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريدان اشغلكم فى الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضي اليهم ايها الزاهد والوادى مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترنى عن اعينهم فلا يرونى ومن رآنى لا يجسر ان يقبل على فانى فى ذلك الوقت أكون فانيا فى الله وهو يقاتل عنى أعداءه فقال شركان صدقت أيها الزاهد لانى شاهدت ذلك واذا كنت تقدر أن تمضي أول الليل يكون أجود لنا فقال أنا أمضي فى هذه الساعة وان كنت تريد أن تجيء معي ولا يراك أحد فقم وان كان أخوك يذهب معنا أخذناه دون غيره فان ظل الولى لا يستر غير اثنين فقال شركان أما أنا فلا أترك أصحابي ولكن اذا كان أخي يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان أو من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت امهلونى حتى اذهب قبلكم وانظر حال الكفرة هل هم نيام أو يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم امرنا لله فقالت اذا طاوعتكم لا تلومونى ولوموا انفسكم فالرأى عندى أن تمهلونى حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطىء علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهى وكان شركان حدث اخاه بعد خروجها وقال لولا ان هذا الزاهد صاحب كرامات ما قتل هذا البطريق الجبار وفى هذا القدر كفاية فى كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون فى كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهى قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفى حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهى قد اعلمت الكفار بالحيلة التى عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم فى نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا افرس منه وقالوا لعجوز النحس ذات الدواهى حين اخبرتهم بأنها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا أتيت به نأخذه الى الملك افريدون ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما وتقول لهما سيروا على بركة الله تعالى فأجاباها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضوا لهم بسوء لان الملعونة أوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان الى عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم

قال الوزير دندان الى والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما أظن الكفار الاعميا نالاننا نراهم وهم لا يرونا فبينماهما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده عبادته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا اهل معكما أحد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أما ترون هذا الرجل الآخر الذى بين ايدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نر أحدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذى حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١١٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار وضعوا القيود فى ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما فى المبيت فصارا يتأسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدى الى اكثر من ذلك وجزاؤنا ما حل بنا من الضيق الذى نحن فيه هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوزير دندان (وأما) ما كان من أمر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما أصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا الى قتال الكفار وقوى قلوبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا الى أن وصلوا الى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمين انا اسرنا سلطانكم ووزيره الذى به انتظام أمركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلنا كم عن آخركم واذا سلمتم لنا أنفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على ان تخرجوا من بلادنا وتذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشيء ولا نضركم بشيء فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان ابيتم فما يكون الا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر اخيه والوزير دندان عظم عليه وبكى وضعفت قوته وأيقن بالهلاك وقال فى نفسه يا ترى ما سبب أسرهما هل حصل منهما اساءة أدب فى حق الزاهد أواعتراض عليه وما شأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين فى ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافتت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان ومازال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه فى طلب الفرصة فوت حتى سال الوادى بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما أقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة ولم يبق منهم الا القليل ولم يكن منهم الاعلى الله والسيف تعويل وقد قتل منهم فى هذا النهار خمسة وثلاثون فارسا من الامراء والاعيان وان من قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له أصحابه لا يكون الا ما يريده الله تعالى فلما كان ثانى يوم قال شركان لبقية العسكر ان خرجتم للقتال ما بقى منكم أحد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والزاى الذى عندي فيه الرشاد ان تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان تدفعوا عن أنفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد أن يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينون على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه

هو ومن معه فقال له أصحابه ان هذا الرأى هو الصواب وما في سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وكل من أراد أن يدخل عليهم من الكفار يقتلوه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى ان ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١١٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه عندما أقبل الليل لم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لاغير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضى هذه الايام فانا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم لبعض قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا أنفسهم الينا أخذناهم أسارى وان أبوا تركناهم حطب النار حتى يصيروا عبرة لاولى الابصار فلا رحم المسيح أباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حطوا الحطب الى باب المغارة وأضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك أفريدون لأجل أن يشفى غليله فينبغى اننا نبقيهم عندنا أسارى وفى غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك أفريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم أمروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان وضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى أخيه وقال له يا أخى كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا أدرى وقد صرنا كالطير فى الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس وأخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى أخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال انى أريد أن أقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى نصير فى زى الروم ونصير بينهم حتى لا يعرفوا أحدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع أحد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأى السديد ان نسير الى خارج الشعب فأجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا مربوطة وأصحابها نائمون فقال شركان لأخيه ينبغى ان يأخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فأخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد ألقى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها الله ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفوا ثم ركبوا الخيل التى أخذوها وساروا وكان فى ظن الكفار انه لا يقدر أحد على فكاك ضوء المكان وأخيه ومن معهما من العساكر وانهم لا يقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا فى أمن من الكفار التفت اليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سترنا الله ولكن عندى رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال أريد ان تطلعوا

فوق الجبل وتكبر وا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا القدجاء تكم العساكر الاسلامية وتصيح كلنا صيحة واحدة ونقول الله اكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم فى هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون أن عسكر المسلمين أحاطوهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيف فى بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأي غير صواب أن نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبرنا تنبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا أحد فقال شركان والله لو انتبهوا لنا ما علينا بأس واشتهى أن توافقوني على هذا الرأي وهو لا يكون الا خيرا فأجابوه الى ذلك وطلعوا الى فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله تعالى فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار صيحة مزعجة وادرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٢٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد انه عندما صاح الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الاعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم أثرا فقال رؤساؤهم ان الذى فعل بكم هذه الفعال هم الاسارى الذين كانوا عندنا فدونكم والسعي خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كاس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم وأحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لاخيه ان الذى خفت من حصوله قد حصل وما بقي لنا حيلة الا الجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من أعلى الجبل وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع أنفسهم فى طاعة رب العباد فبينما هم كذلك واذا بأصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الارض كالزلزال وتفرقت عساكر الكفار فى عرض الجبال فتبعتهم المسلمين بالضرب والطعان واطاحوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون فى اعناق الكافرين الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرين الف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين وهلاك الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الاجر فى القيامة وكان السبب فى مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا والجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار وملكوا الابراج والقلاع واستعدوا فى كل حصن منيع حين علموا بقدوم العساكر الاسلاميه والاعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر

خيولهم من تحت الغبار فاذاهم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا أصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب فى اعلام الكفار بذلك مادبرته العجوز ذات الدواهى من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال أمير الترك لامير الديلم ياأمير اننا بقينا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذى كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس شر فيخبرهم اننا على خطر من الاعداء الذين لايحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان وأخيه والوزير الاجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأى أن نأخذ عشرة آلاف فارس من المواصلة والاتراك ونذهب بهم إلى الدير مطروحنا ومرج ملوخنا فى طلب اخواننا واصحابنا فان اطعتمونى كنتم سببا فى الفرج عنهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم وان لم تطيعونى فلالوم على واذا توجهتم ينبغى ان ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعندها قبل الامير المذكور كلامه وانتخب عشرين الف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ما كان سبب مجيئهم (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما أوقعت السلطان ضوء المكان واخاه شركان والوزير دندان فى أيدى الكفار اخذت تلك العاهرة جوادا وركبته وقالت للكفار انى أريد أن الحق عسكر المسلمين واتحيل على هلاكهم لانهم فى القسطنطينية فاعلمهم أن اصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك منى تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم أدخل أنا إلى الملك افريدون ملك القسطنطينية وولدى الملك حردوب ملك الروم واخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما إلى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون أحدا منهم ثم سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما أصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات واخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمشت قليلا وهى تقول فى نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت اعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت انهم أتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم واصحابهم فلما عاينت ذلك أسرعت نحوهم بالجرى الشديد مثل الشيطان المريد إلى أن وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل ياجند الرحمن إلى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام أقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها ياولى الله ماوراءك فقالت لاتسأل عن سوء الحال وشديد الاهوال فان أصحابنا لما أخذوا المال من دير مطروحنا أرادوا أن يتوجهوا إلى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو بأس من الكفار ثم أن الملعونة اعادت عليهم ارجافا ووجلا وقالت ان أكثرهم هلك ولم يبق إلا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام أيها الزاهد متى فارقتهم فقال فى ليلتى هذه فقال بهرام سبحان الذى طوى لك الارض البعيدة وانت ماشى على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة المهمين بوحى الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش وحيران بما سمعه من ذات الافك والبهتان

وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا واسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر أقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان وأخاه شركان يناديان بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فحمل هو وأصحابه وأحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت منه الجبال فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الأرض بين يدي ضوء المكان وأخيه شركان وأخبروهم بما جرى لهم فى المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم أسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا أصحابنا هنالك وقلوبنا عندهم فعند ذلك أسرعوا فى المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوي المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لك الحمد مستوجب الحمد والشكر ... فمازلت لى بالعون يارب فى أمرى
ربيت غريبا فى البلاد وكنت لى ... كفيلا وقد قدرت ياربنا نصرى
وأعطيتني مالا وملكا ونعمة ... وقلدتني سيف الشجاعة والنصر
وخولتنى ظل المليك معمرا ... وقد وجدت لى من فيض جودك بالغمر
وسلمتنى من كل خطب حذرته ... بمشورة الصدر الوزير فتى الدهر
بفضلك قد صلنا على الروم صولة ... وقد رجعوا بالضرب فى خور
وأظهرت انى قد هزمت هزيمة ... وعدت عليهم عودة الضيغم الغمر
تركتهم فى القاع صرعى كأنهم ... نشاوى بكاس الموت لا قهوة الخمر
وصارت بايدينا المراكب كلها ... وصار لنا السلطان فى البر والبحر
وجاء الينا الزاهد العابد الذى ... كرامته شاعت لذى البدو والحضر
اتينا لاخذ الثار من كل كافر ... وقد شاع عند الناس ما كان من أمرى
وقد قتلوا منا رجالا فاصبحوا ... لهم غرف فى الخلد تعلو على نهر

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنأه أخوه شركان بالسلامة وشكره على افعاله ثم أنهم توجهوا مجدين المسير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٣١) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان هنأ أخاه ضوء المكان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة وأخذت جوادها وركبته وأسرعت فى سيرها حتى أشرفت على عسكر المسلمين والمحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت وأخذت جوادها وأتت به الى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائما وأشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت له انى أخاف على الامير رستم والامير بهرام لانى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وأرسلتهما الى الملك

ومن معه وكانا في عشرين الف فارس والكفار أكثر منهم واني أردت في هذه الساعة أن ترسل جملة عن عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا وقالت لهم ذات الدواهي استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم اسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور أعدها لمن يموت شهيدا ولا بد من الموت لكل أحد ولكنه في الجهاد أحمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهي دعا بأخي الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس أبطال عوابس وأمره بالسير فسار في ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما أصبح الصباح رأي شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما أن يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين وأما ان يكونوا من عسكر الكفار فلا أعتراض على الأقدار ثم انه أتى الى أخيه ضوء المكان وقال له لا تخف أبدا فاني أفديك بروحي من الردا فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا مزيد الانعام وان كان هؤلاء أعداء نا فلا بد من قتالهم لكن أشتهي أن أقابل العابد قبل موتي لأسأله أن يدعو الي ان لا أموت الا شهيدا فبينما هم كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما أتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الارض بين يديه وقال يامولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم وأخي بهرام أما الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذي أخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر انه لقي أخي بهرام ورستم وأرسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد أحاطوا بهم وهم كثيرون وما أرى الامر الا بخلاف ذلك وانتم منصورون فقال لهم وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع في يوم وليلة مسيرة عشرة ايام للفارس المجد فقال شركان لا شك انه ولي الله واين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا اهل الايمان يحرضهم على قتال اهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمد الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك في الكتاب مسطورا ثم ساروا مجدين في سيرهم فبينما هم كذلك واذا بغبار قد سار حتى سد الأقطار واظلم منه النهار فنظر اليه شركان وقال اني اخاف ان يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لأن هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك عمود من الظلام أشد سوادا من حالك الايام وما زالت تقرب منهم تلك الدعامة وهي أشد من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادي يا أمة خير الانام ومصباح الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فادركوا عساكر الموحدين وانقذوهم من أيدي الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم في الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا في مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك أخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجل عن جواده وقال والله ان قلبي نافر من هذا الزاهد لأني ما عرفت للمتنطعين في الدين غير المفاسد فاتركوه

وادركوا أصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر النعمان ودست أراضي هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد أما نظرت الى هذا اللما بد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فلا تغتبيه لأن الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال أعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد بعد ان أوقعه سابقا في العذاب الشديد ثم إن شركان أمر أن يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له إركب أيها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وإمتنع عن الركوب وأظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا إن هذا الزاهد الطاهر هو الذي قال في مثله الشاعر

صلى وصام لامر كان يطلبه   لما انقضى الامر لا صلى ولا صاما

ثم أن ذلك الزاهد ما زال ماشيا بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وسار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان في حالة الانكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الأبرار والفجار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٢٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السبب في خزل المسلمين أن اللعينة ذات الدواهي عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان وأخيه ضوء المكان سارت هي نحو عسكر المسلمين وأنفذت الأمير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك أن تفرق بين عسكر المسلمين لاجل أن يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت أدلوا حبلا لاربط فيه هذا الكتاب وأوصلوه إلي ملككم أفريدون ليقرأه هو وولدي ملك الروم ويعملان بما فيه من أوامره ونواهيه فادلوا لها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهي إلى الملك أفريدون أما بعد فاني دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد أسرتهم وأسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت الى عسكرهم وأخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى أرسلت منهم اثني عشر الف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين وما بقي منهم الا القليل فالمراد منكم أنكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم في بقية هذا النهار وتهجمون عليهم في خيامهم ولكنكم لا تخرجون الا سواء واقتلوهم عن آخرهم فان المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطفت عليكم وأرجو من المسيح أن لا ينسى فعلي الذي قد فعلته فلما وصل كتابها الي الملك أفريدون فرح فرحا شديدا وأرسل في الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهي وأحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال أنظر مكر أمي فانه يغني عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك أفريدون لا أعدم المسيح طلعة أمك ولا أخلاك من مكرك ولؤمك ثم انه أمر البطارقة أن ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة وشاع الخبر في القسطنطينية وخرجت عساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجردوا السيوف الحداد وأعلنوا بكلمة الكفر

والالحاد وكفر وابرب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا أن سلطاننا غائب فربما هجموا علينا وأكثر عساكرنا قد توجه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى ياعسكر المسلمين وحماة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان صبرتم نصرتم فاعلموا أن الشجاعة صبر ساعة وماضاق أمر الا أوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٢٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب قال لجيش المسلمين بارك الله عليكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبر المسلمون وصاحت الموحدون ودارت رحي الحرب بالطعن والضرب وعملت الصوارم والرماح وملأ الدم الاودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان وأعلن المسلمون بالتكبير للملك الديان وصاحوا بتلاوة القران واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرءوس عن الابدان وطافت الملائكة الاخيار على أمة النبي المختار ولم يزل السيف يعمل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أحاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا أن ينجوا من العذاب المبين وطمع المشركون فى أهل الايمان الى أن طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا أن الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على ساق وقدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقضى قاضى الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن السروج وامتلأت بالاموات المروج وتأخرت المسلمون عن أماكنها وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينماهم كذلك واذا بقدوم شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما أقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك أمير الديلم بهرام ورستم وأخوه تركاش فانهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم وغابت معقولهم وثار الغبار حتى ملأ الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار باصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنأه بتأييده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على أعدائهم وأخلصوا لله فى جهادهم فلما نظر الكفار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور ونادوا يوحنا ومريم والصليب المسخم وانقبضت أيديهم عن القتال وقد اقبل الملك افريدون على ملك الروم وصار أحدهما الى الميمنة والآخر فى الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا للنزال وان كانوا في فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك اقبل شركان على أخيه ضوء المكان وقال له ياملك الزمان لاشك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن احب ان اقدم من العسكر من له عزم ثابت فانه التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد ياصاحب الراى السديد فقال شركان اريد ان اكون في قلب عسكر الكفار وان يكون الوزير دندان فى الميسرة وانت فى الميمنة والامير بهرام فى الجناح الايمن والامير رستم فى الجناح الايسر وانت ايها الملك العظيم تكون تحت الاعلام

والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل امر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينماهم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبردعتها من ابيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال انى رسول اليكم اجمعين وما على الرسول الا البلاغ فاعطونى الامان والاقالة حتى ابلغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدى السلطان وخضع له خضوع راجي الاحسان فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال انى رسول من عند الملك افريدون فانى نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهياكل الرحمانية وبينت له أن الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين في الهيجاء فاجابنى الى ذلك وهو يقول لكم انى فديت عسكرى بروحى فليفعل ملك المسلمين مثلى ويفدى عسكره بروحه فان قتلنى فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر المسلمين ثبات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٢٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن رسول الملك افريدون لما قال للمسلمين ان قتل ملك المسلمين فلا يبقى لعسكره ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا أجبناه الى ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكون منه خلاف وها انا ابرز اليه وأحمل عليه فانى فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلنى فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر فارجع اليه ايها الراهب وقل له ان البراز يكون فى غد لاننا أتينا من سفرنا على تعب فى هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم وأخبرهما بذلك ففرح الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال فى نفسه لا شك ان شركان هذا هو أضربهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهى كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له أن شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا عظيما لانه كان يقاتل بانواع القتال ويرمى بالحجارة والنبال ويضرب بالعمود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلما سمع قول الراهب من ان شركان أجاب الى البراز كاد ان يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم أنه لا طاقة لاحد به ثم بات الكفار تلك الليلة فى فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح اقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز فى الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد وفى صدره مرآة من الجوهر وفى يده صارم ابتر وقنطارية خلنجية من غريب عمل الافرنج ثم أن الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفنى فقد اكتفانى ومن لم يعرفنى فسوف يرانى انا افريدون

المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تم كلامه حتى خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر يساوي القامن الذهب الاحمر وعليه عدة مزركشة بالدر والجوهر وهو متقلد بسيف هندي مجوهر يقد الرقاب و يهون الامور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى افريدون وقال له ويلك ياملعون اتظنني كمن لاقيت من الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كأنهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كروفر وهزل وجد وضرب وطعن والجيشان ينظران اليهما و بعضهم يقول ان شركان غالب والبعض يقول انه افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل و القال وعلا الغبار و ولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال وحق المسيح والاعتقاد الصحيح ما أنت الا فارس كرار و بطل مغوار غير أنك غدار وطبعك ماهو الا طبع الاخيار لاني أرى فعلك غير حميدة وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبونك الى العبيد وها هم أخرجوا لك غير جوادك وتعود إلى القتال واني وحق ديني قد أعياني قتالك وأتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيأ من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول أصحابه في حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان وأراد أن يسير اليهم و يأمرهم أن لا يغيروا له جوادا ولا عدة واذا بافريدون هز حربته وأرسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد أحدا فعلم أنها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد أدركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف أنه قد قتل فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت أهل الطغيان وبكت اهل الايمان فلما رأى ضوء المكان أخاه مائلا على الجواد حتى كاد ان يقع أرسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال وأتوا به اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني وكان أسبق الناس الى شركان الوزير دندان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٢٥)قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما راى اللعين قد ضرب اخاه شركان بالحربة ظن انه مات فارسل اليه الفرسان وكان اسبق الناس اليه الوزير دندان وامير الترك بهرام وامير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فاسندوه ورجعوا به الى اخيه ضوء المكان ثم اوصوا به الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال و بطل القيل والقال فلا يرى الا دم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل في الاعناق واشتد الشقاق الى ان ذهب اكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلوا الارض بين يديه وهنأه القسوس

والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسى مملكته واقبل عليه ملك الروم وقال له قوى المسيح ساعدك واستجاب من الام الصالحة ذات الدواهي ماتدعو به لك واعلم ان المسلمين ما بقى لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون فى غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولون الادبار ويركنون الى الفرار هذا ما كان من أمر الكفار وأما ما كان من أمر عساكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده فى أسوأ الاحوال وأشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفى آخر الليل أقبل عليهم الزاهد وهو يبكى فلما رآه ضوء المكان قام اليه فلمس بيده على أخيه وتلى شيأ من القرآن وعوذه بآيات الرحمن ومازال سهرانا عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وأدار لسانه فى فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانني بخير فى هذه الساعة وقد عمل على هذا الملعون حيلة ولولا أنى زغت أسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدرى فالحمد لله الذى نجانى وكيف حال المسلمين فقال ضوء المكان هم فى بكاء من أجلك فقال انى بخير وعافية واين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فمال اليه وقبل يديه فقال الزاهد يا ولدى عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لى فدعا له فلما اصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح واراد الملك ضوء المكان وافريدون أن يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا اقعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب بالسيف والسنان حتى أذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين وفى الميسرة فقتل منها بطريقين ونادى فى وسط الميدان اين افريدون حتى اذيقه عذاب الهوان فاراد الملعون أن يولى وهو مغبون فاقسم عليه ضوء المكان أن لا يبرح من الميدان وقال له يا ملك بالامس كان قتال أخي واليوم قتالى وأنا بشجاعتك لا أبالى ثم خرج وبيده صارم وتحته حصان كأنه عنتر فى حومة الميدان وذلك الحصان أدهم مغاير كما قال فيه الشاعر

قد سابق الطرف بطرف سابق ... كأنه يريد ادراك القدر
دهمته تبدى سوادا حالكا ... كأنها ليل إذا الليل عكر
صهيله يزعج من يسمعه ... كأنه الرعد اذا الرعد زجر
لو سابق الريح جرى من قبلها ... والبرق لا يسبقه إذا ظهر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترس من مضاربه وأظهر ما فى بطنه من عجائبه واخذا فى

الكر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر المقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية أفريدون وضربه ضربة أطاح بها رأسه وقطع أنفاسه فلما نظرت الكفار إلى ذلك حملوا جميعا عليه وتوجهوا بكليتهم اليه فقابلهم في حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضج المسلمون بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وقاتلوا قتالا شديدا وأنزل الله النصر على المؤمنين والخزي على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر النعمان وثار ولده شركان وكشف برأسه وصاح يا للاتراك وكان بجانبه أكثر من عشرين الف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار وتولي الأدبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتل منهم نحو خمسين الف فارس وأسروا ما يزيد على ذلك وقتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم أغلقوا الباب وطلعوا فوق الاسوار وخافوا خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين وأتوا خيامهم ودخل ضوء المكان على أخيه فوجده في أسر الاحوال فسجد وشكر الكريم المتعال ثم أقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال له شركان إننا كلنا في بركة هذا الزاهد الأواب وما انتصرنا إلا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٣٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما دخل على أخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح وأقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال ان شركان قال اننا كلنا في بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه ما برح اليوم يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت أنكم منصورون على أعدائكم فاحك لي يا أخي ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون أفريدون وأخبره انه قتله وراح الى لعنة الله فاثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل ولدها أفريدون انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها أخفت ذلك وأظهرت للمسلمين انها فرحت وانها تبكي من شدة الفرح ثم انها قالت في نفسها وحق المسيح ما بقي في حياتي فائدة ان لم أحرق قلبه على أخيه شركان كما أحرق قلبي على عماد الملة النصرانية والسادة الصليبية الملك أفريدون ولكنها كتمت ما بها ثم ان الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزق والادهان وأعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا وأعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا في غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغي ان تتوجهوا الى أماكنكم وتناموا ولا تسهروا فاجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه وما بقي عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان فلما غلب عليهم النوم صاروا مثل الاموات هذا ما كان من أمر شركان وغلمانه (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت الى شركان فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كانها دبة معطاء أو آفة



﴿العجوزة شواهي ذات الدواهي و بيدها خنجر وهي داخلة﴾
﴿على شركان وهو غرقان فى النوم هو وغلمانه﴾

نقطاء وأخرجت من وسطها خنجر امسموما لو وضع على صخرة لاذابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجردته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤوسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة وأتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا فى هذا الوقت اني سمعت صوت ولي من أولياء الله وانا ذاهب اليه ثم ولت فقال الوزير دندان فى نفسه والله لاتبع هذا الزاهد فى هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما أحست الملعونة بمشيه عرفت انه وراءها فخشيت أن تفتضح وقالت فى نفسها ان لم أخدعه بحيلة فاني أفتضح فاقبلت اليه وقالت أيها

الوزير اني سائر خلف هذا الولي لاعرفه وبعد ان أعرفه استأذنه في مجيئك اليه واقبل عليك واخبرك لانى أخاف أن تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامه استحى ان يرد عليه جوابا فتركها ورجع الى خيمته وأراد أن ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا أن تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه انا أمضي الى شركان واتحدث معه الى الصباح فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا منه كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة أزعجت كل من كان نائما فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان شركان أخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى ان دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة أخيه بلا رأس فغاب من الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام واما الحاجب فانه صاح وأكثر من النواح ثم طلب الارتحال لما به من الاوجال فقال الملك أما علمتم بالذي فعل باخي هذه الفعال ومالي لا أرى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبي نفر منه في الاول والآخر لانني أعرف ان كل متنطع في الدين خبيث ماكر ثم ان الناس ضجوا بالبكاء والنحيب وتضرعوا الى القريب المجيب ان يوقع في أيديهم ذلك الزاهد الذي هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٣٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملعونة لما فرغت من الداهية التي عملتها والمخازي التي لنفسها أبدتها أخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهي ذات الدواهي الى حضرة المسلمين اعلموا انى دخلت بلادكم وغششت بلؤمي كرامكم وقتلت سابقا ملككم عمر النعمان في وسط قصره وقتلت أيضا في واقعة الشعب والمغارة رجالا كثيرة وآخر من قتلته بمكري ودهائي وغدري شركان وغلمانه ولو ساعدني الزمان وطاوعني الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وانا الذي أتيت اليكم في زي الزاهد وانطلت عليكم مني الحيل والمكايد فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك أنفسكم فعن الاقامة لا تعدلوا فلو أقمتم سنين وأعواما لا تبلغون منا مراما وبعد أن كتبت الكتاب أقامت في حزنها على الملك أفريدون ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع دعت بطريقا وأمرته أن يأخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكي على فقد أفريدون وقالت لمن تسلطن بعده لا بد أن أقتل ضوء المكان وجميع أمراء الاسلام هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر المسلمين فانهم أقاموا ثلاثة أيام في هم واغتمام وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معه سهم نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فأمر السلطان الوزير دندان أن يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه وصاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبي نافرا منها

فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا أحول من هنا حتى أملأ فرجها بمسيح الرصاص واسجنها اسجن الطير في الاقفاص و بعد ذلك أصلبها من شعرها على باب القسطنطينية ثم تذكر أخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي وأخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم ان المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان انه ان فتح المدينة فرق أموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم يجف دمعه حزنا على أخيه واعترى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقر عينا فان أخاك مامات الا باجله وليس في هذا الحزن فائدة وما أحسن قول الشاعر

مالا يكون فلا يكون بحيلة ۔ أبدا وماهو كائن سيكون
سيكون ماهو كائن في وقته وأخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنوح وقو قلبك لحمل السلاح فقال ياوزير ان قلبي مهموم من أجل موت أبي وأخي ومن أجل غيابنا عن بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون ومازالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة أمير من أمرائه مضمونها ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان اخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ماراوه من العجائب والغرائب وقد أمرت العلماء والخطباء أن يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلاة واننا طيبون بخير والامطار كثيرة وان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال له ضوء المكان اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٣٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك قال للوزير دندان اني أريد ان أترك هذا الحزن واعمل لاخي ختمات وأمورا من الخيرات فقال الوزير نعم ما أردت ثم أمر بنصب الخيام على قبر أخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ و بعضهم يذكر الله الى الصباح ثم انهم انصرفوا الى الخيام واقبل السلطان على الوزير دندان واخذا يتشاوران في امر القتال واستمرا على ذلك اياما وليالي وضوء المكان يتضجر من الهم والاحزان ثم قال اني اشتهي سماع اخبار الناس واحاديث الملوك وحكايات المتيمين لعل الله يفرج مابقلبي من الهم الشديد ويذهب عني البكاء والعديد فقال الوزير ان كان مايفرج همك الاسماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فان هذا امر سهل لانني لم يكن لي شغل في حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفي هذه الليلة احدثك بخبر العاشق والمعشوق لاجل ان ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الا بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع مايحكيه الوزير دندان من اخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين

فاصدق ان الليل اقبل حتي امر بايقاد الشموع والقناديل واحضار مايحتاجون اليه من الأكل والشرب وآلات البخور فاحضر واله جميع ذلك ثم ارسل الى الوزير دندان فحضر وارسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضروا جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل واسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكي لنا ماوعدتنا من الحكايات فقال الوزير حباوكرامة . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٢٩) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الي الوزير دندان وقال إعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكى لنا ماوعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة

حكاية العاشق والمعشوق

اعلم ايها الملك السعيد إنه كان فى سالف الزمان مدينة وراء جبال أصبهان يقال لها المدينة الخضرا وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود واحسان وعدل وامان وفضل وإمتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره فى سائر الاقطار والبلدان وأقام فى المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عز وأمان الا انه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق انه أرسل الى وزيره يوما من الايام وأحضره بين يديه وقال له ياوزير انه ضاق صدرى وعيل صبرى وضعف مني الجلد لكونى بلا زوجة ولا ولد وماهذا سبيل الملوك الحكام على كل أمير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفة الاولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقد قال النبي ﷺ تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأى ياوزير فاشر على بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالانسجام وقال هيهات ياملك الزمان ان أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن أتريد أن أدخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم أيها الوزير ان الملك اذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لا يدرى خساسة أصلها حتى يجتنبها ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها فأفضى اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظالما سفاكا للدماء ويكون مثلها مثل الأرض السخبة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما أمره به ولا يجتنب ما عنه نهاه فانا لا أسبب فى هذا بشراء جارية أبدا وانما مرادى ان تخطب لى بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتنى على ذات النسب والدين من بنات ملوك المسلمين فانى أخطبها واتزوج بها على رؤوس الاشهاد ليحصل لى بذلك رضا رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك و بلغك أمنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم أيها الملك انه بلغنى ان الملك زهرشاه صاحب الارض البيضاء له بنت بارعة فى الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها فى غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر

طويل وخصر نحيل وردف ثقيل إن أقبلت فتنت وإن أدبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها ... لم يحك طلعتها شمس ولا قمر
كأنما ريقها شهد وقد مزجت ... به المدامة لكن ثغرها درر
ممشوقة القد من حور الجنان لها ... وجه جميل وفى ألحاظها حور
وكم لها من قتيل مات من كمد ... وفى طريق هواها الخوف والخطر
إن عشت فهى المنى ماشئت أذكرها ... أو مت من دونها لم يجد في العمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأي عندي أيها الملك أن يرسل إلى أبيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجربا بالتصاريف الدهور ليتلطف فى خطبتها لك من أبيها فإنها لا نظير لها فى قاصى الارض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا رهبانية فى الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم أقبل على الوزير وقال اعلم أيها الوزير أنه لا يتوجه لهذا الامر إلا أنت لكمال عقلك وأدبك فقم إلى منزلك واقض أشغالك وتجهز فى غد واخطب لى هذه البنت التى أشغلت بها خاطرى ولا تعد لى إلا بها فقال سمعا وطاعة ثم إن الوزير توجه إلى منزله واستدعى بالهدايا التى تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف فى الحمل وثقيل فى الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال التى يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والاعلام وأوصاه الملك ان يأتى اليه في مدة قليلة من الايام و بعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالى النار مشغولا بحبها فى الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوى برارا وأقفارا حتى بقى بينه و بين المدينة التى هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطىء نهر وأحضر بعض خواصه وأمره أن يتوجه إلى الملك زهر شاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة إلى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه أن الملك زهر شاه كان جالسا فى بعض المنتزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف أنه غريب فامر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول أخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمان شاه صاحب الارض الخضراء وجبال أصفهان ففرح الملك زهر شاه ورحب بالرسول وأخذه و توجه إلى قصره وقال أين فارقت الوزير فقال فارقته على شاطىء النهر الفلانى وفى غد يكون واصلا اليك وقادما عليك أدام الله نعمته عليك ورحم والديك فامر زهر شاه بعض وزرائه أن يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته ويخرج بهم إلى مقابلته تعظيما للملك سليمان شاه لأن حكمه نافذ فى الارض هذا ما كان من أمر الملك زهر شاه (وأما) ما كان من أمر الوزير فانه استقر فى مكانه إلى نصف الليل ثم رحل متوجها إلى المدينة فلما لاح الصباح وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح لم يشعر إلا ووزير الملك

زهرشاه وحجابه وأرباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فايقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا إلى قصر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر إلى سابع دهليز وهو المكان الذي لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجل الوزير وسعي على قدميه حتى وصل إلى إيوان عال وفي صدر ذلك الايوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله أربعة قوائم من أنياب الفيل وعلى ذلك



﴿ وزير الملك سليمان شاه عندما دخل على الملك زهر شاه وقبل يديه ﴾

السرير مرتبة من الاطلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمر ومن فوقها سرادق بالدر والجوهر

والملك زهر شاه جالس على ذلك السرير وأرباب دولته واقفون في خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه وأطلق لسانه وأبدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٣٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهر شاه قربه الملك زهر شاه وأكرمه غاية الاكرام وأجلسه بجانبه وتبسم في وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالا على ذلك إلى وقت الصباح ثم قدموا السماط في ذلك الايوان فأكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفع السماط وخرج كل من في المجلس ولم يبق إلا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه وأثنى على الملك وقبل الارض بين يديه ثم قال أيها الملك الكبير والسيد الخطير إني سعيت اليك وقدمت عليك في أمر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو اني قد أتيتك رسولا خاطبا وفي بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال أصفهان وقد أرسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو في مصاهرتك راغب فهل أنت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهر شاه ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك أثنى على ذي الجلال والاكرام وقال وهو في حالة القيام أيها الوزير المعظم والسيد المكرم اسمع ما أقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه وتتشرف بنسبه ونتنافس فيه وابنتي جارية من جملة جواريه وهذا لجل مرادي ليكون ذخري واعتمادي ثم انه أحضر القضاة والشهود وشهدوا ان الملك سليمان شاه وكل وزيره في الزواج وتولى الملك زهر شاه عقد ابنته بابتهاج ثم ان القضاة احكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير وأحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهر شاه ثم ان الملك أخذ في تجهيز ابنته واكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر في اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيئا مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج اليه العروس أمر الملك باخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش في الصناديق وهيئوا الجواري الروميات والوصائف التركيات وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٣١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ثم انهم أحضروا الوصائف التركيات والعبيد العروسة بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع محفة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وأفردلها عشر بغال للمسير وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كأنها حوراء من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم حزموا الذخائر والاموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهر شاه معهم قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن معه ورجع الى الاوطان في فرح وأمان وتوجه الوزير بابنة الملك وسار ولم يزل يطوي المراحل والقفار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٣٢) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير توجه بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجد السير فى الليل والنهار حتى بقى بينه وبين بلاده ثلاثة أيام ثم أرسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فاسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك وأخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول وأمر عساكره أن يخرجوا فى موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وان يكونوا فى أحسن البهجات وان ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا أمره ونادى المنادى أنه لا تبقى بنت مخدرة ولا حرة موقرة ولا عجوز مكسرة الا وتخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقاءها وسعت كبراؤهم فى خدمتها واتفقوا على ان يتوجهوا بها فى الليل الى قصر الملك واتفق أرباب الدولة على ان يزينوا الطريق وأن يقفوا حتى تمر بهم العروسة والخدم قدامها والجوارى بين يديها وعليها الخلعة التى أعطاها لها أبوها فلما أقبلت أحاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها الى أن قربت من القصر ولم يبق أحد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة الى باب السر فاضاء المكان ببهجتها وأشرقت جهاته بحلى زينتها فلما أقبل الليل فتح الخدم أبواب السرادق ووقفوا وهم محيطون بالباب ثم جاءت العروسة وهى بين الجوارى كالقمر بين النجوم أو الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك وأوقع الله محبتها فى قلبه فازال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والسهر وأقام عندها نحو شهر فعلقت منه فى أول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل فى رعيته الى ان وفت اشهرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٣٣) قالت بلغنى ان الملك عندما جلس على سرير مملكته الى أن وفت أشهرها وفى آخر ليلة الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسى الطلق وهون الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا وأعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

الله خول منه آجام العلا ... أسدا وآفاق الرياسة كوكبا
هشت لمطلعه الاسنة والاسره ... والمحافل والجحافل والظبى
لا تركبوه على النهود فانه ... ليرى ظهور الخيل أوطأ مركبا
ولتفطموه عن الرضاع فانه ... ليرى دم الاعداء أحلى مشربا

ثم ان الدايات أخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدى الدلال وتربى فى حجر الاقبال ولا زالت الايام تجرى والاعوام تمضى حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة

والادب فسكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه منه الملك أحضره من عند الفقهاء والمعلمين وأحضر له أستاذاً يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربعة عشر سنة وكان إذا خرج لبعض أشغاله يفتتن به كل من رآه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٣٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن تاج الملوك خاران بن الملك سليمان شاه لما مهر فى الفروسية وفاق أهل زمانه صار من فرط جماله إذا خرج إلى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت في محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر

عانقته فسكرت من طيب الشذا ... غصنا طيبا بالنسيم قد اغتذى
سكران ماشرب المدام وإنما ... أمسى بخمر رضابه متنبذا
أضحى الجمال باسره فى أسره ... فلاجل ذلك على القلوب استحوذا
والله ماخطر السلو بخاطرى ... مادمت فى قيد الحياة ولا إذا
ان عشت عشت على هواه وان مت ... وجدا به وصبابة ياحبذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما و بلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خاران أصحاب وأحباب وكل من تقرب اليه يرجو إنه يصير سلطانا بعد موت أبيه وان يكون عنده أميرا ثم انه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق انه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة أيام فامتثلوا ماأمرهم به فلما خرج باتباعه للصيد والقنص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٣٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان تاج الملوك لما أمر خدامه بالخروج وسار وافى البر ولم يزالوا سائرين أربعة أيام حتى أشرفوا على أرض خضراء فرأوا فيها وحوشا راتعة واشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها و يكون اجتماعنا عند رأس الحلقة فى المكان الفلانى فامتثلوا أمره ونصبوا الحبائل وأوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شيء كثير من أصناف الوحوش والغزلان الى ان ضجت منهم الوحوش وتنافرت فى وجوه الخيل فاغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فاصابوا مقاتل الوحوش وماوصلوا الى آخر الحلقة الا وقد أخذوا من الوحوش شيئا كثيرا وهرب الباقى و بعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء وأحضر الصيد وقسمه وأفرد لابيه سليمان شاه خاص الوحوش وأرسله اليه وفرق البعض على أرباب دولته وبات تلك الليلة فى ذلك المكان فلما أصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض أصحابه ائتنى بخبر هؤلاء واسألهم لاى شيء نزلوا فى هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم اخبرونا من أنتم واسرعوا فى رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا فى هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه و ولده ونعلم ان كل من نزل

عنده صار في أمان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من أجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال وأخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك اذا كان معهم شيء جاؤا به من أجلي فما أدخل المدينة ولا أرحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى أن أشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة من الدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وأرسل الى التجار وأمرهم أن يحضروا بجميع مامعهم فاقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضائعهم وأخذ منها ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب وأراد أن يسير فلاحت منه التفاته الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني بجبين أزهر ووجه أقمر الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٣٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان تاج الملوك لاحت منه التفاته الي القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعانى الا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وزاد به الانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الأبيات

طال الفراق ودام الهم والوجل ... والدمع فى مقلتي ياصاح منهمل
والقلب ودعته يوم الفراق وقد ... بقيت فردا فلا قلب ولا أمل
ياصاحبي قف معي حتي أودع من ... من نطقها تشفى الامراض والعلل

ثم ان الشاب بعدما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشى عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير فى أمره وتمشى اليه فلما أفاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على رأسه فنهض قائما على قدميه وقبل الأرض بين يديه فقال له تاج الملوك لأى شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يامولاى ان بضاعتى ليس فيها شيء يصلح لسعادتك فقال لا بد أن تعرض علي مامعك وتخبرنى بحالك فانى أراك باكي العين حزين القلب فان كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من أجلك حين رأيتك ثم إن تاج الملوك أمر بنصب كرسى فنصبوا له كرسيا من العاج والأبنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وأمر الشاب أن يجلس على البساط وقال له اعرض علي بضاعتك فقال له الشاب يامولاي لا تذكرلي ذلك فان بضاعتى ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لا بد من ذلك ثم امر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهرا عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأن واشتكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

بما بجفنيك من غنج ومن كحل ... وما بقدك من لين ومن ميل

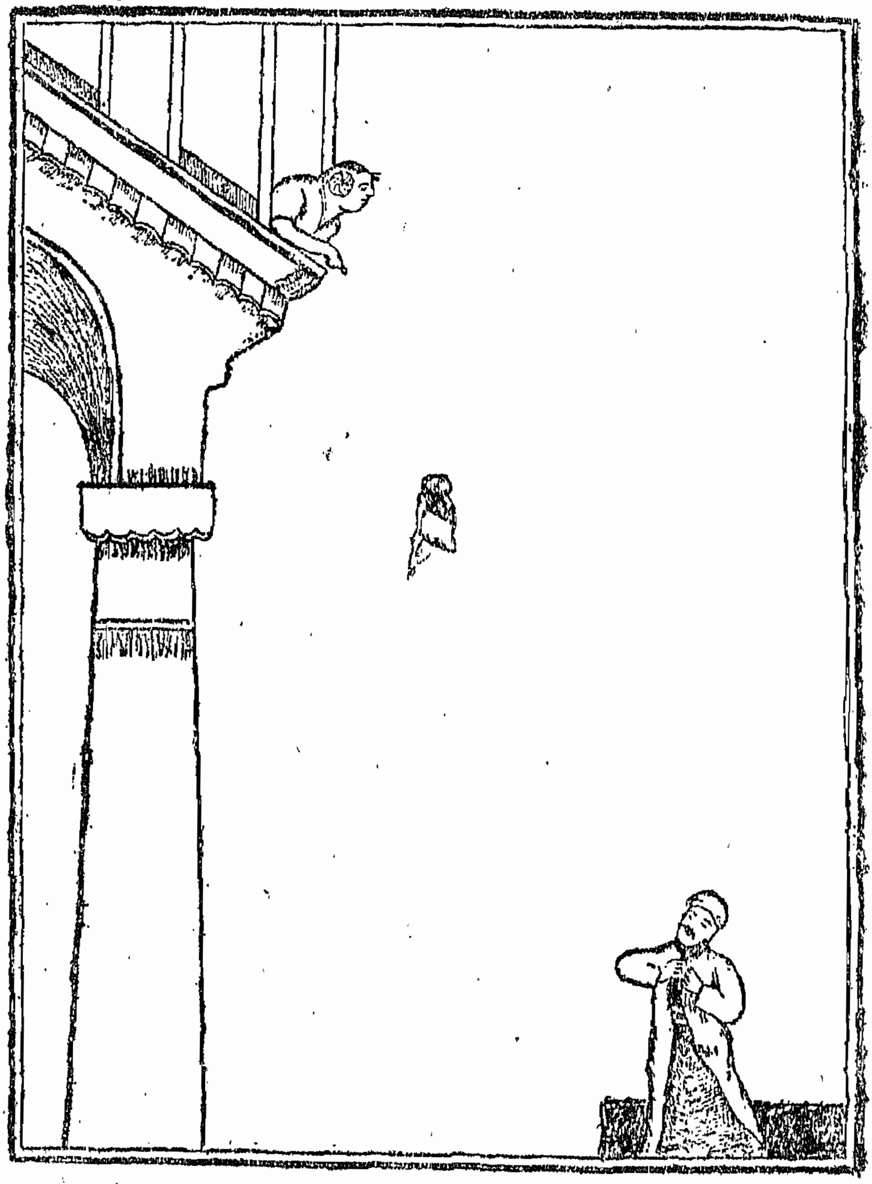
وما بثغرك من خمر ومن شهد   وما بعطفك من لطف ومن ملل

عندي زيارة طيف منك يا أملي   أحلى من الامن عند الخائف الوجل

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة وأخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوى الف دينار فلما فتح الثوب وقع من وسطه خرقة فأخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه فقال له تاج الملوك ماهذه الخرقة فقال يامولاى ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك أرني اياها قال له يامولاى أنا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لأجلها فاني لا أقدر على أنك تنظر اليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٣٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك إلا لاجلها فاني لا اقدر على انك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لا بد من كوني أنظر اليها وألح عليه واغتاظ فاخرجها من تحت ركبتيه وبكى فقال له تاج الملوك أرى احوالك غير مستقيمة فاخبرني ماسبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال يامولاى ان حديثي عجيب وأمري غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال آخر وهي مرقومة بالفضة وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذي علم الانسان مالم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له احك لى قصتك مع صاحبة هذا الغزال فقال الشاب اعلم يامولاى ان ابي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيري وكان لى بنت عم تربيت انا واياها في بيت ابي لان اباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وابي على ان يزوجاني بها فلما بلغت مبلغ الرجال و بلغت هي مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها ثم تحدث والدي مع امي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة واتفق مع امي على هذا الامر ثم شرع ابي في تجهيز مؤن الولائم هذا كله وانا و بنت عمي ننام مع بعضنا في فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هى اشعر مني واعرف وأدري فلما جهز أبي أدوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمي اراد أبي أن يكتب الكتاب بعد صلاة الجمعة ثم توجه إلى أصحابه من التجار وغيرهم وأعلمهم بذلك ومضت امي عزمت صواحباتها من النساء ودعت أقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا في دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج اليه الامر بعد أن زوقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس أن يجيئوا بيتنا بعد صلاة الجمعة ثم مضى أبي وعمل الحلويات واطباق السكر ومابقى غير كتب الكتاب وقد أرسلتني امي إلى الحمام وأرسلت خلفي بدلة جديدة من أفخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية عبقت في الطريق ثم أردت أن أذهب الى الجامع فتذكرت صاحبا لي فرجعت أفتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت

في نفسي اشتغل بهذا الامر الى أن يقرب وقت الصلاة ثم انى دخلت زقاقا ما دخلته قط وكنت عرقان من أثر الحمام والقماش الجديد الذي على جسدى فساح عرقى وحت روائحي فقعدت في رأس الزقاق



﴿ الشاب الذى يحكى لتاج الملوك عندما التى اليه المنديل من النافذة ﴾
﴿ ونظر الصبية التى القته ﴾

لارتاح على مصطبة وفرشت تحتى منديلا مطرزا كان معى فاشتد على الحر فعرق جبينى وصار العرق ينحدر على وجهى ولم يمكن مسح العرق عن وجهى بالمنديل لانه مفروش تحتى فاردت أن آخذ ذيل فرجيتي وأمسح وجنتي فما أدري إلا ومنديل أبيض وقع على من فوق وكان ذلك المنديل أرق من

النسيم ورؤيته الطف من شفاء السقيم فمسكته بيدى ورفعت رأسى إلى فوق لانظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال وأدرك شهرزاد الصبح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٣٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسى إلى فوق لانظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة من شباك من نحاس لم تر عينى أجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لسانى فلما رأتنى نظرت اليها وضعت أصبعها فى فمها ثم أخذت أصبعها الوسطاني والصقته بأصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم أدخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت فى قلبى النار وزاد بى الاستعار واعقبتنى النظرة الف حسرة وتحيرت لانى لم اسمع ماقالت ولم أفهم مابه أشارت فنظرت إلى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت إلى مغيب الشمس فلم أسمع حسا ولم أر شخصا فلما يئست من رؤيتها قمت من مكانى وأخذت المنديل معى ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لى من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأننى فى الجنة ثم نشرته بين يدى فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بارواح الزكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بعثت له أشكوه من ألم الجوى ... بخط رقيق والخطوط فنون
فقال خليلى ما لخطك هكذا ... رقيقا دقيقا لايكاد يبين
فقلت لانى فى نحول ودقة ... كذا خطوط العاشقين تكون

ثم بعد أن قرأت الابيات أطلقت فى بهجة المنديل نظر العين فرأيت فى إحدى حاشيته تسطير هذين البيتين

كتب العذار وياله من كاتب ... سطرين فى خديه بالريحان
واحيرة القمرين منه إذا بدا ... واذا انثنى واخجلة الاغصان

وسطر فى الحاشية الاخرى هذان البيتان

كتب العذار بعنبر فى لؤلؤ ... سطرين من سبج على تفاح
القتل فى الحدق المراض إذا رنت ... والسكر فى الوجنات لافى الراح

فلما رأيت ماعلى المنديل من الاشعار انطلق فى فؤادى لهيب النار وزادت بى الاشواق والافكار وأخذت المنديل والورقة وأتيت بهما إلى البيت وأنا لاأدرى لى حيلة فى الوصال ولا أستطيع فى العشق تفصيل الاجمال فما وصلت إلى البيت إلا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمى جالسة تبكى فلما رأتنى مسحت دموعها واقبلت على وقلعتنى الثياب وسألتنى عن سبب غيابى وأخبرتنى أن جميع الناس من أمراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا فى بيتنا وحضر القاضى والشهود واكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورك من أجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورك تفرقوا وذهبوا إلى حال سبيلهم وقالت لى أن أباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لايكتب كتابنا إلا فى السنة القابلة لانه غرم فى هذا الفرح مالا كثيرا

ثم قالت لي ما الذي جرى لك في هذا اليوم حتى تأخرت إلى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لي كذا وكذا وذكرت لها المنديل واخبرتها بالخبر من أوله إلى آخره فاخذت الورقه والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وانشدت هذه الابيات

من قال أول الهوى اختيار فقل كذبت كله اضطرار
وليس بعد الاضطرار عار دلت على صحته أخبار
مازيفت على صحيح النقد فان تشأ فقل عذاب يعذب
أو ضربان في الحشى أو ضرب نصمة أو نقمة أو أرب
تأتنس النفس له أو تعطب قد حرت بين عكسه والطرد
ومع ذا أيامه مواسم وثغرها على الدوام باسم
ونفحات طيبها نواسم وهو لكل ما يشين حاسم
ماحل قط قلب نذل وغد

ثم انها قالت لي فما قالت لك وما أشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشيء غير انها وضعت أصبعها في فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها وأشارت إلى الأرض ثم أدخلت رأسها وأغلقت الطاقة ولم أرها بعد ذلك فاخذت قلبي معها فقعدت إلى غياب الشمس انها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وهذه قصتي واشتهي منك أن تعينيني على ما بليت فرفعت رأسها إلى وقالت يا ابن عمي لو طلبت عيني لاخرجتها لك من جفوني ولا بد أن اساعدك على حاجتك وأساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما انك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما أشارت به قالت أما وضع أصبعها في فمها فانه إشارة إلى أنك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانها تعض على وصالك بالنواجذ وأما المنديل فانه إشارة إلى سلام المحبين على المحبوبين وأما الورقة فانها إشارة إلى أن روحها متعلقة بك وأما وضع أصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره أنها تقول لك بعد يومين تعالى هنا ليزول عني بطلعتك العنا اعلم يا ابن عمي إنها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندي من التفسير لاشارتها ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها في أسرع وقت وأسترك بذيلي قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت في نفسي أنا أصبر يومين ثم قعدت في البيت يومين لا أدخل ولا أخرج ولا آكل ولا أشرب ووضعت رأسي في حجر ابنة عمي وهي تسليني وتقول لي قوي عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٣٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفسا وقر عينا والبس ثيابك وتوجه اليها على الميعاد ثم انها قامت وغيرت اثوابي وبخرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت إلى أن دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رأيتها وقعت مغشيا على ثم أفقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة

رمتني بالأحمر وحين رأتني شمرت عن ساعديها وفتحت أصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس أصابع ثم رفعت يديها وأبرزت المرآة من الطاقة وأخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وأدلته من الطاقة إلى صوب الزقاق ثلاث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطاطت رأسها ثم جذبتها من الطاقة وأغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيران لا اعلم ما أشارت به واستمريت جالسا إلى وقت العشاء ثم جئت إلى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها وأجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الأبيات

مالي وللاحي عليك يعنف ... كيف السلو وانت غصن اهيف
يا طلعة سلبت فؤادي وانثنت ... ما للهوى العذرى عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشا ... ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وليس لي ... جلد على حمل القميص واضعف
ولقد بكيت دما لقول عواذلي ... من جفن من تهوى يروعك مرهف
ياليت قلبي مثل قلبك انما ... جسمي كخصرك بالنحافة متلف
لك يا أميري في الملاحة ناظر ... صعب على وحاجب لا ينصف
كذب الذي قال الملاحة كلها ... في يوسف كم في جمالك يوسف
أتكلفُ الاعراض عنك مخافة ... من أعين الرقباء كم أتكلف

فلما سمعت شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت على الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت الى وحملتني وقلعتني أثوابي ومسحت وجهي بكمها ثم سألتني عما جرى لي فحكيت لها جميع ما حصل منها فقالت يا ابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة أصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة أيام وأما اشارتها بالمرآة وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره أقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يا بنت عمي انك تصدقيني في هذا التفسير لأني رأيت في الزقاق صباغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قوي عزمك وثبت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلد على حر الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم أخذت تسليني بالكلام وأتت لي بالطعام فأخذت لقمة وأردت أن آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفر لوني وتغيرت محاسني لأني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق إلا في هذه المرة فضعفت وضعفت بنت عمي من أجلي وصارت تذكر لي أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة إلى أن أنام وكنت استيقظ فأجدها سهرانة من أجلي ودمعها يجري على خدها ولم أزل كذلك إلى أن مضت الخمسة أيام فقامت ابنة عمي وسخنت لي ماء وحمتني والبستني ثيابي وقالت لي توجه اليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبك فمضيت ولم أزل ماشيا إلى أن أتيت الى رأس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفلة فجلست عليها حتى أذن العصر واصفرت الشمس وأذن المغرب ودخل الليل وانا لا ادرى لها أثرا

ولم اسمع حسا ولا خبراً فخشيت على نفسي وانا جالس وحدي فقمت وتمشيت وانا كالسكران الى ان دخلت البيت فلما دخلت رأيت ابنة عمي عزيزة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق في الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان اهلها ... فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها ... بنار قراه والدموع بورده
باعظم من وجدي بحبي وانما ... يرى انني اذنبت ذنبا بوده

فلما فرغت من شعرها التفتت الي فرأتني ابكي فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهي وقالت لي يا ابن عمي هناك الله بما أعطاك فلأي شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفستها برجلي في صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء في جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٢٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما رفست ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد في جبينها فانفتح جبينها وسال دمها وسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت في الحال واحرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط وكأن ذلك شيء ما كان ثم انها اتتني وتبسمت في وجهي وقالت لي بلين الكلام والله يا ابن عمي ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها وقد كنت مشغولة بوجع رأسي ومسح الدم وفي هذه الساعة قد خفت رأسي وخفت جبهتي فاخبرني بما كان من أمرك في هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لي منها في ذلك اليوم وبعد كلامي بكيت فقالت يا ابن عمي ابشر بنجاح قصدك وبلوغ املك ان هذه علامة القبول وذلك انها غابت عنك لانها تريد ان تختبرك وتعرف هل أنت صابر او لا وهل انت صادق في محبتها او لا وفي غد توجه اليها في مكانك الاول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت افراحك وزالت اتراحك وصارت تسليني على ما بي وانا لم ازل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لي الطعام فرفسته فانكبت كل زبدية في ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لا يميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لي ابنة عمي عزيزة والله يا ابن عمي ان هذه علامة المحبة وسالت دموعها ولمت شقافة الزبادي ومسحت الطعام وجلست تسايرني وانا ادعو الله ان يصبح الصباح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح توجهت اليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المصطبة واذا بالطاقة قد انفتحت وابرزت رأسها منها وهي تضحك ثم غابت ورجعت وهي معها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة زرعا اخضر وفي يدها قنديل فاول ما فعلت أخذت المرآة في يدها وادخلتها في الكيس ثم ربطته ورمته في البيت ثم ارخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على راس الزرع لحظة ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت واغلقت الطاقة فانفطر قلبي من هذا الحال ومن اشاراتها الخفية ورموزها الخفية وهي لم تكلمني بكلمة قط فاشتد

فاشتد ذلك غرامي وزادوجدي وهيامي ثم انى رجعت على عقبي وانا باكي العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت بنت عمي قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها منعتها ان تخبرني بشيء مما عندها من الغرام لمارات ما انا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرأيت على راسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينيها بسبب وجع اصابها من شدة بكاها وهي في أسوأ الحالات تبكي وتنشد هذه الابيات

أينما كنت لم تزل بامان أيها الراحل المقيم بقلبي
ولك الله حيث امسيت جار منقذ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لبعدك عيني واستهلت مدامعي أى سكب
ليت شعري باى ارض ومغنى انت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شربك القراح زلالا فدموعي من المحاجر شربي
كل شيء سوى فراقك عذب كالتجافي بين الرقاد وجنبي

فلما فرغت من شعرها نظرت الى فرأتني وهي تبكي فمسحت دموعها ونهضت الى ولم تقدر أن تتكلم مما هي فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمي اخبرني بما حصل لك منها في هذه المرة فاخبرتها بجميع ما حصل لي فقالت لي اصبر فقد آن أوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك أما اشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها في الكيس فانها تقول لك اصبر الى ان تغطس الشمس واما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا اقبل الليل وانسدل سواد الظلام على نور النهار فتعال واما اشارتها لك بالقصرية التي فيها زرع فانها تقول لك اذا اجئت فادخل البستان الذي وراء الزقاق وأما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه وأي موضع وجدت القنديل مضيأ فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرني فان هواك قاتلي فلما سمعت كلام ابنة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعديني واتوجه اليها ولا أحصل مقصودي ولا أجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقي عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم الى أن يولي النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظي بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير يمين ثم أنشدت هذين البيتين

درج الايام تندرج وبيوت الهم لا تلج
رب امر عز مطلبه قربته ساعة الفرج

ثم انها اقبلت علي وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر أن تأتيني بشيء من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي اليها ولم يكن لها قصد الا انها أتت الي وقلعتني ثم قالت يا ابن عمي اقعد معي حتى احدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما يأتي الليل الا وانت عند محبوبتك فلم ألتفت اليها وصرت انتظر مجيء الليل وأقول يارب عجل بمجيء الليل فلما أتى الليل بكت ابنة عمي بكاء شديدا وأعطتني حبة مسك خالص وقالت لي يا ابن عمي اجعل هذه الحبة في فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنيت فانشدها هذا البيتين

الا أيها العشاق بالله خبروا اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم إنها قبلتني وحلفتني أني لا أنشدها ذلك البيت الشعر الا بعد خروجي من عندها فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم أزل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرأيت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبة من العاج والآبنوس والقنديل معلق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القناديل وفي وسط المقعد فسقية فيها انواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج واترج وكباد وبينها أنواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكنني ماوجدت في هذه الدار أحدا من خلق الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٤١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ولم ار عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور فجلست في ذلك المقعد انتظر مجيء محبوبة قلبي الى أن مضى أول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بي ألم الجوع لأن لي مدة من الزمان ما أكلت طعاما لشدة وجدي فلما رأيت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة معشوقتي استرحت ووجدت ألم الجوع وقد شوقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقا من الصيني وفيه اربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق اربع زبادي واحدة حلوى والاخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي ما بين حلو وحامض فأكلت من القطائف وأكلت قطعة لحم وعمدت الى البقلاوة وأكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى وأكلت معلقة أو اثنين أو ثلاثا أو اربعا وأكلت بعض دجاجة وأكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وارتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد ان غسلت يدي فغلبني النوم ولم أعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى احرقني حر الشمس لأن لي أياما ماذقت مناما فلما استيقظت وجدت على بطني ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابي وقد التفت يمينا وشمالا فلم أجد أحدا ووجدت أني كنت نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعي على خدي وتأسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمي تدق بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هب ريح من الحمى ونسيم وأثار الهوى بنشر هبوبه
يا نسيم الصبا هلم الينا كل صب بحظه ونصيبه

لو قدرنا من الغرام اعتنقنا كاعتناق المحب صدر حبيبه
حرم الله بعد وجه ابن عمى كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعرى هل قلبه مثل قلبى ذائب من حر الهوى ولهيبه

فلما رأتنى قامت مسرعة ومسحت دموعها وأقبلت على بلين كلامها وقالت يا ابن عمى أنت فى عشقك قد لطف الله بك حيث أحبك من تحب وأنا فى بكائى وحزنى على فراقك من يلومنى ولكن لا آخذك الله من جهتى ثم إنها تبسمت فى وجهى تبسم الغيظ ولاطفتنى وقلعتنى أثوابى ونشرتها وشمتها وقالت والله ماهذه روائح من حظى بمحبوبه فأخبرنى بما جرى لك يا ابن عمى فأخبرتها بجميع ما جرى لى فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت إن قلبى ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا والله يا ابن عمى إنى خائفة عليك منها واعلم يا ابن عمى أن تفسير الملح هو أنك مستغرق فى النوم فكأنك دلع الطعم بحيث تعارفك النفوس فينبغي لك أن تتملح حتى لا تمجك الطباع لانك تدعى أنك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هى محبتها لك كاذبة لانها لما رأتك نائما لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك وأما الفحم فان تفسير إشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وإنما أنت صغير لم يكن لك همة إلا الأكل والشرب والنوم فهذا تفسير إشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدى على صدرى وقلت والله إن هذا هو الصحيح لانى نمت والعشاق لا ينامون فانا الظالم لنفسى وما كان أضر على من الأكل والنوم فكيف يكون الامر ثم إنى زدت فى البكاء وقلت لابنة عمى دلينى على شىء أفعله وارحمينى يرحمك الله وإلا مت وكانت بنت عمى تحبنى محبة شديدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٢٤٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فقالت لى على رأسى وعينى ولكن يا ابن عمى قد قلت لك مرارا لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها فى أقرب زمن وأغطيكما بذيلى ولا أفعل معك هذا إلا لقصد رضاك وإن شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد فى الجمع بينكما ولكن اسمع قولى واتبع أمرى واذهب إلى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس فى الموضع الذى كنت فيه واحذر أن تأكل شيأ لان الأكل يجلب النوم وإياك أن تنام فانها لا تأتى لك حتى يمضى من الليل ربعه كفاك الله شرها فلما سمعت كلامها فرحت وصرت أدعو الله أن يأتى الليل فلما أردت الانصراف قالت لى ابنة عمى إذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الراس والعين فلما خرجت وذهبت إلى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التى رأيتها أولا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسى اليه فمنعتها مرارا فلم أقدر على منعها فقمت وأتيت إلى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله أربع زبادى من الطعام فيها أربعة ألوان فأكلت من كل لون لقمة وأكلت ما تيسر من الحلوى وأكلت

قطعة لحم وشربت من الزردة وأعجبتني فأكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطني و بعد ذلك انطبقت أجفاني فأخذت وسادة ووضعتها تحت رأسي وقلت لعلي أتكئ عليها ولا أنام فأغمضت عيني ونمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره وكأنه لم يكن فيه شيء بالامس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وأنا مغتاظ إلى أن وصلت إلى البيت فوجدت إبنة عمي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

جسد ناحل وقلب جريح ودموع على الخدود تسيح

وحبيب صعب التجني ولكن كل ما يفعل المليح مليح

يا إبن عمي ملأت بالوجد قلبي إن طرفي من الدموع قريح

فنهرت إبنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها وأقبلت علي وقبلتني وأخذت تضمني إلى صدرها وأنا أتباعد عنها وأعاتب نفسي فقالت لي يا إبن عمي كأنك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنني لما انتبهت وجدت كعب عظم على بطني وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وما أدري لاي شيء فعلت هكذا ثم بكيت وأقبلت عليها وقلت لها فسري لي إشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا أفعل وساعديني على الذي أنا فيه فقالت لي على الراس والعين أما فردة الطاب التي وضعتها على بطنك فانها تشير لك إلى أنك حضرت وقلبك غائب وكأنها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين وأما نواة البلح فانها تشير لك بها إلى أنك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة ألهبت في الفؤاد جمرة واما بزرة الخروب فانها تشير لك به إلى أن قلب المحب مسلوب وتقول لك اصبر على فراقها صبر أيوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت في فؤادي النيران وزادت بقلبي الاحزان فصحت وقلت قدر الله على النوم لقلة بختي ثم قلت لها يا إبنة عمي بحياتي عندك أن تدبري لي حيلة أتوصل بها اليها فبكت وقالت يا عزيز يا ابن عمي إن قلبي ملآن بالفكر ولا أقدر أن أتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان واحذر أن تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأي والسلام فقلت لها ان شاء الله لا أنام وانما أفعل ما تأمريني به فقامت بنت عمي وأتت بالطعام وقالت لي كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى في خاطرك شيء فأكلت كفايتي ولما أتى الليل قامت بنت عمي وأتتني ببدلة عظيمة وألبستني اياها وحلفتني أن أذكر لها البيت المذكور وحذرتني من النوم ثم خرجت من عند بنت عمي وتوجهت الى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عيني بأصابعي وأهز رأسي حين جن الليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٤٣) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك وطلعت من ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح عيني باصابعي وأهز رأسي حين جن الليل فلما طلعت جعت من السهر وهبت علي روائح الطعام فازداد جوعي وتوجهت الى السفرة وكشفت غطاءها

وأكلت من كل لون لقمة وأكلت قطعة لحم وأتيت الى باطية الخمر وقلت في نفسي اشرب قدحاً فشربته ثم شربت الثاني والثالث الى غاية عشرة وقد ضربني الهواء فوقعت على الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسي خارج البستان وعلى بطني شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت وأخذتهما وأتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمي تقول اني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين والدرهم من يدي وغشي علي فلما أفقت من غشيتي عرفتها بما حصل لي وقلت لها اني لم انل اربي فاشتد حزنها على لما رأت بكائي ووجدي وقالت لي اني عجزت وأنا أنصحك عن النوم فلم تسمع نصحي فكلامي لا يفيدك شيأ فقلت لها أسألك بالله أن تفسري لي اشارة السكين والدرهم الحديد فقالت ان الدرهم الحديد فانها تشير بها الى عينها اليمين وانها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعيني اليمين ان رجعت ثاني مرة ونمت لاذبحنك بهذه السكين وأنا خائفة عليك يا ابن عمي من مكرها وقلبي ملآن بالحزن عليك فما أقدر أن أتكلم فان كنت تعرف من أنك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت أنك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمي أسألك بالله أن تساعديني على هذه البليه فقالت على عيني وراسي ولكن ان سمعت كلامي وأطعت أمري قضيت حاجتك فقلت لها اني اسمع كلامك وأطيع أمرك فقالت اذا كان وقت الرواح أقول لك ثم ضمتني الى صدرها ووضعتني على الفراش ولا زالت تكبسني حتى غلبني النعاس واستغرقت في النوم فأخذت مروحة وجلست عند رأسي تروح على وجهي الى آخر النهار ثم نبهتني فلما انتبهت وجدتها عند رأسي وفي يدها المروحة وهي تبكي ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتني استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشيء من الاكل فامتنعت منه فقالت لي أما قلت لك اسمع مني وكل فأكلت ولم أخالفها وصارت تضع الاكل في فمي وأنا أمضغ حتى امتلأت ثم أسقتني نقيع عناب السكر ثم غسلت يدي ونشفتها بمحرمة ورشت على ماء الورد وجلست معها وأنا في عافية فلما أظلم الليل وألبستني ثيابي وقالت يا ابن عمي اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك في هذه الليلة الا في آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها في هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتي ثم بكت فأوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التي وعدتيني بها فقالت لي إذا انصرفت من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وأنا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وأنا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل على حتى كأنه سنة فكنت ساهراً حتى مضى ثلاثة أرباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندي الجوع من السهر فقمت الى السفرة وأكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسي وأردت أن أنام واذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدي وفمي ونبهت نفسي فما كان الا قليل واذا بها أتت ومعها عشر جوار وهي بينهن كأنها البدر بين الكواكب وعليها حلة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهي كما قال الشاعر

تتيه على العشاق فى حلل خضر　　مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التى　　كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت لها ما أقاسى من الهوى　　فقالت الى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة　　فقد أنبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتنى ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت أنك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل فى مكابدة الاشواق ثم أقبلت على الجوارى وغمزتهن فانصرفن عنها وأقبلت على وضمتنى الى صدرها وقبلتنى وقبلتها ومصت شفتى التحتانية ومصصت شفتها الفوقانيه ثم مددت يدي الى خصرها وغمزته وما نزلنا فى لارض الاسواء وحلت سراويلها فنزلت فى خلال رجليها وأخذنا فى الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى أن ارتخت مفاصلها وغشى عليها ودخلت فى الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر

أهنى ليالى الدهر عندى ليلة　　لم أخل فيها الكاس من أعمال
فرقت فيها بين جفنى والكرى　　وجمعت بين القرط والخلخال

فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتنى وقالت لى قف حتى أخبرك بشىء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٤٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك قالت قف حتى اخبرك بشيء وأوصيك وصية فوقفت فحلت منديلا وأخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فاخذته وتواعدت أنا واياها أن أسعى اليها كل ليلة فى ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وأنا فرحان ومن فرحي انسيت الشعر الذى أوصتنى به بنت عمي وحين أعطيتنى الخرقة التي فيها صورة الغزال قالت لى هذا عمل أختى فقلت لها وما اسم أختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودعتها وانصرفت وانا فرحان ومشيت الى أن دخلت على ابنة عمي فوجدتها راقدة فلما رأتنى قامت ودموعها تتساقط ثم أقبلت على وقبلت صدرى وقالت هل فعلت ما أوصيتك به من انشاد بيت الشعر فقلت لها انى نسيته وما شغلنى عنه الا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وأفاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

ياطالبا للفراق مهلا　　فلا يغرنك العناق
مهلا فطبع الزمان غدر　　وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لى هذه الخرقة فوهبتها لها فأخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابى قالت ابنة عمي اذهب مصحوبا بالسلامة ولكن اذا انصرفت من عندها فأنشدها بيت الشعر الذى اخبرتك به أولا ونسيته فقلت لها أعيديه لى فأعادته

ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية فى انتظارى فلما رأتني قامت وقبلتني وأجلستني فى حجرها ثم أكلنا وشربنا وقضينا أغراضنا كما تقدم ولا حاجة الى الاعادة فلما صبح الصباح انشدتها بيت الشعر وهو

ألا أيها العشاق بالله خبروا　　إذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع وأنشدت

يدارى هواه ثم يكتم سره　　ويصبر فى كل الامور ويخضع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي ثم خرجت وأتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وأمي عند رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لى أمي تبالك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لى ياعزيز هل أنشدتها البيت الذي أخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وأنشدتني بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمي أسمعني إياه فلما أسمعتها اياه بكت بكاء شديدا وأنشدت هذا البيت

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد　　له غير قلب فى الصبابة يجزع

ثم قالت ابنة عمي اذا ذهبت اليها على عادتك فانشدها هذا البيت الذي سمعته فقلت لها سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها فى البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما أردت الانصراف أنشدتها ذلك البيت وهو لقد الى آخره فلما سمعته سالت مدامعها فى المحاجر وأنشدت قول الشاعر

فان لم يجد صبرا لكتمان سره　　فليس له عندي سوي الموت أنفع

فحفظته وتوجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشيا عليها وأمي جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عينيها وقالت ياعزيز هل أنشدتها بيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وأنشدتني هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانيا فلما أفاقت أنشدت هذا البيت وهو

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا　　سلامي على من كان للوصل يمنع

ثم لما أقبل الليل مضيت الى البستان على جرى عادتي فوجدت الصبية فى انتظاري فجلسنا وأكلنا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا الى الصباح فلما أردت الانصراف أنشدتها ماقالته ابنة عمي فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتضجرت وقالت والله ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ماتقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمي قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ماعندها لك فانت الذي قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو أخبرتني أن لك ابنة عم ماقربتك مني فقلت لها ابنة عمي كانت تفسر لى الاشارات التى كنت تشيرين بها الي وهي التى علمتني ما أفعل معك وما وصلت اليك الا بحسن تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت

الى رح افطرها فذهبت وخاطري متشوش ومازلت ماشيا حتى وصلت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتني أمي قالت ان خطيئتها في عنقك فلا سامحك الله من دمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتني أمي قالت تبا لك من ابن عم ثم ان أبي جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلاثة أيام ثم رجعت الى البيت وأنا حزين عليها فاقبلت على أمي وقالت لى ان قصدى أن أعرف ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها واني ياولدى كنت أسألها في كل الاوقات عن سبب مرضها فلم تخبرني به ولم تطلعني عليه فبالله عليك أن تخبرني بالذي كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ماعملت شيئا فقالت الله يقتص لها منك فانها ماذكرت لى شيئا بل كتمت أمرها حتى ماتت وهي راضية ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينيها وقالت لى يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حل من دمي ولا آخذه بما فعل معي وانما نقلني الله من الدنيا الفانية الى الآخرة الباقية فقلت لها يابنتي سلامتك وسلامة شبابك وصرت أسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمي اذا أراد ابنك أن يذهب الي الموضع الذى عادته الذهاب اليه فقولى له يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح والغدر قبيح وهذه شفقة مني عليه لاكون شفيقة عليه في حياتي و بعد مماتي ثم أعطتني لك حاجة وحلفتني أني لا أعطيها لك حتى أراك تبكي عليها وتنوح والحاجة عندي فاذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها أعطيتك اياها فقلت لها أريني اياها فما رضيت ثم اني اشتغلت بلذاتي ولم اتذكر في موت ابنة عمي لانى كنت طائش العقل وكنت اود في نفسي ان اكون طول ليلي ونهاري عند محبوبتي وما صدقت أن الليل اقبل حتي مضيت الي البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالى النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها رأتني فبادرت الى وتعلقت برقبتي وسألتني عن بنت عمي فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى لها اربع ليالي وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت اما قلت لك انك قتلتها ولو اعلمتني بها قبل موتها لكنت كافأتها على مافعلت معي من المعروف فانها خدمتني واوصلتك إلى ولولاها ما اجتمعت بك وانا خائفة عليك ان تقع في مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها انها قد جعلتني في حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما أخبرتني به امي فقالت بالله عليك إذا ذهبت الى امك فاعرف الحاجة التي عندها فقلت لها ان امي قالت لى ان ابنة عمك قبل ان تموت اوصتني وقالت لى إذا اراد ابنك ان يذهب إلى الموضع الذى عادته الذهاب اليه فقولي له هاتين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله عليها فانها خلصتك مني وقد كنت اضمرت علي ضررك فأنا لا اضرك ولا اشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك ان تفعليه معي وقد صار بيني و بينك مودة فقالت أنت مولع بي ولكنك صغير السن وقلبك خال من الخداع

فانت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت فى قيد الحياة لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك حتى انجتك من الهلكة والآن اوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من امثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فاياك ثم إياك ذلك لانك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن والتي تفسر لك الاشارات قدماتت وانى أخاف عليك أن تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٤٦) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم أن الصبية قالت فواحسرتاه على بنت عمك وليتنى علمت بها قبل موتها حتى أكافئها على مافعلت معى من المعروف رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل إلى أبدا وانى أشتهى عليك أمرا فقلت ماهو قالت أن توصلنى إلى قبرها حتى أزورها فى القبر الذى هى فيه وأكتب عليه أبياتا فقلت لها فى غد ان شاء الله تعالى ثم إنى نمت معها تلك الليلة وهى بعد كل ساعة تقول لى ليتك أخبرتنى بابنة عمك قبل موتها فقلت لها مامعنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلم تجبنى فلما أصبح الصباح قامت وأخذت كيسا فيه دنانير وقالت لى قم وأرنى قبرها حتى أزوره وأكتب عليه أبياتا وأعمل عليها قبة وأترحم عليها وأصرف هذه الدنانير صدقة على روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفى وصارت تتصدق وهى ماشية فى الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة على روح عزيزة التى كتمت سرها حتى شربت كأس مناياها ولم تبح بسر هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول على روح عزيزة حتى وصلنا القبر ونفد ما فى الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديدا ثم انها أخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت هذه الابيات

مررت بقبر دارس وسط روضة ... عليه من النعمان سبع شقائق
فقلت لمن ذا القبر جاوبني الثرى ... تأدب فهذا القبر برزخ عاشق
فقلت رعاك الله يا ميت الهوى ... وأسكنك الفردوس أعلى الشواهق
مساكين أهل العشق حتى قبورهم ... عليها تراب الذل بين الخلائق
فان استطع زرعا زرعتك روضة ... وأسقيتها من دمعى المتدافق

ثم بكت بكاء شديدا وقامت وقمت معها وتوجهنا الى البستان فقالت لى سألتك بالله أن لا تنقطع عنى ابدا فقلت سمعا وطاعة ثم انى صرت أتردد عليها وكلما بت عندها تحسن الى وتكرمنى وتسألنى عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمى عزيزة لامى فأعيدهما لها ومازلت على هذا الحال من أكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بى هم ولا غم ولا حزن ونسيت ابنة عمى ومكثت مستغرقا فى تلك اللذات سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام وأصلحت شأنى ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدحا من الشراب

وشممت روائح قماشي المضمخ بانواع الطيب وأنا خالى القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي إلى الذهاب اليها وأنا سكران لا ادرى أين أتوجه فذهبت اليها فمال بي السكر الي زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفي إحدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخري كتاب ملفوف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٤٧) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب الذى اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب مشيت فيه فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفي احدي يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها وهى باكية العين وتنشد هذين البيتين

لله در مباشري لقدومكم فلقد أتي بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبته قلبا تمزق ساعة التوديع

فلما رأتنى قالت لى ياولدى هل تعرف أن تقرأ فقلت لها نعم ياخالتي العجوز فقالت لى خذ هذا الكتاب واقرأه وناولتنى الكتاب فأخذته منها وفتحته وقرأت عليها مضمونه انه كتاب من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لى وقالت لى فرج الله همك كما فرجت همي ثم أخذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبني حصر البول فقعدت فى مكان لاريق الماء ثم انى قمت وتجمرت وأرخيت أثوابى وأردت أن أمشي واذا بالعجوز قد أقبلت على وقبلت يدى وقالت يامولاى الله تعالى يهنيك بشبابك ولا يفضحك أترجاك أن تمشى معي خطوات الى ذلك الباب فانى أخبرتهم بما أسمعتنى اياه من قراءة الكتاب فلم يصدقون فامش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واقبل دعائى لك فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لى ياولدى هذا الكتاب جاء من عند ولدى وهو غائب عنى مدة عشرة سنين فانه سافر بمتجر ومكث فى الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء منه وظننا أنه مات ثم وصل الينا منه هذا الكتاب وله أخت تبكى عليه فى مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقنى وقالت لى لابد تأتينى بمن يقرأ هذا الكتاب فيخبرنى حتى يطمئن قلبي ويطيب خاطرى وأنت تعلم ياولدى أن المحب مولع بسوء الظن فأنعم على بقراءة هذا الكتاب وأنت واقف خلف الستارة وأخته تسمع من داخل الباب لاجل أن يحصل لك ثواب من قضى لمسلم حاجة نفس عنه كربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مكروب كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه اثنتين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة وأنا قصدتك فلا تخيبنى فقلت لها سمعا وطاعة وتقدمت فمشت قدامي ومشيت خلفها قليلا حتى وصلت الى باب دار عظيمة وذلك الباب مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية فما أشعر الا وصبية قد أقبلت بخفة ونشاط فلما رأتنى قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى منه ياأمي أهذا الذى جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها

إلى بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدى لاتناول الكتاب وأدخلت رأسى وأكتافى من الباب لاقرب فما دري الا والعجوز قد وضعت رأسها فى ظهرى ويدى ماسكة الباب فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح



﴿الشاب عزيز عندما أوقفته العجوزة أمام الدار وخرجت الصبية وقالت﴾
﴿أهذا الذى جاء يقرأ الكتاب﴾

(وفى ليلة ١٤٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية لما رأتنى من داخل الباب بالدهليز أقبلت على وضمتنى الى صدرها ثم قالت لى يا عزيز أى الحالتين أحب اليك الموت أم الحياة فقلت لها الحياة فقالت اذا كانت الحياة أحب اليك فتزوج بى فقلت أنا أكره ان

أتزوج بذلك فقالت لى ان تزوجت بى تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لا تعرفها وانت لك فى صحبتها اليوم سنة وأربعة شهور أهلكها الله تعالى والله مايوجد أمكر منها وكم قتلت شخصا قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ولك فى صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها ياسيدتى ومن عرفك بها فقالت أنا أعرفها مثل مايعرف الزمان مصائبه لكن قصدى ان تحكى لى جميع ماوقع لك منها حتى أعرف ماسبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ماجرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على يد لما سمعت بموت ابنة عمى عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيرا ياعزيز فانها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هى لكنت هلكت وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ماأقدر ان أتكلم فقلت لها والله ان ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها أوصتنى ان أقول هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك منى قالت ياعزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ماقتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله انى كنت أتمنى الاجتماع بك ولو يوما واحدا فلم أقدر على ذلك الا فى هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وأنت الآن صغير لا تعرف مكر النساء ولا دواهى العجائز فقلت لا والله فقالت لى طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحى ملطوف وأنت شاب مليح وأنا ماأريدك الا بسنة الله ورسوله ﷺ ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعا ولا أكلفك بشىء أبدا وأيضا عندى دائما الخبز مخبوز والماء فى الكوز وماأريد منك الا ان تعمل معى كما يعمل الديك فقلت لها وما الذى يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت وقالت لى أما تعرف صنعة الديك فقلت لها والله ماأعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك ان تأكل وتشرب وتنكح فخجلت أنا من كلامها ثم إنى قلت هذه صنعة الديك قالت نعم وماأريدك الآن الا ان تشد وسطك وتقوى عزمك وتنكح ثم انها صفقت بيدها وقالت ياأمى احضرى من عندك واذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول ثم انها أوقدت أربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا على وجلسوا فقامت الصبية وأرخت عليها الازار ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب وأشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان فى ذمتها الى عشرة آلاف درهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٤٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم انها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت أثوابها وأتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها وأخذت بيدى وطلعت بى فوق السرير وقالت لى مافى الحلال من عيب ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتنى على بطنها ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم أمالك نفسى دون أن

أدخله فيها بعد ان مصصت شفتها وهي تتأوه وتظهر الخشوع والخضوع والبكاء والدموع وذكرتني في هذا الحال قول من قال

ولما كشفت الثوب عن سطح فرجها　　وجدت به ضيقا كخلقي وأرزاقي
فأولجت فيها نصفه فتنهدت　　فقلت لماذا فقالت على الباقي

ثم قالت ياحبيبي اعمل خلاصك فانا جاريتك خذه هاته كله بحياتي عندك هاته حتى أدخله بيدي وأريح به فؤادي ولم تزل تسمعني الغنج والشهيق في خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا في الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح وأردت ان أخرج واذا هي أقبلت علي ضاحكة وقالت هل تحسب ان دخول الحمام مثل خروجه وما أظن الا انك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة اياك وهذا الظن فما أنت الا زوجي بالكتاب والسنة وان كنت سكران فافق لعقلك ان هذه الدار التي أنت فيها ماتفتح الا في كل سنة يوم قم الى الباب الكبير وانظره فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا فعدت وأعلمتها بانه مغلق مسمر فقالت لي ياعزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا أعواما عديدة ولا يفتح بابنا من هذه الليلة الا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله فقالت واي شيء يضرك وأنت تعرف صنعة الديك التي أخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت أنا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وأنا أعمل صنعة الديك آكل وأشرب وأنكح حتى مر علينا عام اثني عشر شهرا فلما كملت السنة حملت مني ورزقت منها ولدا وعند رأس السنة سمعت فتح الباب واذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فاردت أن أخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل مادخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء وأردت ان أخرج وأنا خائف مرجوف واذا هي قالت والله ما ادعك تخرج حتى أحلفك انك تعود في هذه الليلة قبل أن يغلق الباب فاجبتها الى ذلك وحلفتني بالايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق اني أعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت في نفسي اني غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته مفتوحا ياترى هل الصبية باقية على حالها أولا فلا بد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح الى أمي وأنا في وقت العشاء ثم دخلت البستان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عزيز قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتي أتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة و اسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما راتني قالت الحمد لله علي السلامة وهمت أن تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت راسي ثم تقدمت اليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت اني اجيء اليك في هذه الساعة قالت لا علم لي بذلك والله اني سنة لم أذق فيها نوما بل اسهر كل ليلة في انتظارك وانا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندي واعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني أنك تجيء الي وقعدا تنظرتك فما أتيت لا اول ليلة ولا ثاني ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك

والعاشق هكذا يكون واريد ان تحكي لى ما سبب غيابك عني هذه السنة فحكيت لها فلما علمت اني تزوجت اصفرلونها ثم قلت لها اني اتيتك هذه الليلة واروح قبل الصباح فقالت اما كفاها انها تزوجت بك وعملت عليك حيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق ان تعود اليها قبل الصباح ولم تسمح لك بان تتفسح عند امك ولا عندي ولم يهن عليها ان تبيت عند احد منا ليلة واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم الله عزيزة فانها جرى لها مالم يجر لأحد وصبرت على شيء لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة منك وهي التي حمتك مني وكنت اظنك تميل الي فاطلقت سبيلك مع اني كنت اقدر على حبسك وعلى هلاكك ثم بكت واغتاظت ونظرت الي بعين الغضب فلما رأيتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصي وخفت منها وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لي ما بقي فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فانت لا تصلح لعشرتي لانه لا ينفعني الا الاعزب واما الرجل المتزوج فانه لا ينفعني وقد بعتني بتلك العاهرة والله لأحسرنها عليك وتصير لا لي ولا لها ثم صاحت فما ادري الا وعشرة جوار اتين ورميتني على الأرض فلما وقعت تحت ايديهن قامت هي واخذت سكينا وقالت لاذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا اقل جزائك على ما فعلت مع ابنة عمك فلما نظرت الى روحي وانا تحت جواريها وتعفر خدي بالتراب ورأيت السكين في يدها تحققت الموت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥١) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك ثم استغثت بها فلم تزدد الا قسوة وامرتهن ان يكتفنني فكتفنني ورمينني على ظهري وجلسن على بطني وامسكن راسي وقامت جاريتان فامسكتا اصابع رجلي وجاريتان جلستا على أقصاب رجلي وبعد ذلك قامت هي ومعها جاريتان فامرتهما ان يضرباني فضرباني حتى أغمي علي وخفي صوتي فلما استفقت قلت في نفسي ان موتي مذبوحا أهون علي من هذا الضرب وتذكرت كلمة ابنة عمي حيث قالت كفاك الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي ثم سنت السكين وقالت للجواري اكشفن عنه فألهمني الله أن أقول الكلمتين اللتين أوصتني بهما ابنة عمي وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله يا عزيزة سلامة شبابك نفعت ابن عمك في حياتك وبعد موتك ثم قالت لي والله انك خلصت من يدي بواسطة هاتين الكلمتين لكن لا بد ان اعمل فيك أثر الأجل نكاية تلك العاهرة التي حجبتك عني ثم صاحت علي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عزيز قال وصاحت على الجواري وقالت لهن اركبن عليه وامرتهن ان يربطن رجلي بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندي وركبت طاجنا من نحاس على النار وصبت فيه سيرجا وقلت فيه جبنا وانا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندي وحلت لباسي وربطت محاشمي بحبل وناوله الجاريتين وقالت لهما جروا الحبل فجرتاه فصرت من شدة الالم في دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها وقطعت ذكري بموس وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور

وأنا مغمي على فلما أفقت كان الدم قد انقطع فاسقتني قدحا من الشراب ثم قالت لي رح الآن لمن تزوجت بها وبخلت على بليلة واحدة رحم الله ابنة عمك التي هي سبب نجاتك ولولا انك أسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب في هذه الساعة لمن تشتهي وانا ما كان لي عندك سوي ماقطعته والآن مابقي لي فيك رغبة ولا حاجة لي بك فقم وملس على رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفستني برجلها فقمت وماقدرت ان امشي فتمشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسي فيه وأنا غائب عن الوجود واذا بزوجتي خرجت وحملتني وادخلتني القاعة فوجدتني مثل المرأة فنمت واستغرقت في النوم فلما صحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥٣)قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم انه الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما صحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان فقمت وانا اتضجر وتمشيت حتي اتيت الى منزلي فدخلت فيه فوجدت امي تبكي علي وتقول ياهل ترى ياولدي انت في اي ارض فدنوت منها ورميت نفسي عليها فلما نظرت الي ورأتني وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الاصفرار والسواد ثم تذكرت ابنة عمي ومافعلت معي من المعروف وتحققت انها كانت تحبني فبكيت عليها وبكت أمي ثم قالت الي ياولدي ان والدك قد مات فازددت غيظا وبكيت حتى أغمي علي فلما أفقت نظرت الي موضع ابنة عمي التي كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا حتى اغمي علي من شدة البكاء ومازلت في بكاء ونحيب الى نصف الليل فقالت لي امي ان لوالدك عشرة ايام وهو ميت فقلت لها انا لا افكر في أحد أبدا غير ابنة عمي لاني أستحق ماحصل لي حيث همِلتها وهي تحبني فقالت وماحصل لك فحكيت لها ماحصل لي فبكت ساعة ثم قامت واحضرت لي شيئا من المأكول فاكلت قليلا وشربت وأعدت لها قصتي وأخبرتها بجميع ماوقع لي فقالت الحمد لله حيث جرى لك هذا وما ذبحتك ثم انها عالجتني وداوتني حتي برئت وتكاملت عافيتي فقالت لي ياولدي الآن اخرج لك الوديعة التي أودعتها ابنة عمك عندي فانها لك وقد حلفتني اني لا اخرجها لك حتي أراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والآن رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صندوقا وأخرجت منه هذه الخرقة التي فيها صورة هذا الغزال وهي التي وهبتها لها أولا فلما أخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

أقمتم عيوني في الهوي وقعدتم ... واسهرتموا جفني القريح ونمتم
وقد حلتمو بين الفؤاد وناظري ... فلا القلب يسلوكم ولو ذاب منكم
وعاهدتموني انكم كاتموا الهوى ... فاغراكم الواشي وقال وقلتم
فبالله اخواني اذامت فاكتبوا ... على لوح قبري ان هـذا متيم

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت على وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة أخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمي اني جعلتك في حل من دمي وأرجو الله أن

يوفق بينك و بين من تحب لكن اذا أصابك شي ممن الدليلة المحتالة فلا ترجع اليها ولا لغيرها وبعد ذلك فاصبر على بليتك ولولا أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضي و لكن الحمد لله الذي جعل يومي قبل يومك وسلامي عليك واحتفظ علي هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عني وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك ان ابنة عمي قالت لي ان قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغي انك تتباعد عنها ولا تخليها تقرب منك ولا تتزوج بها وان لم تقدر عليها ولا تجد لك اليها سبيلا فلا تقرب واحدة من النساء بعدها واعلم ان التي صورت هذه الصورة تصور في كل سنة صورة مثلها و ترسلها الى أقصى البلاد لأجل ان يشيع خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنها أهل الأرض وأما محبوبتك الدليلة المحتالة فانها لما وصلت اليها هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم ان لي أختا تصنع هذا مع انها كاذبة في قولها هتك الله سترها وما أوصيتك بهذه الوصية لأنني اعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف في البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها واعلم ان الصبية التي صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت و بكت أمي لبكائي وما زلت أنظر اليها وأبكي الى ان أقبل الليل ولم أزل على تلك الحالة مدة سنة و بعد السنة تجهز تجار من مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين انا معهم في القافلة فاشارت علي أمي ان أتجهز وأسافر معهم وقالت لي لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثا حتى تعود القافلة فلعل صدرك ينشرح ومازالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجرا وسافرت معهم وانا لم تنشف لي دمعة مدة سفري وفي كل منزلة ننزل بها أنشر هذه الخرقة قدامي و انظر الى هذه الصورة فاتذكر ابنة عمي وأبكي عليها كما تراني فانها كانت تحبني محبة زائدة وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها الا الضرر مع انها لم تفعل معي الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم أرجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة وانا في حزن زائد ومازاد همي وحزني الا لأني جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي انها هي التي تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التي معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك زادت بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لأني بقيت مثل المرأة ولم تبق لي آلة مثل الرجال ولا حيلة لي ومن يوم فراقي لجزائر الكافور وأنا باكي العين حزين القلب ولي مدة على هذا الحال وما أدري هل يمكنني ان أرجع الى بلدي وأموت عند والدتي أو لا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وأن واشتكى و نظر الى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وأنشد هذين البيتين

وقائل قال لي لابد من فرج ۞ فقلت الغيظ كم لابد من فرج

فقال لي بعد حين قلت يا عجبي من يضمن العمر لي يابارد الحجج

وهذه حكايتي أيها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت في فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥٣) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان تاج الملوك قال للشاب والله لقد جرى لك شيء ماجرى لأحد مثله ولكن هذا تقدير ربك وقصدي ان أسألك عن شيء فقال عزيز وماهو فقال تصف لي كيف رأيت تلك الصبية التي صورت صورة الغزاله فقال يامولاي اني توصلت اليها بحيلة وهو اني لما دخلت مع القافلة الي بلادها كنت أخرج وأدور في البساتين وهي كثيرة الاشجار وحارس البساتين شيخ طاعن في السن فقلت له ياشيخ لمن هذا البستان فقال لي لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فاذا أردت ان تتفرج فافتح باب السر وتفرج في البستان فتشم رائحة الازهار فقلت له انعم علي بان أقعد في هذا البستان حتى تمر لعلي ان أحظى منها بنظرة فقال الشيخ لا باس بذلك فلما قال ذلك أعطيته بعض الدراهم وقلت له اشتر لنا شيئا ناكله ففرح باخذ الدراهم وفتح الباب وأدخلني معه وسرنا ومازلنا سائرين الى إن وصلنا الى مكان لطيف وأحضر لي شيئا من الفواكه اللطيفة وقال لي اجلس هنا حتى أذهب وأعود اليك وتركني ومضى فغاب ساعة ثم رجع ومعه خروف مشوي فاكلنا حتى اكتفينا وقلبي مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسون واذا بالباب قد انفتح فقال لي قم اختف فقمت واختفيت واذا بطواشي اسود أخرج رأسه من الباب وقال ياشيخ هل عندك احد فقال لا فقال له إغلق الباب فاغلق الشيخ باب البستان واذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت ان القمر نزل في الأرض فاندهش عقلي وصرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء وبعد ساعة أغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت أنا من البستان وقصدت منزلي وعرفت اني لا أصل اليها ولا أنا من رجالها خصوصا وقد صرت مثل المرأة فقلت في نفسي ان هذه ابنة ملك وانا رجل تاجر فمن اين لي أن أصل اليها فلما تجهز أصحابي للرحيل تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة فلما وصلنا الي هذا الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتي وماجرى لي والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده وأخذ معه عزيز وتوجه به الى مدينة أبيه وأفرد له دارا ووضع له فيها كل مايحتاج اليه ثم تركه ومضى الى قصره ودموعه جارية على خدوده لأن السماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه أبوه فوجده متغير اللون فعلم انه مهموم ومغموم فقال له ياولدي اخبرني عن حالك وماجرى لك حتى تغير لونك فاخبره بجميع ماجرى له من قصة دنيا من أولها الى آخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال ياولدي ان أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر امك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٥٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن والد تاج الملوك قال له ياولدى أن أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وأدخل قصر أمك فان فيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن اعجبتك منهن تخذها وان لم تعجبك جارية منهن نخطب بنتا من بنات الملوك تكون أحسن من السيدة دنيا فقال له ياوالدى لا أريد غيرها وهى التى صورت صورة الغزال التى رأيتها فلا بد منها والا اهيج فى البرارى وأقتل روحى بسببها فقال له ابوه ياولدى امهل على حتى أرسل إلى أبيها وأخطبها منه وأبلغك المرام مثل مافعلت لنفسى مع أمك وان لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشا يكون آخره عندى وأوله عنده ثم دعا الشاب عزيز وقال ياولدى هل أنت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهى منك أن تسافر مع وزيرى فقال له عزيز سمعا وطاعة ثم جهز عزيز مع وزيره وأعطاهم الهدايا فسافروا أياما وليالى إلى أن أشرفوا على جزائر الكافور فاقاموا على شاطىء نهر وأنفذ الوزير رسولا من عنده إلى الملك ليخبره بقدومهم و بعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا الا وحجاب الملك وامراؤه قد أقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا فى خدمتهم إلى أن دخلوا بهم على الملك فقدموا اليه الهدايا وأقاموا عنده أربعة ايام وفى اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه وأخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيرا فى رد الجواب لان ابنته لا تحب الزواج وأطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى بعض الخدام وقال له اذهب الى سيدتك دنيا وأخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له ياملك الزمان انى لما دخلت على السيدة دنيا اخبرتها بما سمعت فغضبت غضبا شديدا ونهضت على بمسوقة وارادت كسر راسى ففررت منها هاربا وقالت لى ان كان ابى يغصبنى على الزواج فالذى اتزوج به أقتله فقال أبوها للوزير وعزيز سلما على الملك واخبراه بذلك وان ابنتى لا تحب الزواج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٥٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد عند ذلك رجع الوزير ومن معه من غير فائدة وما زالوا مسافرين الى أن دخلوا على الملك وأخبروه فعند ذلك أمر النقباء ان ينبهوا العسكر الى السفر من أجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لا تفعل ذلك فان الملك لا ذنب له وانما الامتناع من ابنته فانها حين علمت بذلك أرسلت تقول ان غصبنى ابى على الزواج أقتل من اتزوج به وأقتل نفسى بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ولده تاج الملوك وقال ان حاربت أباها وظفرت بابنته قتلت نفسها ثم ان الملك أعلم ابنه تاج الملوك بحقيقة الامر فلما علم بذلك قال لابيه ياوالدى انا لا أطيق الصبر عنها فأنا أروح اليها واتسبب فى اتصالى بها ولو أموت ولا افعل غيرهذا فقال له أبوه وكيف تروح فقال أروح فى صفة تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه أخرج شيئا من خزائنه وهيأ له متجرا بمائة الف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل الوزير وباتا هنالك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له اكل ولا رقاد بل هجمت عليه الافكار وغرق منها فى بحار وهزه الشوق الى محبوبته فأفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

ترى هل لنا بعد البعاد وصول فأشكوا اليكم صبوتي وأقول
تذكرتكم والليل ناء صاحبه وأسهرتموني والانام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكا معه عزيز وتذكر ابنة عمه ومازالا يبكيان الى أن أصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس أهبة السفر فسألته عن حاله فاخبرها بحقيقة الامر فاعطته خمسين الف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستأذنه أن يرحل فأذن له وأعطاه خمسين الف دينار وأمر أن تضرب له خيمة عظيمة وأقاموا فيها يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا أخي انا ما بقيت أطيق أن افارقك فقال عزيز وانا الآخر كذلك وأحب أن أموت تحت رجليك ولكن يا أخي قلبي اشتغل بوالدتي فقال له تاج الملوك لما نبلغ المرام لا يكون إلا خيرا وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشد له الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق على تاج الملوك واشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح ثم دخلوها وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا الى سوق البز فلما رأت التجار تاج الملوك وشاهدوا احسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح أبواب الجنان وسها عنها فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا اليه فلما قربوا اقام اليهم هو ومن معه من التجار وعظموهم خصوصا الوزير الاجل فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لا شك أن هذا الشيخ والد هذين الغلامين فقال الوزير من شيخ فيكم فقالوا ها هو فنظر اليه الوزير وتأمله فرآه رجلا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان ثم ان شيخ السوق حياهم تحية الاحباب وبالغ في اكرامهم وأجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم اني رجل كبير طاعن في السن ومعي هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الا أقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا أهلها واني قد أتيت بلدكم هذه واخترت المقام فيها واشتهيت منك دكانا تكون من أحسن المواضع حتى اجلسهما فيها ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ويتخلقا بأخلاق أهلها ويتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا بأس بذلك ثم نظر الى الولدين وفرح بهما واحبهما حبا زائدا وكان شيخ السوق مغرما بفاتك اللحظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال في نفسه سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين ثم قام واقفا في خدمتهما كالغلام بين ايديهما وبعد ذلك سعي وهيأ لهما الدكان وكانت في وسط السوق ولم يكن اكبر منها ولا اوجه منها عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وآبنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو في صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولديك فلما اخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه اليها والغلمان

ووضعوا فيها امتعتهم وأمروا غلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ماعندهم من البضائع والقماش . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما أمر غلمانه أن ينقلوا البضائع والقماش وكان ذلك يساوي خزائن مال فنقلوا جميع ذلك الى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصارا في الحمام على حد قول الشاعر

بشرى لقيته اذ لامست يده   جسما تولد بين الماء والنور
مازال يظفر لطفا من صناعته   حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد في انتظارهما واذا بهما قد أقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت ابدانهما حتى كأنهما غصنان مثمران أو قمران زاهيان فقال لهما يااولادي حمامكم نعيم دائم فقال تاج الملوك بأعذب كلام ليتك كنت معنا ثم ان الاثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان تعظيما له لانه كبير السوق وقد أحسن اليهما بأعطائهما الدكان فلما رأى اردافهما في ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يبق له مصطبر فاحدق بهما العينين وانشد هذين البيتين

يطالع القلب باب الاختصاص به   وليس يقرأ فيه مبحث الشركه
لاغرو في كونه يرتج من قول   فكم لذا الفلك الدوار من حركه

فلما سمعا هذا الشعر اقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانيا وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام فلما دخل شيخ السوق الى الحمام ثاني مرة سمع الوزير بدخوله فخرج اليه من الخلوة واجتمع به في وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فأمسك بأحدى يديه تاج الملوك وبيده الاخرى عزيز ودخلا به خلوة اخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحلف تاج الملوك أن لا يحميه غيره وحلف عزيز أن لا يصب عليه الماء غيره فقال له الوزير انهما أولادك فقال شيخ السوق ابقاهما الله لك لقد حلت في مدينتنا البركة والسعود بقدومكم وقدوم أتباعكم ثم أنشد هذين البيتين

اقبلت فاخضرت لدينا الربا   وقد زهت بالزهر للمجتلي
ونادت الارض ومن فوقها   أهلا وسهلا بك من مقبلي

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن أن روحه في الجنة حتى اتما خدمته فدعالهما وجلس جنب الوزير على انه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم ثم خرجوا من الحمام فأقبل الوزير على شيخ السوق وقال له ياسيدي ان الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السوق جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيئا مما قالته البلغاء في الحمام فقال تاج الملوك أنا انشد لك بيتين وهما

ان عيش الحمام أطيب عيش غير أن المقام فيه قليل
جنة تكره الاقامة فيها وجحيم يطيب فيها الدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وأنا احفظ فى الحمام شيأ فقال شيخ السوق اسمعنى اياه فأنشد هذين البيتين

وبيت له من جامد الصخر أزهار أنيق اذا أضرمت حوله النار
تراه جحيما وهو في الحق جنة وأكثر مافيها شموس وأقمار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من شعرهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا انتما منى ثم اطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

ياحسن نار والنعيم عذابها تحيا بها الارواح والأبدان
فاعجب لبيت لايزال نعيمه غضا وتوقد تحته النيران
عيش السرور لمن الم به وقد سفحت عليه دموعها الغدران

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم اكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة فى منزلهم في اتم مايكون من الحظ والسرور فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤا وصلوا فرضهم وأصبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والاسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا الى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيؤها أحسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوي مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائرة من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الاخرى وجلس الوزير فى وسط الدكان ووقف الغلمان بين ايديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض اقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك فى المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم أقاموا على ذلك أياما وفى كل يوم تهرع الناس اليهم فاقبل الوزير على تاج الملوك وأوصاه بكتمان أمره وأوصى عليه عزيز ومضى الى الدار ليدبر أمراً يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحدثان وصار تاج الملوك يقول عسى أن يجيء أحد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك أياما وليالى وهو لاينام وقد تمكن منه الغرام وزاد به النحول والاسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر فى تمامه فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٥٧)قالت بلغنى أيها الملك السعيد بينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه وتقدمت اليه وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت في سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ماهذا بشر إن هذا الاملك كريم ثم دنت منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسم فى وجهها

هذا كله باشارة عزيز ثم اجلسها الى جانبه وصار يروح عليها إلى أن استراحت ثم ان العجوز قالت لتاج الملوك يا ولدى يا كامل الاوصاف والمعانى هل أنت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله ياسيدتى عمرى مادخلت هذه الديار الا هذه المرة ولا أقمت فيها إلا على سبيل الفرجة فقالت لك الاكرام من قادم على الرحب والسعة ماالذى جئت به معك من القماش فارنى شيئا مليحا فان المليح لا يحمل إلا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندى كل ماتشتهين من الشيء الذى لا يصلح إلا للملوك و بنات الملوك فلمن تريدين حتى أقلب عليك مايصلح لاربابه وأراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها فقالت له أريد قماشا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا وقال لعزيز ائتنى بافخر ماعندك من البضاعة فاتاه عزيز ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختارى مايصلح لها فان هذا الشيء لا يوجد عند غيرى فاختارت العجوز شيئا يساوى الف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحك بين أفخاذها بكلوة يدها فقال لها وهل اساوم مثلك فى هذا الشيء الحقير الحمد لله الذى عرفنى بك فقالت له العجوز أعوذ وجهك المليح برب الفلق أن وجهك مليح وفعلك مليح هنيأ لمن تنام فى حضنك وتضم قوامك الرجيح وتحظى بوجهك الصبيح وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال ياقاضى الحاجات على ايدى العجائز الفاجرات فقالت يا ولدى ما الاسم قال اسمى تاج الملوك فقالت ان هذا الاسم من اسماء الملوك ولكنك فى زى التجار فقال لها عزيز من محبته عند أهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر الحساد ولوفتت بمحاسنكم الاكباد ثم أخذت القماش ومضت وهى باهتة فى حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها ياسيدتى جئت لك بقماش مليح فقالت لها أرينى اياه فقالت ياسيدتى ها هو فقلبيه وانظريه فلما رأته السيدة دنيا قالت لها يادادتى ان هذا قماش مليح مارأيته في مدينتنا فقالت العجوز ياسيدتى ان بائعه أحسن منه كأن رضوان فتح أبواب الجنان وسها فخرج منها التاجر الذى يبيع هذا القماش وأنا اشتهى فى هذه الليلة أن يكون عندك و ينام بين نهودك فانه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الاقمشة لاجل الفرجة فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز . وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٥٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان السيدة دنيا حين ضحكت من كلام العجوز وقالت أخزاك الله ياعجوز النحس انك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت هات القماش حتى ابصره جيدا فناولتها اياه فنظرته ثانيا فرأته شيئا قليلا وثمنه كثيرا وتعجبت من حسن ذلك القماش لانها مارأت فى عمرها مثله فقالت لها العجوز ياسيدتى لو رأيت صاحبه لعرفت أنه أحسن مايكون على وجه الارض فقالت لها السيدة دنيا هل سألتيه ان كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت



﴿ العجوز وهي تفرج السيدة دنيا على القماش الذى أتت به من عند تاج الملوك ﴾

رأسها حفظ الله فراستك والله ان له حاجة وهل أحد يخلو من حاجة فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وسلمي عليه وقولي له شرفت بقدومك مدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك فى الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح ونهض لها قائما على قدميه وأخذ يدها وأجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت اخبرته بما قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال فى نفسه قد قضيت حاجتى ثم قال للعجوز لعلك توصلين اليها كتابا من عندى وتأتينى بالجواب فقالت سمعا وطاعة فلما سمع ذلك منها قال لعزيز ائتنى بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما اتاه بتلك الادوات كتب هذه الابيات

كتبت اليك ياسؤلى كتابا   بما القاه من الم الفراق
فأول ماأسطر نار قلبي   وثانيه غرامى واشتياق
وثالثه مضى عمرى وصبرى   ورابعه جميع الوجد باق

وخامسه متى عيني تراكم وسادسه متى يوم التلاق

ثم كتب فى امضائه ان هذا الكتاب من أسير الاشواق المسجون فى سجن الاشتياق الذى ليس له اطلاق الا بالوصال ولو بطيف الخيال لانه يقاسى أليم العذاب من فراق الاحباب ثم افاض دمع العين وكتب هذين البيتين

كتبت اليك والعبرات تجرى ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بيائس من فضل ربى عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال أوصليه الى السيدة دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم أعطاها ألف دينار وقال اقبلى منى هذه هدية فاخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يادادتي أى شىء طالب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها ياسيدتى قد أرسل معي كتابا ولا أعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فاخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من أين الى أين حتى يراسلنى هذا التاجر ويكاتبنى ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفى من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز وأى شىء فى هذا الكتاب حتى أزعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة أو فيه ثمن القماش فقالت لها ويلك مافيه ذلك ومافيه الا عشق ومحبة وهذا كله منك والا فمن أين يتوصل هذا الشيطان الى هذا الكلام فقالت لها العجوز ياسيدتى أنت قاعدة فى قصرك العالى وما يصل اليك أحد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب وما عليك من نباح الكلاب فلا تؤاخذينى حيث أتيتك بهذا الكتاب ولا أعلم مافيه ولكن الرأي أن تردى اليه جوابا وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهى ولا يعود فقالت السيدة دنيا أخاف أنى أكاتبه فيطمع فقالت العجوز اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت على بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يامدعى الحب والبلوى مع السهر وما يلاقيه من وجد ومن فكر
أتطلب الوصل يامغرور من قمر وهل ينال المنى شخص من القمر
انى نصحتك عما أنت طالبه فاقصر فانك فى هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد أتاك منى عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الانسان من علق ومن انار ضياء الشمس والقمر
لئن عدت لما أنت ذاكره لأصلبنك فى جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب وأعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولى له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم أخذت الكتاب وهى فرحانة ومضت الى منزلها وباتت فى بيتها فلما أصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته فى انتظارها فلما رآها كاد أن يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما واقعدها بجانبه فأخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ مافيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكننى لاطفتها ومازحتها حتى أضحكتها ورقت لك ورحمتك

لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وأمر عزيز أن يعطيها الف دينار ثم أنه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له ياولدي وأى شىء فى هذه الورقة حتى ابكاك فقال لها انها تهددنى بالقتل والصلب وتنهانى عن مراسلتها وان لم اراسلها يكون موتى خيرا من حياتى فخذى جواب كتابها ودعيها تفعل ماتريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد انى اخاطر معك بروحي وابلغك مرادك واوصلك الى مافي خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ماتفعليه اجازيك عليه ويكون فى ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بابواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شىء قدير ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

أمست تهددنى بالقتل واحزنى والقتل لى راحة والموت مقدور
والموت اغنى لصب ان تطول به حياته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا محبا قل ناصره فاننى عبدكم والعبد مأسور
ياسادتى فارحمونى فى محبتكم فكل من يعشق الاحرار معذور

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلا بد أن ابلغك مقصودك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قامت وتركت تاج الملوك على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز أماقلت لك أنه يطمع فينا فقالت لها وأى شىء هذا الكتاب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وقولى له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبي له هذا الكلام فى مكتوب وأنا آخذ المكتوب معى لاجل ان يزداد خوفه فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

اياغافلا عن حادثا الطوارق وليس الى نيل الوصال بسابق
اتزعم يامغرور ان تدرك السها وما أنت للبدر المنير بلاحق
فكيف ترجينا وتأمل وصلنا لتحظي بضم للقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتى بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فاخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقال لا اعدمنى الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فاخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال انى اشتهى من يقتلنى الآن فان القتل اهون على من هذا الامر الذي انا فيه ثم أخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم هذين البيتين

فيامنيتى لاتبتغي الهجر والجفا فاني محب فى المحبة غارق
ولا تحسبينى فى الحياة مع الجفا فروحى من بعد الاحبة طالق

ثم طوى الكتاب واعطاه للعجوز وقال لها قد اتعبتك بدون فائدة وأمر عزيزا أن يدفع لها الف

دينار وقال لها يا أمي ان هذه الورقة لا بد ان يعقبها كمال الاتصال او كمال الانفصال فقالت له يا ولدي والله ما اشتهي لك الا الخير ومرادي أن تكون عندك فانك أنت القمر صاحب الانوار الساطعة وهي الشمس الطالعة وان لم اجمع بينكما فليس في حياتي فائدة وانا قد قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف اعجز عن الجمع بين اثنين في الحرام ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتى دخلت على السيدة دنيا وقد اخفت الورقة في شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت ياسيدتي عسالك أن تفلي شوشتي فان لي زمانا ما دخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز وصارت تفلي شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ماهذه الورقة فقالت كأني قعدت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة هاتيها حتى أوديها له ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها فاغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذي جرى لي من تحت راس هذه العجوز النحس فصاحت على الجواري والخدم وقالت امسكوا هذه العجوز الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت لها والله ياعجوز السوء لولا خوفي من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم اعيدوا الضرب فضربوها حتى غشي عليها ثم أمرتهم ان يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما أفاقت قامت تمشي وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت وتمشت حتى اتت الى تاج الملوك واخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علي يا امي ما جرى لك ولكن كل شيء بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقر عينا فاني لا أزال أسعي حتى أجمع بينك و بينها وأوصلك الى هذه العاهرة التي أحرقتني بالضرب فقال لها تاج الملوك اخبريني ما سبب بغضها الرجال فقالت انها رأت مناما أوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادا نصب شركا في الارض وبذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شيء من الطيور الا وقد أتى الى ذلك الشرك ورأت في الطيور حمامتين ذكرا وأنثى فبينما هي تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلقت في الشرك وصار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور ومرت فرجعت اليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التي فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشرك وطارت الطيور هي واياه فجاء بعد ذلك الصياد واصلح الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك في الانثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد واخذ الطير الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك قال لها يا أمي اريد ان أنظر اليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك مماتي فتحيلي لي بحيلة حتى أنظر اليها فقالت اعلم ان لها بستانا تحت قصرها وهو برسم فرجتها وانها تخرج اليه في كل شهر مرة من باب السر وتقعد فيه عشرة أيام وقد جاء أوان خروجها الى الفرجة فاذا ارادت الخروج اجيء اليك أعلمك حتى تخرج وتصادفها واحرص على انك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك وجمالك

يتعلق قلبها بمحبتك فان المحبة أعظم أسباب الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز وأخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلهما وعرفاها ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا أخي ليس لي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها ووهبتها لك بجميع ما فيها لانك تغربت معي وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله وما جرى له وصار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك أقبلا على الوزير واعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم أفخر ما عنده وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولي جالسا على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال اشتهي أن تأخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيئا نأكله فاننا غرباء ومعي هؤلاء الاولاد اردت أن أفرجهم فأخذ البستاني الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم واجلسوا حتى أحضر لكم بما تأكلون ثم توجه الى السوق ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستاني الى السوق ثم بعد ساعة أتى ومعه خروف مشوي ووضعه بين أيديهم فاكلوا وغسلوا أيديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير اخبرني عن هذا البستان هل هو لك أم أنت مستأجره فقال الشيخ ما هو لي وانما لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك في كل شهر من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتأمل الوزير في البستان فرأى هنالك قصرا عاليا الا انه عتيق فقال الوزير اريد أن أعمل خيرا تذكرني به فقال وما تريد أن تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال ياسيدي مهما شئت فافعل ثم اخذ الدنانير فقال له ان شاء الله تعالى نفعل في هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان الغد أحضر الوزير مبيضا ونقاشا وصانعا جيدا واحضر لهم جميع ما يحتاجون اليه من الآلات ودخل بهم البستان وأمرهم ببياض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش ثم أمر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الايوان آدمي صيادا كانه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها في الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل في الجانب الآخر مثل الاول وصور صورة الحمامة في الشرك وان الصياد أخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل في الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الاشياء التي ذكرها الوزير ودعوا البستاني ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر العجوز فانها انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة في البستان وهي لا تخرج الا بالعجوز فارسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت اني أريد ان أخرج الى البستان لاتفرج على أشجاره وأثماره وينشرح صدري بازهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن اريد ان اذهب الى بيتي والبس اثوابي واحضر عندك فقالت اذهبي الى بيتك ولا تتأخري عني فخرجت العجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس ثيابك واذهب الى البستان وادخل على البستاني وسلم عليه ثم اختف في البستان فقال سمعا وطاعة

وجعلت بينها وبينه إشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز والبسا تاج الملوك بدلة من الخز ملابس الملوك تساوى خمسة آلاف دينار وشدا فى وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجه الى البستان فلما وصل الى باب البستان وجد الخولى جالسا هناك فلما رآه البستانى نهض له على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج فى البستان



السيدة دنيا والعجوز فى صحبها
عند ما رأيا تاج الملوك فى المكان الذى كان مختفيا فيه

ولم يعلم البستانى ان بنت الملك تدخل البستان فى هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار

ساعة وسمع ضجة فلم يشعر الا والخدم والجواري خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولي ذهب الى تاج الملوك واعلمه بمجيئها وقال له يا مولاي كيف يكون العمل وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا باس عليك فاني اختفي في بعض مواضع البستان فاوصاه البستاني بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هي وجواريها والعجوز في البستان قالت العجوز في نفسها متى كان الخدم معنا فاننا لا ننال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك ياسيدتي اني اقول لك على شيء فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولي ماعندك فقالت العجوز ياسيدتي ان هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم في هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ماداموا معنا فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها والى حسنها وجمالها وهي لا تشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما يرى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها الحديث الى ان أوصلتها الى القصر الذي أمر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وأبصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة ما رأيته في المنام وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يادادتي اني كنت ألوم الرجال وابغضهم ولكن انظري الصياد كيف ذبح الطير الانثى وتخلص الذكر واراد ان يجيء الى الانثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى ان قربا من المكان المختفي فيه تاج الملوك فاشارت اليه العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يادادتي من أين هذا الشاب المليح فقالت لا اعلم به غير اني أظن انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت للعجوز يادادتي ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتي ثم ان العجوز أشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار وودع الخولي وانصرف الى منزله ولم يخالف العجوز واخبر الوزير وعزيز بان العجوز أشارت اليه بالانصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا ان العجوز تعلم ان في رجوعك مصلحة ما أشارت عليك به هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز (وأما) ما كان من أمر ابنة الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام وزادها الوجد والهيام وقالت للعجوز انا ما أعرف اجتماعي بهذا الشاب الا منك فقالت لها العجوز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنت لا تريدين الرجال وكيف حلت بك من عشقه الاوجال ولكن والله ما يصلح لشبابك الا هو فقالت السيدة دنيا يادادتي اسعفيني باجتماعي عليه ولك عندي ألف دينار وخلعة بالف دينار وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة لا محالة فقالت العجوز امضي أنت الى قصرك وانا أتسبب في اجتماعكما وابذل روحي في مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك فلما رآها نهض لها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام واجلسها الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت له ماجرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فاعطاها الف دينار وحلة بالف دينار

فأخذتهما وانصرفت ومازالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها ياداتي ماعندك من خبر الحبيب شيء فقالت لها قد عرفت مكانه وفي غد أكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك وأعطتها الف دينار وحلة بالف دينار فأخذتهما وانصرفت الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت وتوجهت الى تاج الملوك وألبسته لبس النساء وقالت له امش خلفي وتمايل في خطواتك ولا تستعجل في مشيك ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد ان أوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت وخرج خلفها وهو في زي النسوان وصارت تعلمه في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت وهو وراءها وصارت تخرق الابواب والدهاليز الى ان جاوزت به سبعة أبواب ولما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قوي قلبك واذا زعقت عليك وقلت لك يا جارية اعبري فلا تتوان في مشيك وهرول فاذا دخلت الدهليز فانظر إلى شمالك ترى ايوانا فيه أبواب فعد خمسة أبواب وادخل الباب السادس فان مرادك فيه فقال تاج الملوك وأين تروحين أنت فقالت له ماأروح موضعا غير أني ربما أتأخر عنك وأتحدث مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذي فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك في صورة جارية فقال لها ما شأن هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بانها تعرف الاشغال وتريد ان تشتريها فقال لها الخادم أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرني الملك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٦١) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز قالت للبواب وقد أظهرت الغضب انا أعرف أنك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فاني أعلمها بذلك وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبري ياجارية فعند ذلك عبر إلى داخل الدهايز كما أمرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم إن تاج الملوك عد خمسة أبواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة في انتظاره فلما رأته عرفته فضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجواري ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كوني أنت بوابة ثم اختلت هي وتاج الملوك ولم يزالا في ضم وعناق والتفت ساق على ساق إلى وقت السحر ولما أصبح الصباح غلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة أخرى وجلست على جري عادتها وأتت اليها الجواري فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجواري أخرجن الآن من عندي فاني أريد أن أنشرح وحدي فخرج الجواري من عندها ثم إنها أتت اليهما ومعها شيء من الاكل فاكلوا وأخذوا في الهراش إلى وقت السحر فاغلقت عليهما مثل اليوم الاول ولم يزالا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا (وأما) ما كان من أمر الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك إلى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما أنه لا يخرج منه أبدا وانه هالك لا محالة فقال عزيز ياوالدي ماذا نصنع فقال الوزير ياولدي إن هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى

أبيه ونعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهزا فى الوقت والساعة وتوجها إلى الارض الخضراء والعمودين وتحت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الاودية فى الليل والنهار إلى أن دخلا على الملك سليمان شاه وأخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبر فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت به الندامة وأمر أن ينادى فى مملكته بالجهاد ثم أبرز العساكر إلى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس فى سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار فى عسكر سد الافق متوجها فى طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما أقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة فى بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى أفصح لها عن الضمير وقال لها اعلمى ياحبيبة القلب والفؤاد أنى كلما أقمت عندك ازددت هياما ووجدا وغراما لانى ما بلغت المرام بالكلية فقالت له وما تريد يانور عينى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان دنيا قالت لتاج الملوك وما تريد يانور عينى وثمرة فؤادى ان شئت غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذى يرضيك وليس لله فينا شريك فقال ليس مرادى هكذا وانما مرادى أنى أخبرك بحقيقتى فاعلمى أنى لست بتاجر بل أنا ملك ابن ملك واسم أبى الملك الاعظم سليمان شاه الذى أنفذ الوزير رسولا إلى أبيك ليخطبك لى فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص عليها قصته من الاول إلى الآخر وليس فى الاعادة إفادة وأريد الآن أن أتوجه الى أبى ليرسل رسولا إلى أبيك ويخطبك منه ونستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق واتفق فى الامر المقدور أن النوم غلب عليهما فى تلك الليلة من دون الليالى واستمرا إلى أن طلعت الشمس وفى ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا فى دست مملكته وبين يديه أمراء دولته اذ دخل عليه عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدي الملك وأخرج منه علبة لطيفة تساوى مائة ألف دينار لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرد مما لا يقدر عليه أحد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت إلى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة وامض بها إلى السيدة دنيا فأخذها الخادم ومضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم إلى هذه الساعة وأنتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت له اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الخادم فانها عرف أنها مرتابة فخلع الثياب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير فى أمره وهم أن يعود إلى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ما ستر الله فقال أنا ما أقدر أن أخفى شيأ عن الملك ثم قفل الباب عليهما

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم لما قفل الباب عليهما رجع الى الملك فقال له هل اعطيت العابة لسيدتك فقال الخادم خذ العلبة هاهى وانا لا اقدر ان اخفى عنك شيأ اعلم أنى رايت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها فى فراش واحد وهما متعانقان فأمر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ماهذه الفعال واشتد به الغيظ فأخذ نمشه وهم ان يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت لابيها اقتلنى قبله فنهرها الملك وامرهم ان يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك ومن اين انت ومن ابوك ومن جسرك على ابنتى فقال تاج الملوك اعلم ايها الملك ان قتلتنى هلكت وندمت انت ومن فى مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم اننى ابن الملك سليمان شاه وماتدرى الا وقد اقبل عليك بخيله ورجاله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان يؤخر قتله ويضعه فى السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره ياملك الزمان الراى عندى ان تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فانه خائن فأخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الامراء أولا وثانيا وقصد بذلك أن يكون فى الامر توان فزعق عليه الملك وقال متى تشاور ان شاورت مرة أخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه واراد أن يضرب عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦٤) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السياف رفع يده وأراد أن يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس أغلقوا الدكاكين فقال للسياف لا تعجل ثم أرسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه وقال له رأيت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وخيلهم فى ركض وقد ارتجت لهم الارض وماأدرى خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منه ثم التفت الى وزيره وقال له أماخرج أحد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تم كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائما وقربهم وسألهم عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليه وقال له اعلم أن الذى نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والامان الذى سارت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الأرض الخضراء والعمودين وجبال أصفهان وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك ان ابنه عندك وفى مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمرة فؤاده فان وجده سالما فهو المقصود وأنت المشكور المحمود وان كان فقد من بلادك أو أصابه شىء فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلدك قفرا ينعق فيها البوم والغراب وها أنا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل

له من الفزع ثم أن الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملسكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيز فوقع مغشيا عليه من شدة فرحته بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا فى امره وخاف خوفا شديدا لما تحقق مجيىء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى الى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له ياولدى لاتؤاخذنى ولا تؤاخذ المسىء بفعله فارحم شيبتى ولا تخرب مملكتى فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وأنت عندى بمنزلة والدى ولكن الحذر أن يصيب محبوبتي السيدة دنيا شيء فقال لاتخف عليها فما يحصل لها الا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على ان يخفى من الملك مارآه ثم بعد ذلك امر كبراء دولته ان ياخذوا تاج الملوك ويذهبوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به بسرعة ففعلوا ذلك وادخلوه الحمام وألبسوه البدلة التى أفردها له الملك شهرمان ثم اتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو وجميع ارباب دولته وقام الجميع فى خدمته ثم إن تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيز بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن فى تلك المدة مضينا الى والدك فاخبرناه بانك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا امرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان فى قدومنا الفرح والسرور فقال لهما لازال الخير يجرى على ايديكما اولا وآخرا وكان الملك فى ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكى على تاج الملوك وأخذت سيفا وركزت قبضته الى الارض وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لا بد أن أقتل نفسى ولا أعيش بعد حبيبى فلما دخل عليها أبوها ورآها على هذه الحالة صاح عليها وقال لها ياسيدة بنات الملوك لاتفعلى وارحمى أباك وأهل بلدك ثم تقدم اليها وقال لها أحاشيك أن يصيب والدك بسببك سوء ثم أعلمها بالقصة وان محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها ان امر الخطبة والزواج مفوض الى رأيك فتبسمت وقالت له أما قلت لك انه ابن سلطان فانا أخليه يصلبك على خشبة لا تساوى درهمين فقال لها بالله عليك أن ترحمى اباك فقالت له رح اليه وائتنى به فقال لها على الراس والعين ثم رجع من عندها سريعا ودخل على تاج الملوك وساوره بهذا الكلام ثم قام معه وتوجها اليها فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام ابيها وتعلقت به وقالت له اوحشتنى ثم التفتت الى ابيها وقالت هل احد يفرط فى مثل هذا الشاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضى الى وزير ابى تاج الملوك ورسله وامرهم ان يعلموا السلطان سليمان شاه بان ولده بخير وعافية وهو فى ارغد عيش ثم ان السلطان شهرمان أمر باخراج الضيافات والعلوفات الى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلما اخرجوا جميع ما أمر به اخرج مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وأرسل الجميع اليه هدية ثم بعد ذلك توجه اليه هو وارباب دولته وخواصه حتى صار و الى ظاهر المدينة فلما

علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير وعزيز اعلماه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذي بلغ ولدى مناه ثم ان الملك سليمان شاه اخذ الملك شهرمان بالحضن واجلسه بجانبه على السرير وصار يتحدث هو واياه ثم قدموا لهم الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولم يمض الا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه و زينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميع من حضر وجلس بين أيديهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه انى اريد ان اكتب كتاب ولدى على ابنتك على رؤوس الاشهاد فقال له سمعا وطاعة ثم ارسل الملك شهرمان الى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك شهرمان فى تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده ان عزيزا رجل من الكرام وقد خدمني خدمة عظيمة وتعب وسافر معي وأوصلني الى بغيتى ولم يزل يصبرني حتى قضيت حاجتي ومضى معنا سنتان وهو مشتت من بلاده فالمقصود اننا نهيء له تجارة لان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيؤا له مائة حمل من أغلى القماش واقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخي اقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها منه وقبل الارض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسافر مع عزيز قدر ثلاثة أميال وبعدها اقسم عليه عزيز ان يرجع وقال لولا والدتي ماصبرت على فراقك فبالله عليك لا تقطع أخبارك عني ثم ودعه ومضى الى مدينته فوجد والدته بنت له في وسط الدار قبرا وصارت تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهي تفيض دمع العين وتنشد هذين البيتين

بالله ياقبر هل زالت محاسنه ... أوقد تغيرذات المنظر النضر

ياقبر ما أنت بستان ولا فلك ... فكيف يجمع فيك البدر والزهر

ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

مالى مررت على القبور مسلما ... قبر الحبيب فلم يرد جوابى

قال الحبيب وكيف رد جوابكم ... وانا رهين جنادل وتراب

أكل التراب محاسنى فنسيتكم ... وحجبت عن أهلى وعن أحبابى

فما تممت شعرها الا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت اليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من أوله الى آخره وان تاج الملوك اعطاه من المال والاقمشة مائة حمل ففرحت بذلك واقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الدليلة المحتالة التى خصته هذا ما كان من أمر عزيز (وأما) ما كان من أمر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وازال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيه فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين فى الليل والنهار حتى اشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك سليمان شاه لما وصل الى بلده جلس على سرير مملكته وابنه تاج الملوك فى جانبه ثم اعطى ووهب واطلق من كان فى الحبوس ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرت به المغانى والملاهى شهرا كاملا وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهى لا تمل من الجلاء ولا يملن من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد ان اجتمع على أبيه وأمه وما زالوا فى الذ عيش واهناه فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان مثلك من ينادم الملوك ويسلك فى تدبيرهم احسن السلوك هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم اربع سنين ثم اشتاقوا الى أوطانهم وضجرت العساكر من الحصار وادامة الحرب فى الليل والنهار فامر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا اننا اقمنا هذه السنين وما بلغنا مراما وازددنا غما وهما وقد أتينا لنخلص ثار الملك النعمان فقتل أخى شركان فصارت الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين هذا كله من العجوز ذات الدواهى فانها قتلت السلطان فى مملكته وأخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت أخى وقد حلفت الايمان العظيمة انه لابد من أخذ الثار فما تقولون أنتم فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فاطرقوا رؤسهم واحالوا الامر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان انه ما بقى فى اقامتنا فائدة والرأى اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزو عبدة الاصنام فقال الملك نعم هذا الرأى لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم وانا أيضا اقلقنى الشوق الى ولدى كان ما كان والى ابنة أخى قضى فكان لانها فى دمشق ولا أعلم ما كان من أمرهما فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان امر المنادى ان ينادى بالرحيل بعد ثلاثة أيام فابتدؤا فى تجهيز أحوالهم وفى اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت الرايات وتقدم الوزير دندان فى مقدم العسكر وسار الملك فى وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش وما زالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وزال عنهم الهم والباس ثم ذهب كل أمير الى داره وطلع الملك الى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسى مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الامراء وخواص الدولة ووقفوا فى خدمته فعند ذلك امر الملك ضوء المكان باحضار صاحبه الوقاد الذى أحسن اليه فى غربته فحضر بين يديه فلما رآه الملك ضوء المكان قادما عليه نهض له قائما واجلسه الى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد اخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم فى عينه وفى أعين الامراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل وبطنه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان لا يخرج من المكان الذى هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فأقبل عليه الملك وبش فى وجهه وحياه أعظم التحيات وقال له ما اسرع ما نسيتنى فامعن فيه النظر فلما حققه وعرفه قام له على الاقدام وقال له يا حبيبى من عملك سلطانا فضحك عليه واقبل عليه

الوزير بالكلام وشرح له بالقصة وقال له أنه كان أخاك وصاحبك والآن صار ملك الارض ولا بد أنه يصل اليك منه خير كثير وها أنا أوصيك اذا قال لك تمن على فلا تتمن الا شيئا عظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد أخاف ان اتمنى عليه شيئا فلا يسمح لى به او لا يقدر عليه فقال له الوزير كل ما تمنيته يعطيك اياه فقال له والله لا بد أن اتمنى عليه الشيء الذي هو في خاطري وكل يوم ارجو منه ان يسمح لى به فقال له الوزير طيب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه لولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فاشار له ضوء المكان ان اجلس فابي وقال معاذ الله قد انقضت ايام قعودي في حضرتك فقال له السلطان لا بل هي باقية الى الآن فانك كنت سببا لحياتي والله لو طلبت مني مهما أردت لاعطيتك اياه فتمن على الله فقال له ياسيدي انى أخاف أن اتمنى شيئا فلا تسمح لى به او لا تقدر عليه فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتي لشاركتك فيها فتمن ما تريد قال الوقاد أخاف أن اتمنى شيئا لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما أردت فقال له تمنيت عليك أن تكتب لى مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين في مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمن غير هذا فقال الوقاد أنا ما قلت لك انى أخاف ان اتمنى شيئا لا تسمح لى به وما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانيا وثالثا وفي كل مرة يقول اتمنى عليك ان تجعلني رئيس الزبالين في مدينة القدس أوفي مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربني وما لى ذنب فانك أنت الذي قلت لى تمن شيئا عظيما ثم قال دعوني أسير الى بلادي فعرف السلطان أنه يلعب فصبر قليلا ثم اقبل عليه وقال له ياأخي تمن على أمرا عظيما لائقا بمقامى فقال له اتمنى سلطنة دمشق موضع أخيك فكتب له التوقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك واذا اردت العودة فاحضر معك بنت أخي قضى فكان فقال الوزير سمعا وطاعة ثم أخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وأمر السلطان ضوء المكان أن يخرجوا للوقاد تختا جديدا وطقم سلطنة وقال للامراء من كان يحبني فليقدم اليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوائجه وطلع الزبلكان وفي خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه وأوصاه بالعدل بين الرعية وأمره أن يأخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد أن اوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير وأمير الديلم بهرام وأمير الترك رستم وأمير العرب تركاش وساروا في توديعه وما زالوا سائرين معه ثلاثة أيام ثم عادوا الى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والوزير دندان وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على أجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان سلطن على دمشق ملكا يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل اليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج الى ملاقاته كل من في دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان في خدمته يعرفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فاقبل عليهم الملك الزبلكان

وخلع وأعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وانفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان فى تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيئا من المال فأتى الوزير دندان وقال له انت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال أو نرسل اليك نطلب منك مالا للجهاد اوغير ذلك ولما تهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداعه واحضر قضى فكان واركبها فى المحفة وارسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد أن سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبرها واهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ما كان من أمر السلطان الزبلكان (وأما) ما كان من أمر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان حتى وصل الى الرحبة بعد شهر ثم سار حتى أشرف على بغداد وأرسل يعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فاراد الوزير دندان أن يترجل فأقسم عليه الملك ضوء المكان أن لا يفعل فسار راكبا حتى جاء الى جانبه وسأله عن المجاهد فأعلمه انه بخير وأعلمه بقدوم قضى فكان بنت اخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة أيام ثم بعد ذلك تعال عندى فقال حبا ثم دخل بيته وطلع الملك الى قصره ودخل على ابنة اخيه قضى فكان وهى ابنة ثمان سنين فلما راها فرح بها وحزن على ابيها وأعطاها حليا ومصاغا عظيما وأمر أن يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان فى مكان واحد وكانت أحسن أهل زمانها واشجعهم لأنها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الامور وأما كان ما كان فانه كان مولعا بمكارم الاخلاق ولكنه لا يفكر في عاقبة شيء ثم بلغ عمر كل واحد من الاثنين عشر سنين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد واكمل الاهبة والاستعداد فاحضر الوزير دندان وقال له اعلم انى عزمت على شيء وأريد اطلاعك عليه فأسرع فى رد الجواب فقال الوزير دندان ماهو ياملك الزمان قال عزمت على أن اسلطن ولدى كان ما كان وافرح به فى حياتى واقاتل قدامه إلى أن يدركنى الممات فما عندك من الرأى فقبل الوزير دندان الارض بين يدي الملك ضوء المكان وقال له اعلم أيها الملك السعيد صاحب الرأى السديد ان ماخطر ببالك مليح غير انه لا يناسب في هذه الوقت لخصلتين الاولى ان ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ماجرت به العادة من أن من سلطن ولده فى حياته لا يعيش الا قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم أيها الوزير اننا نوصى عليه الحاجب الكبير فانه صار منا وعلينا وقد تزوج اختى فهو فى منزلة اخى فقال الوزير افعل ما بدا لك فنحن ممتثلون أمرك فأرسل الملك الى الحاجب الكبير فأحضره وكذلك اكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدى كان ما كان قد علمتم أنه فارس الزمان وليس له نظير فى الحرب والطعان وقد جعلته سلطانا عليكم والحاجب الكبير وصى عليه فقال الحاجب ياملك الزمان انما أنا غريس نعمتك فقال ضوء المكان أيها الحاجب أن ولدى كان ما كان وابنة أخى قضى فكان ولدا عم وقد زوجتها به وأشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن وصفه اللسان وبعد ذلك

دخل على اخته نزهة الزمان واعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداى والله تعالى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا اختي انى قضيت من الدنيا غرضي وامنت على ولدي ولكن ينبغي أن تلاحظيه بعينك وتلاحظي امه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليالى وأياما وقد أيقن بكاس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطي احكام العباد وبعد سنة أحضر ولده كان ما كان والوزير دندان وقال ياولدي ان هذا الوزير والدك من بعدي واعلم انى راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضى من الدنيا ولكن بقي فى قلبي حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وما تلك الحسرة ياوالدى فقال ياولدي أن أموت ولم تأخذ بثار جدك الملك عمر النعمان وعمك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهى فان أعطاك الله النصر لا تغفل عن أخذ الثار وكشف العار واياك من مكر العجوز وأقبل ما يقوله لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقال له ولده سمعا وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك ازداد المرض بضوء المكان وصار أمر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ومازالت به الامراض مدة أربع سنين والحاجب الكبير قائم بامر الملك وارتضى به أهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من أمر ضوء المكان والحاجب (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فانه لم يكن له شغل الا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضى فكان وكانت تخرج هى واياه من أول النهار الى الليل فتدخل الى امها ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند رأس ابيه تبكى فيخدمه بالليل واذا أصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وانشد هذه الابيات

تفانت قوتي ومضى زماني	وهاانا قد بقيت كما تراني
فيوم العز كنت اعز قومي	واسبقهم الى نيل الاماني
وقد فارقت ملكى بعد عزي	الى ذل تخالل بالهوان
ترى قبل الممات أرى غلامي	يكون على الورى ملكا مكانى
ويفتك بالعداة لاخذ ثار	بضرب السيف أوطعن السنان
انا المغبون في هزل وجد	اذا مولاى لايشفى جنانى

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأي فى منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملك البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا ثم بعد أيام قلائل طرقه الممات فأصاب أهل بغداد لذلك مصاب عظيم وبكى عليه الوضيع والعظيم ومضى عليه الزمان كأنه ما كان وتغير حال كان ما كان وعزله أهل بغداد وجعلوه هو وعياله فى بيت على حدتهم فلما رأت أم كان ما كان ذلك صارت فى أذل الاحوال ثم قالت لا بدلى من قصد الحاجب الكبير وأرجو الرأفة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى أن اتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وقالت ان الميت ماله صاحب فلا أحوجكم الله مدي الدهور والاعوام ولا

زلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت اذناك ورأت عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن انقلب علينا الزمان وقصدنا الدهر بالعدوان واتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائي للاحسان لان الرجل اذا مات ذلت بعده النساء والبنات ثم انشدت هذه الابيات

كفاك بان الموت بادي العجائب　　وما غائب الاعمار عنا بغائب
وما هذه الايام الا مراحل　　مواردها ممزوجة بالمصائب
وحاضر قلبي مثل فقد أكارم　　احاطت بهم مستعظمات النوائب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت اخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقربتها وأقبلت عليها وقالت انا والآن غنية وأنت فقيرة فوالله ما تركنا افتقارك إلا اخوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك أن ما نهديه اليك صدقة مع أن جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ولك مالنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وأفردت لها مكانا في القصر ملاصقا لمقصورتها واقامت عندهم في عيشة طيبة هي وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وأفردت لهما جواري برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت أن تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فأكرمي مثواها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٦٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان ما كان من أمر نزهة الزمان وزوجها وأم ضوء المكان (وأما) ما كان من امر كان ما كان وابنة عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صار كأنهما غصنان مثمران أو قمران ازهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من أحسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر ألذ من الرحيق كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كان سلاف الخمر من ريقها بدت　　وعنقودها من ثغرها الدر يقطف
وأعنابها مالت اذا ماثنيتها　　فسبحان خلاق لها لا يكيف

وقد جمع الله كل المحاسن فيها فقدها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان وأما الريق فانه يهزأ بالرحيق تسر القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

مليحة الوصف قد تمت محاسنها　　اجفانها تفضح التكحيل بالكحل
كان الحاظها في قلب عاشقها　　سيف بكف أمير المؤمنين علي

وأما كان ما كان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال عز في الحسن عن مثال الشجاعة تلوح بين عينيه تشهد له لا عليه وتميل كل القلوب اليه وحين اخضر منه العذار كثرت فيه الاشعار كقوله بعضهم

ما بان عذري فيه حتى عذرا　　ومشى الدجى في خده متحيرا
رشأ اذا رنت العيون لحسنه　　سلت لواحظه عليها خنجرا

وقول الآخر نسجت نفوس العاشقين بخده ثعلا ونم بها النجيع الاحمر
فأعجب لهم شهدوا ومسكنهم لظى ولباسهم فيها الحرير الاخضر

واتفق فى بعض الاعياد ان قضى فكان خرجت تعيد على بعض أقاربها من الدولة والجواري حواليها والحسن قد عمها وورد الخد يحسد خالها والاقحوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ماكان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهى كالقمر الزاهر فقوي جنانه واطلق بالشعر لسانه وانشد هذين البيتين

متى يشتفى قلب الدنو من البعد ويضحك ثغر الوصل من زائد الصد
فياليت شعرى هل ابيتن ليلة بوصل حبيب عنده بعض ماعندى

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر اظهرت له الملامة والعتاب وتوعدته بأليم العقاب فاغتاظ كان ما كان وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان الى قصرها وشكت ابن عمها الى امها فقالت لها يا بنتي لعله ما ارادك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيئا يعيبك فاياك أن تعلمى بذلك أحدا فربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره و يجعل أثره كامس الدابر والميت الغابر وشاع في بغداد حب كان ما كان لقضى فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ماكان ضاق صدره وقل صبره واشتغل باله ولم يخف على الناس حاله واشتهى أن يبوح بما فى قلبه من لوعة البين نخاف من غضبها وأنشد هذين البيتين

اذا خفت يوما عتاب التى تغير أخلاقها الصافيه
صبرت عليها كصبر الفتى على الكى فى طلب العافيه

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الحاجب الكبير لما صار سلطان ثم إنه بلغه حب كان ما كان لقضى فكان فندم على جعلهما معا فى محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال إن الجمع بين الحلفة والنار لمن أعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين مادامت العيون فى غنج والمعاطف فى لين وان ابن أخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال أوجب لان مثلها ينبغى أن يحجب فقالت صدقت أيها الملك العاقل والهمام الكامل فلما أصبح الصباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جرى عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندى لك كلام ما كنت أحب أن أقوله لك ولكن أخبرك به رغما عنى فقال لها وماذاك الكلام قالت إن الملك سمع بحبك لقضى فكان فأمر بحجبها عنك واذا كان لك حاجة فانا أرسلها اليك من خلف الباب ولا تنظر قضى فكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد وأعلم والدته بما قالته عمته فقالت له إنما نشأ هذا من كثرة كلامك وقد علمت أن حديث حبك لقضى فكان شاع وانتشر في كل مكان وكيف تأكل زادهم وبعد ذلك وتعشق بنتهم فقال إنى أريد الزواج بها لانها بنت عمى وأنا أحق بها فقالت له أمه أسكت لئلا يصل الخبر إلى الملك سلسان فيكون ذلك سببا لغرقك فى بحر الاحزان وهم يبعثوا لنا فى هذه الليلة عشاء

ولو كنا في بلد غير هذه لمتنا من ألم الجوع أو ذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام أمه زادت بقلبه الحسرات وانشد هذه الابيات

أقلى من اللوم الذى لايفارق　　فقلبى إلى من تيتمنى مفارق
ولا تطلبى عند الصبر ذرة　　فصبرى وبيت الله منى طالق
إذا سامنى اللوام نهيا عصيتهم　　وها أناء فى دعوي المحبة صادق
وقد منعونى عنوة أن أزورها　　وانى والرحمن ما أنا فاسق
وان عظامى حين تسمع ذكرها　　تشابه طيرا خلفهن بواشق
ألا قل لمن قد لام فى الحب إننى　　وحق إلهي لبنت عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لامه مابقى لى عند عمتى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل أخرج من القصر وأسكن فى أطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعل كما قال وصارت أمه تتردد إلى بيت الملك سلنسان وتأخذ منه ماتقتات به هى واياه ثم ان قضى فكان اختلت بام كان ما كان وقالت لها يامرأة عمى كيف حال ولدك فقالت انه باكى العين حزين القلب ليس له من أسر الغرام فكاك ومقتنص من هواك فى اشراك فبكت قضى فكان وقالت والله ماهجرته بغضا له ولكن خوفا عليه من الاعداء وعندى من الشوق أضعاف ماعنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ماقطع أبى عنه احسانه وأولا دمنعه وحرمانه ولكن ايام الورى دول والصبر فى كل الامور أجمل ولعل من حكم بالفراق أن يمن علينا بالتلاق ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

فعندى يابن عمى من غرامى　　كأمثال الذي قد حل عندك
ولكن كتمت عن الناس وجدى　　فهلا كنت أنت كتمت وجدك

فشكرتها أم كان ما كان وخرجت من عندها وأعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه اليها وقال ماأبدلها من الحور بالفين وأنشد هذين البيتين

فوالله لاأصغي الى قول لائم　　ولا بحت بالسر الذي كنت كاتما
وقد غاب عنى من أرجى وصاله　　وقد سهرت عيني وقد بات نائما

ثم مضت الايام والليالى وهو يتقلب على جمر المقالى حتى مضى له من العمر سبعة عشر عاما وقد كمل حسنه ففي بعض الليالى أخذه السهر وقال فى نفسه مالى أري جسمي يذوب والى متى لاأقدر على نيل المطلوب ومالى عيب سوى عدم الجاه والمال ولكن عند الله بلوغ الآمال فينبغى أن أشرد نفسى عن بلادها حتى تموت أو تحظى بمرادها ثم اضمر هذه العزمات وانشد هذه الابيات

دع مهجتى تزداد فى خفقانها　　ليس التذلل فى الورى من شأنها
واعذر فان حشاشتى كصحيفة　　لاشك أن الدمع من عنوانها
ها بنت عمي قد بدت حورية　　نزلت الينا عن رضا رضوانها
من رام ألحاظ العيون معارضا　　فتكاتها لم ينج من عدوانها

سأسير فى الارض الوسيعة منقذا نفسى وأمنحها سوي حرمانها
وأعود مسرور الفؤاد بمطلبي وأقاتل الابطال فى ميدانها
ولسوف أشتاق الغنائم عائدا وأصول مقتدرا على أقرانها

ثم ان كان ما كان خرج من القصر حافيا فى قميص قصير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة أعوام وصحبته رغيف له ثلاثة أيام ثم سار فى حندس الظلام حتى وصل الى باب بغداد فوقف هناك ولما فتحوا باب المدينة كان أول هو خارج منه ثم صار يقطع الاودية والقفار فى ذلك النهار ولما أتى الليل طلبته امه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشىء من متاعها ومكثت تنتظر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم الى ان مضى عشرة ايام فلم تر له خبرا فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة يامؤنسى قد هيجت احزانى حيث فارقتنى وتركت أوطانى ياولدي من اى الجهات اناديك وياهل ترى اى بلد تؤويك ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

علمنا بأن بعد غيبتكم نبلى ومدت قسى للفراق لنا نبلا
وقد خلفونى بعد شد رحالهم اعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا
لقد هتفت فى جنح ليل حمامة مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلى حزينة لما لبست طوقا ولا خضبت رجلا
وفارقنى الفى فألقيت بعده دواعى الهم لا تفارقنى اصلا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت فى البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤوس الاشهاد واشتهر حزنها بين العباد والبلاد وصار الناس يقولون اين عينك ياضوء المكان وترى ماجرى على كان ماكان حتي بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان أبوه يشبع الجيعان و يأمر بالعدل والاحسان ووصل خبر كان ماكان إلى الملك سلسان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك سلسان وصل اليه خبر كان ماكان من الامراء الكبار وقالوا إنه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا أنه تغرب عن الاوطان فلما سمع الملك سلسان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وتذكر إحسان أبيه اليه وانه أوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لا بد من التفتيش عليه فى سائر البلاد ثم بعث فى طلبه الامير تركاش فى مائة فارس فغاب عشرة أيام ثم رجع وقال له مااطلعت له على خبر ولا وقفت له على أثر فحزن عليه الملك سلسان حزنا شديدا وأما أمه فانها صارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار وقد مضي له عشرون يوما هذا ما كان من امر هؤلاء (وأما) ما كان من امر كان ما كان فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا فى أمره ولم يدر إلى أين يتوجه ثم انه سافر فى البر ثلاثة أيام وحده ولم يرى راجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر أهله و بلاده وصار يتقوت من نبات الارض و يشرب من أنهارها ويقيل وقت الحر تحت أشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق أخرى وسار فيها ثلاثة أيام

وفي اليوم الرابع أشرف على أرض معشبة الفلوات مليحة النبات وهذه الارض قد شربت من كؤوس الغمام على أصوات القمري والحمام فاخضرت رباها وطاب فلاها فتذكر كان ما كان بلاد ابيه فانشد من فرط ماهو فيه

خرجت وفي أملي عودة ولكنني لست أدري متى
وشردني انني لم اجد سبيلا الى دفع ماقد اتى

فلما فرغ من شعره اكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم في ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان ينشد هذه الابيات

ما العيش الا ان يرى لك بارق من ثغر من تهوى ووجه رائق
والموت اسهل من صدود حبيبة لم يغشني منها خيال طارق
يافرحة الندماء حيث تجمعوا واقام معشوق هناك وعاشق
لاسيما وقت الربيع وزهره طاب الزمان بما اليه تسابق
ياشارب الصهباء دونك ماترى ارض مزخرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلقت في قلبه النيران فقام ينظر قائل هذا الكلام فلم يرا احدا في جنح الظلام فاخذه القلق ونزل في مكانه الى اسفل الوادي ومشى على شاطىء النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات وينشد هذه الابيات

ان كنت تضمر مافي الحب اشفاقا فاطلق الدمع يوم البين اطلاقا
بيني وبين احبائي عهود هوى لذا اليهم اظل الدهر مشتاقا
يرتاح قلبي الى تيم ويطربني نسيم تيم اذا ماهب أشواقا
ياسعد هل ربة الخلخال تذكرني بعد البعاد لنا عهدا وميثاقا
وهل تعود ليالي الوصل تجمعنا يوما ويشرح كل بعض مالاقى
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لامتع الله في طرفي في محاسنها ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
بالسمة في فؤادي مارأيت لها سوى الوصل ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع كان ما كان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرة ولم ير شخصه عرف ان القائل مثله عاشق منع من الوصول الى من يحبه فقال في نفسه لعلي اجتمع بهذا فيشكو كل واحد لصاحبه واجعله أنيسي في غربتي ثم تنحنح ونادى قائلا أيها السائر في الليل العاكر تقرب مني وقص قصتك علي لعلك تجدني معينا لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام اجابه قائلا أيها المنادي السامع لا نشادي من تكون من الفرسان وهل أنت من الانس أو من الجان فعجل علي

بكلامك قبل دنو حمامك وامش فقال كان ما كان لا تفعل يا أخا العرب لأن أهلي لا يشترونني بفضة ولا ذهب وانا رجل فقير ولا معي قليل ولا كثير فدع عنك هذه الأخلاق واتخذني من الرفاق وأخرج بنا من أرض العراق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب وقال له ويلك ترادد ني في الجواب يا أخس الكلاب أدر كتافك والا أنزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف أدير الكتاف أما عندك إنصاف أما تخشى معايرة العربان حيث تأسر غلاما بالذل والهوان وما اختبرته في حومة الميدان وعلمت أهو فارس أو جبان فضحك صباح وقال يالله العجب انك في سن الغلام ولكنك كبير الكلام لان هذا القول لا يصدر الا عن البطل المصدام فقال كان ما كان الانصاف انك اذا شئت أخذي أسيرا خادما لك أن ترمي سلاحك وتخفف لباسك وتصارعني وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال ما أظن كثرة كلامك الا لدنو حمامك ثم رمي سلاحه وشمر أذياله ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوي يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر إلى ثبات رجليه في الأرض فوجدهما كالمأذنتين المؤسستين أو الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال في نفسه ليتني قاتلته بسلاحي ثم ان كان ما كان قبضه وتمكن منه وهزه فاحس ان امعاءه تقطعت في بطنه فصاح امسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما أبداه من الكلام بل حمله من الأرض وقصد به النهر فناداه صباح قائلا أيها البطل ما تريد أن تفعل بي قال أريد أن أرميك في هذا النهر فانه يوصلك الى الدجلة والدجلة توصلك الى نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك ويعرفون مروءتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يا فارس البطاح لا تفعل فعل القباح أطلقني بحياة بنت عمك سيدة الملاح فحطه كان ما كان في الارض فلما رأى نفسه خالصا ذهب الى ترسه وسيفه وأخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان ما يشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت ما في قلبك حيث أخذت سيفك وترسك فانه قد خطر ببالي أنه ليس لك يد في الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك على تصول وها أنا أبلغك ما تختار حتى لا يبقى في قلبك انكار فاعطني الترس واهجم على بسيفك فاما ان تقتلني واما ان أقتلك فرمى الترس وجرد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقي به عن نفسه وصار صباح يضرب به ويقول ما بقي الا هذه الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شيء يضرب به ولم يزل صباح يضرب بالسيف حتى كلت يداه وعرف كان ما كان ضعف قوته وانحلال عزيمته فهجم عليه وهزه والقاه في الأرض وكتفه بحمائل سيفه وجره من رجليه الى جهة النهر فقال صباح ما تريد ان تصنع بي يا فارس الزمان وبطل الميدان قال لم أقل لك انني أرسلك الى قومك في النهر حتى لا يشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح وبكى وصاح وقال لا تفعل بي يا فارس الزمان واجعلني لك من بعض الغلمان ثم افاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

تغربت عن أهلي فياطول غربتي ويا ليت شعري هل أموت غريبا

أموت وأهلي ليس تعرف مقتلي   وأودي غريبا لا أزور حبيبا

فرحمه كان ما كان وأطلقه بعد ان أخذ عليه العهود والمواثيق أنه يصحبه فى الطريق ويكون له نعم الرفيق ثم ان صباحا أراد ان يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوي الى جرابه وفتحه وأخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطىء النهر وأكلا مع بعضهما ثم توضأ وصليا وجلسا يتحدثان فيما لقياه من صروف هذا الزمان فقال كان ما كان للبدوي أين تقصد فقال صباح أقصد بغداد بلدك وأقيم بها حتى يرزقني الله بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوي وتوجه فى طريق بغداد وأقام كان ما كان وقال فى نفسه يا نفسي أي وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا أرجع خائبا ولا بد لي من الفرج ان شاء الله تعالى ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد وضع جبهته على التراب ونادى ربه قائلا اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الصخر أسألك ان ترزقني بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس أقبل على جواد وقد اقتعد ظهره وأرخى عنانه فاستوى كان ما كان جالسا وبعد ساعة وصل اليه الفارس وهو فى آخر نفس لانه كان به جرح بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده مثل افواه القرب وقال لكان ما كان يا وجه العرب اتخذني ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلي واسقني قليلا من الماء وان كان شرب الماء لا يصلح للجروح سيما وقت خروج الروح وان عشت أعطيتك ما يدفع فقرك وان مت فانت المسعود بحسن نيتك وكان تحته الفارس حصان يتحير فى حسنه الانسان ويكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل أعمدة الرخام معد ليوم الحرب والزحام فلما نظر كان ما كان الى ذلك الحصان أخذه الهيام وقال فى نفسه ان هذا الحصان لا يكون فى هذا الزمان ثم انه أنزل الفارس ورفق به وجرعه يسيرا من الماء ثم صبر عليه حتى أخذ الراحة وأقبل عليه وقال له من الذى فعل بك هذه الفعال فقال الفارس أنا أخبرك بحقيقة الحال انى رجل سلال غيار طول دهرى أسل الخيل واختلسها فى الليل والنهار واسمي غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصان فى بلاد الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقانون ولقبه بالمجنون وقد سافرت الى القسطنطينية من أجله وصرت اراقبه فبينما انا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وامرها عندهم فى الخداع متناهي تسمى شواهي ذات الدواهي ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير برسم خدمة هذا الحصان وهي تقصد بغداد تريد الدخول على الملك سلسان لتطلب منه الصلح والامان فخرجت فى أثرهم طمعاً فى الحصان وما زلت أتابعهم ولا أتمكن من الوصول اليه لأن العبيد شداد الحرس عليه الى ان أتوا تلك البلاد وخفت ان يدخلوا مدينة بغداد فبينما أنا أشاور نفسي فى سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار ثم انكشف الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداش ولكنه فى الحرب كاسد يجعل الابطال كالفراش ۞ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٦٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الفارس المجروح قال لكان ما كان خرج على

العجوز ومن معها كهرداش ثم احاط بهم وهاش بوناش فلم تمض ساعة حتي ربط العشرة العبيد والعجوز وتسلم الحصان وسار بهم وهو فرحان فقلت في نفسي قد ضاع تعبي وما بلغت أربي ثم صبرت حتى أنظر ما يؤول الأمر اليه فلما رأت العجوز روحها في الاسر بكت وقالت لكهرداش ايها الفارس الهمام والبطل الصرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ما تريد وخادعته بلين الكلام وحلفت انها تسوق له الخيل والانعام فاطلقها هي والعبيد ثم سار هو والعبيد وأصحابه وتبعتهم حتى وصلت الى هذه الديار وانا الاحظه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته وأخرجت من مخلاتي سوطا فضربته فلما أحسوا بي لحقوني واحاطوا بي من كل مكان ورموني بالسهام والسنان وانا ثابت عليه وهو يقاتل عني بيديه ورجليه الى أن خرج بي من بينهم مثل النجم الطارق والسهم الراشق ولكن لما اشتد الكفاح أصابني بعض الجراح وقد مضي لي على ظهره ثلاثة أيام لم أستطعم بطعام وقد ضعفت مني القوى وهانت على الدنيا وانت أحسنت الي وشفقت على وأراك عاري الجسد ظاهر عليك الكمد ويلوح عليك أثر النعمة فما يقال لك فقال انا يقال لى كان ما كان ابن الملك ضوء المكان بن الملك عمر النعمان قد مات والدى ورُبيت يتيما وتولى رجل لئيم وصار ملكا على الحقير والعظيم ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره فقال الرجل السلال وقد رق له إنك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وليكونن لك شان وتصير افرس هذا الزمان فان قدرت ان تحملني وتركب ورائي وتوديني إلى بلادي يكن لك الشرف في الدنيا والاجر في يوم التناد فانه لم يبق لى قوة امسك بها نفسي وان مت في الطريق فزت بهذا الحصان وانت اولى به من كل انسان فقال له كان ما كان والله لو قدرت ان احملك على اكتافي لفعلت ولو كان عمري بيدي لأعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لأني من اهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يسد سبعين بابا من البلاء وعزم على ان يحمله على الحصان ويسير متوكلا على اللطيف الخبير فقال له اصبر على قليلا ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال أشهد ان لا إله الا الله واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهيأ للممات وانشد هذه الابيات

ظلمت العباد وطفت البلاد ... وامضيت عمري بشرب الخمور
وخضت السيول لسل الخيول ... وهدم الطلول بفعل النكور
وامرى عظيم وجرمي جسيم ... وقاتول مني تمام الامور
واملت انى انال المنى ... بذاك الحصان فاعيا مسيرى
وطول الحياة اسل الخيول ... فكانت وفاتى عند الغدير
وآخر أمرى انى تعبت ... لرزق الغريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة وواراه في التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لا يوجد في حوزة الملك سلسان ثم أتته الاخبار من التجار بجميع ما جرى في غيبته بين الملك سلسان والوزير دندان وان الوزير دندان خرج عن طاعة الملك سلسان هو ونصف العسكر وحلفوا انهم ما لهم سلطان الا كان ما كان واستوثق منهم بالايمان

ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر و بلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم أول من آخر وعزم على ان يرجع بجميع الجيوش الى البلاد و يقتل من يخالفه من العباد وأقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الأخبار غرق في بحر الافكار ثم ان الملك سلسان علم ان الدولة انحرفت عليه الكبار والصغار فغرق في بحر الهموم والاكدار وفتح الخزائن وفرق على أرباب الدولة الأموال والنعم وتمنى ان يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان و يجعله أميراً على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتقوى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعاً الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك سلسان فى ربكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فاخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من فى بغداد ولا قوه ومشوا قدامه الى القصر ودخلت الطواشية بالاخبار الى أمه فجاءت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا أماه دعيني أمضي الى عمي السلطان سلسان الذى غمرني بالنعمة والاحسان ثم ان أرباب الدولة تحيروا فى وصف ذلك الحصان وفى وصف صاحبه سيد الفرسان وقالوا للملك سلسان أيها الملك اننا مارأينا مثل هذا الانسان ثم ذهب الملك سلسان وسلم عليه فلما رآه كان ما كان مقبلا عليه قام اليه وقبل يديه و رجليه وقدم اليه الحصان هدية فرحب به وقال أهلا وسهلا بولدى كان ما كان والله لقد ضاقت بي الأرض لأجل غيبتك والحمد لله على سلامتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

تم المجلد الاول من قصة الف ليله وليله . ويليه المجلد الثانى وأوله ليلة ١٧٠

فهرست المجلد الاول من قصة الف ليله وليله

صحيفة

